عُظَمَاءُ

مِنْ أَهْلِ ٱلبَيْتِ

جمعية الآل والأصحاب
رحماء بينهم

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾



مِنْ أهل البيت رضي الله عنهم

بيان جوانب العظمة في أكثر من
٣٠ شخصيّة من الدّوحة النبويّة الشّريفة

تأليف

السيّد حسن الحسيني

خادم تراث أهل البيت

الطبعة الأولى

١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م

رقم الناشر الدّولي :

ISBN ٩٧٨-٩٩٩٥٨-٥٢-١٩-١

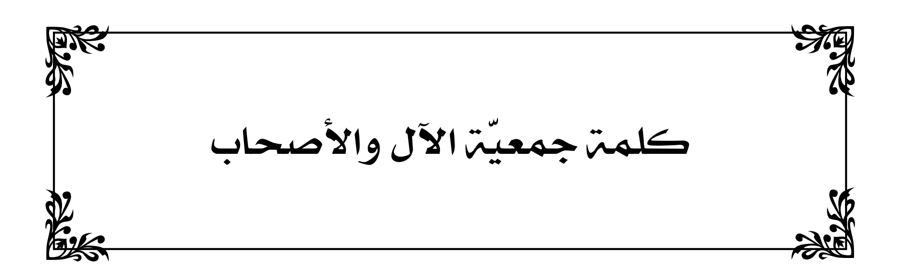
رقم الإيداع بإدارة المكتبات العامة :

د.ع ٧٩٠٢/ ٢٠٠٩ م



هاتف : ٠٠٩٧٣١٧٧٧٤٠٠١ ـ ٠٠٩٧٣١٧٧٦٤٧٨٩ ـ فاكس : ٠٠٩٧٣١٧٧٦٤٧٨٧

ص . ب : ٣٩١٠٤ ـ الرّفاع الشرقي ـ مملكة البحرين ـ www.aal-alashab.org



كلمة جمعيّة الآل والأصحاب

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله . أمَّا بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالةٍ في النَّار .

لعلَّ من المسائل التي غفل عنها المسلمون تذكُّر سير الصالحين من جيل الصَّحابة وآل البيت رضي الله عنهم أجمعين ، وما يقتضيه من محبةٍ وقربةٍ إلى الله عز وجل من خلال تلمُّس مواطن العبر والدروس من حياتهم .

والعجبُ ممن استعاض بغير القرآن والسُّنة وهدي السلف سبيلاً لمعرفة الحقيقة ! فهذه آيات الله عز وجل وسنَّة نبيه ﷺ خيرُ شاهدٍ على منزلة هذا الجيل المثالي ، الذي اختاره الله عز وجل لخير أنبيائه ﷺ ، فلا أدلَّ على هذا من قول الله عزَّ وجل : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[التوبة : ١٠٠] . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

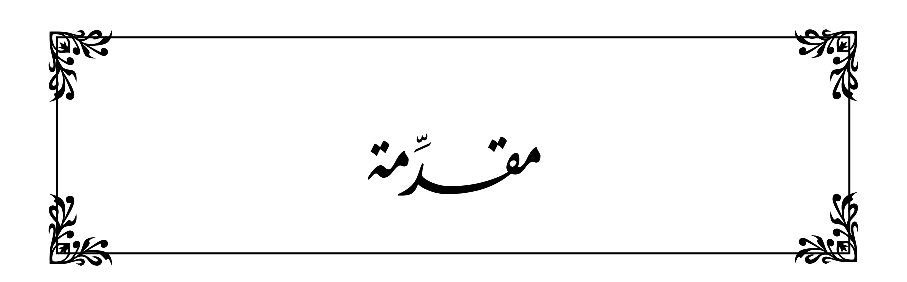
فلا غرابة أن يقول فيهم النبي ﷺ : (خيرُ النَّاس قرني، ثمَّ الذين يلونهم ، ثمَّ

الذي يلونهم) [صحيح البخاري] . حتى شهدت كلمات الرَّعيل الأول من التابعين دعوة للإقتداء بهم وتتبع سيرهم ومواقفهم، بل جعل البعض حبَّهم ومعرفة فضلهم من السنة ، وجعلها آخرون فريضةً . وكان بعض السلف يُعلِّمون أولادهم حبَّهم ، كما يُعلِّمونهم السورة من القرآن .

وهذا الكتاب الذي بين أيدبنا للشيخ الفاضل / حسن الحسيني حفظه الله ترجمةً صادقةً لما ذكرناه ، وإذ تسعد جمعية الآل والأصحاب أن تضعه بن أيدي القرَّاء متأملة في تنشئة أجيال تشبُّ على نهج هؤلاء العظماء ، وتصحّح مفاهيم خاطئة رانت على عقول البعض ، لعل الله أن يهيئ من أمر هذه الأمة من يسير على دربهم، أملاً في عودة أمجادها بعد أن تكالب عليها الأعداء .

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا الله، أستغفرك وأتوب إليك، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

لجنة الدعوة
قسم الدِّراسات والبحوث
مملكة البحرين



الحمد لله رب العالمين .. الحمد لله فاطر السَّماوات والأرضين، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد سيِّد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه العظماء أجمعين . إخوتي في الله .. في شتى البقاع، وفي كل مكان : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. تحية طيبة، أبعثها إليكم من مهجةٍ مشتاقة ، عبر دقَّات القلبِ الخفّاقة، وعبر الورد كلّما نشر أوراقه، وعبر النرجس إذا فتح أحداقه، وعبر اللقاء إذا نثر أشواقه، وعبر الكون الفسيح الأقطار ، والكوكب السابح السَّيار .

أيها الإخوة : أُشهد الله أنّي أحبكم في الله، وأسأل الله أن ينفع بهذه الكلمات ، **أما بعد :**

(**عظماء من أهل البيت** عليهم السلام) هذا العنوان هو ما اخترتُه لهذا الكتاب [1]، والذي سوف نتحدّث فيه عن العظماء ! رجالاً ونساءً، لكنهم ليسوا أيَّ عظماء! إنّهم عظماء انتسبوا إلى بيت النبوة، بيتِ الرّسول الأعظم، بيتِ محمدٍ ﷺ ، وحُقَّ لنا أن نفتخر بهم، ونُعلي من

(١) أصل هذا الكتاب حلقاتٌ تلفزيونيّة، قدّمتها على قناة البحرين الفضائيّة، خلال شهر رمضان المبارك لعام ١٤٢٧ هـ ، ثمّ قمتُ بإعادة إلقائها في استوديوهات المدينة الإعلامية في جمهوريّة مصر بالقاهرة، لصالح قناة طيبة الفضائيّة، وقد ألحَّ عليّ أحد أصحاب دور النشر، أن أقوم بإعداد تلك المادة للطباعة ، فكان هذا الجهد المتواضع .

شأنهم ، عن فضيل بن عياض قال : « إذا نظرتُ إلى رجلٍ من أصحابِ أهلِ البيت ، كأنّي نظرتُ إلى رجلٍ من رسولِ الله ﷺ »[١] .

أيّها الإخوة والأخوات : انظروا إلى أُمَم الشرق والغرب، كيف تتباهى برجالاتها؟ وكيف تفتخر بعظمائها ؟ مع أنّ بعض أولئك العظماء : قد سفكوا الدماء، وقتلوا العباد، وأحرقوا البلاد ! ومنهم من بنى مجدَهُ على الجماجم والأشلاء، وقتل الأطفال والنّساء، ومنهم من قضى حياته في محاربةِ الشّرف والفضيلة ، ونشرِ الفساد والرّذيلة !! ومع كلّ هذا نجدُهم يفتخرون بهم، ويعلّقون صورهم، وينصبون لهم التماثيل، ويرفعون لهم الأعلام! أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة! أما عظماؤنا، فهم شيءٌ آخر! إنّهم طرازٌ عجيب، وأنموذجٌ فريدٌ ..

أولئك آبائي فجِئْني بمثلِهِمْ * إذا جمعتْنا يا جريرُ المَجامِعُ

كيف لا ؟ وهم أتباع محمدٍ ﷺ الذي هو بحقٍّ الرّجل الأعظم . إنه نبيٌّ وكفى، تلقّى تعاليمه من ربه تبارك وتعالى، وإذا سمعت عن عظيم، فاعلم أنك إذا رأيته كان أقلّ مما سمعت، إلا الرسول ﷺ ، فإنه أعظم وأعظم مما تسمع عنه، وعظماء أمّة الإسلام – على مدى العصور والقرون – إنّما نالوا العظَمة باتّباعهم لحبيبهم ﷺ ، اقتبسوا من نوره، ونهلوا من علمه، واقتدوا بسنّته، فكانوا بذلك عظماء .. عظماء بمعنى الكلمة، ونحن في هذا الزّمان، إن أردنا الصّلاح، والفوز والفلاح، فعلينا أن نبحث في تاريخنا العظيم عن النّماذج المشرقة، من عظمائنا الأعلام، ونرى جوانب العظمة لديهم، ونجعلها محور القدوة، ومركز التأسّي .

---

(١) حلية الأولياء : (٨/ ٩٦).

وبحمد الله تعالى فإنّ من طالع تراثنا، وقرأ تاريخنا أبهره : كثرة العظماء، ووفرة النّبلاء -رجالاً ونساءً- وإن كنّا في هذه الفصول سوف نتعرّض للعظماء في بيت النبوّة على وجه الخصوص ؛ وذلك لمزيد شرفهم، ورفعة قدرهم، وعلو نسبهم؛ فعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إِنَّ الله اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ) [(١)].

نسبٌ شريفٌ من خيارٍ كله * شرُفت له الأخوالُ والآباءُ

فالله تعالى بعث رسوله محمدًا ﷺ من أفضل قبيلةٍ وأشرف نسبٍ، فكان مولد النبي ﷺ من فروع «**مضر**» التي هي أشهر قبائل العرب، وهم الذين ينتسبون إلى نزار بن معد بن عدنان، وكان ذلك هو الحال في سائر الرسل الذين اقتضت حكمة الله أن يكونوا من ذوي الأنساب الأصيلة، والأقوام العريقة النبيلة .. (وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ) فيه اصطفاء الله تعالى لأهل بيت النبي ﷺ من بين الأقوام والأنساب، فهم من أوسط العرب نسباً، وأكرمهم حسباً، وأعلاهم كعباً، وأشرفهم أصلاً، وأطيبهم فرعاً.

علماً بأنّه ليس المقصود من هذه الفصول هو: استيعاب كل العظماء من أهل البيت عليهم السلام ؛ لأنّ هذا الأمر سيطول كثيراً، فالعظماء منهم كثيرٌ بحمد الله تعالى ، على مرِّ العصور، وتوالي الدّهور، وإنّما وقع الاختيار على بعض بني هاشم وبني المطّلب، بَدءًا بمن جمع بين الصُّحبة والقرابة: كعلي بن أبي طالب، والحسن والحسين، وفاطمة وعائشة،

(١) رواه مسلم في صحيحه : (٢٢٧٦) .

وحفصة وخديجة، والعباس وحمزة، وغيرهم رضي الله عنهم إلى أن نصل إلى بعض أئمة العلم والهدى من أهل البيت عليهم السلام: كزين العابدين وابنه الباقر، وجعفر الصّادق وابنه الكاظم، وأم كلثوم وسُكينة، والإمام المطّلبي محمد بن إدريس الشافعي، وغيرهم، ممّن مواقفهُم الفاضلةُ في الإسلام مشهودة، وعدد محاسنهم تكاد أن تكون غيرَ محدودة.

يقول محمد بن الحسين الآجُرِّي رحمه الله، في كتابه «الشريعة» : « واجبٌ على كل مؤمنٍ ومؤمنةٍ محبةُ أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: بنو هاشم ، عليٌّ بن أبي طالب وولده وذريته، وفاطمةُ وولدها وذريتها، والحسنُ والحسينُ وأولادهما وذريتهما، وجعفرُ الطَّيار وولدُه وذريته، وحمزةُ وولده، والعباسُ وولده وذريّته رضي الله عنهم، هؤلاء أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

واجبٌ على المسلمين محبَّتُهم وإكرامُهم واحتمالهُم وحسنُ مداراتهم، والصبرُ عليهم، والدعاءُ لهم، فمن أحسنَ من أولادهم وذراريهم : فقد تخلّق بأخلاق سلفهِ الكرام الأخيار الأبرار، ومن تخلّق منهم بما لا يحسن من الأخلاق: دُعي له بالصَّلاح والصِّيانة والسَّلامة ... »[1].

كما أنّني في هذا الكتاب، لم أقصد التحدّث عن سيرة هؤلاء العظماء سردًا تاريخياً، وإنّما أردتُ عرضَ شيءٍ من جوانب العظمة في سيرتهم، والوقوفَ على بعض المحطّات التربويَّة في حياتهم ، علّنا نقتدي بهم ، ونتأسّى بأحوالهم ..

فتشبَّهوا إن لم تكونوا مِثلَهم ❋ إنّ التشبُّه بالكرامِ فلاحُ

---

(١) كتاب الشريعة للآجري [كتاب فضائل العباس بن عبد المطلب وولده] : (٥/ ٢٢٧٦) .

في الصفحات القادمة -إن شاء الله- سنتحدّث عن أهل البيت عليهم السلام، ونذكر شيئًا من فضائلهم.. ثمّ بعدها نتناول شخصيات أهل البيت، ونبدؤها بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، باعتباره رأسَ البيت النبويّ، فهو أعظم البشر، وهو في الحقيقة فخرٌ لكل مسلم، رجلٌ أقسم الله بحياته، وفي هذا تشريفٌ عظيم، ومقامٌ رفيع، وجاهٌ عريض، قال ابن عباس رضي الله عنهما عند قوله تعالى : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر:٧٢]، قال: «ما خلق الله، ولا ذرأ، ولا برأ نفْساً، أكرم عليه من محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم ، وما سمعتُ الله أقسم بحياة غيره»[١].
اهـ فأي مكانةٍ تلك! وأي تشريفٍ هذا! وأي عظمةٍ هذه !

خلق الإلهُ العالمينَ وزانهم * بمحمَّدٍ خيرِ البريَّة دينا
يكفيه أن حَلَفَ الإلهُ بعُمره * شرفًا ومكّن دينهُ تمكينا

أخوكم
السيّد حسن الحسيني الشّافعي
www.muslemoon.net

(١) رواه ابن جرير الطبري (٧/ ٥٢٦)، والحارث بن أبي أسامة كما في زوائده للهيثمي (٢/ ٩٣٤)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٨٩) وزاد نسبته لابن أبي شيبة وأبي يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقيّ في الدلائل .



تعريفٌ بأهل البيت ﵈

أخرج الإمام مسلمٌ في صحيحه عن زيد بن أرقم ﵁ ، أنّه قال: (قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَوَعَظَ وَذَكَّرَ ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ، يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ : وَأَهْلُ بَيْتِي ، أُذَكِّرُكُمْ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ...) [(١)] .

أتاك حديثٌ لا يُمَلّ سماعُه ❊ شهيٌ إلينا نثرُه ونِظامه

إذا سمعَتْهُ النفسُ زال عناؤها ❊ وزال عن القلب الُمعنَّى ظلامه

أيها الأحبّة: إنّ من أصولِ عقيدة المسلم، محبةَ أهل بيت رسول الله ﷺ ، وتولِّيهم وحفظَ وصيَّة رسول الله ﷺ ، حيث قال: (أذكِّركم اللهَ في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهلِّ بيتي) قال ﷺ تلك الوصية، وهو عائدٌ من الحجّ، في منطقة «**غدير خُمّ**»، وغدير الماء هذا في مكانٍ بين مكة والمدينة، فعندما وصل إلى تلك المنطقة، وقف النبي ﷺ خطيباً في المسلمين، يعظهم ويذكّرهم.

ثمّ قال: (وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ) ما هما؟ إنّهما: القرآنُ الكريم، وأهلُ بيتِ رسول الله ﷺ ، قال العلماء: سمّيا ثقلين لعظمهما وكبير شأنهما، وقيل: لثِقَل العمل بهما،

---

(١) رواه مسلم في صحيحه : (٢٤٠٨).

فالرسول ﷺ ذكّر المسلمين بأمرين مهمّين: الأمر الأول: وجوب التمسّك والعمل بكتاب الله تعالى ، وأنه هو الصراط المستقيم الذي أوله في الدنيا وآخره في الجنة، والأمر الثاني: الوصية بأهل البيت عليهم السلام : (أذكِّركم اللهَ في أهل بيتي) فالرسول ﷺ أمر أمّته باحترام آل بيته، وتوقيرِهم، ومعرفةِ حقوقهم، وعدمِ التعرّض لهم بالسبّ والأذى.

عليهِمْ سلامُ الله في كل ساعةٍ * عديدَ الحصى والرّملِ في الفَلَوَاتِ
هنيئًا لهم قُرَبى النبيِّ محمدٍ * وبُشرى لهم لُقياهُ في الجنّاتِ
به شَرُفُوا حتى استنارتْ حياتُهمْ * وأُخراهُمُ بالبِشرِ والبركاتِ

*** فمن هم أهل البيت الذين أوصى بهم الرّسول ﷺ ؟**

اختلف النّاس في تحديد « أهلِ البيت رضي الله عنهم » على أقوالٍ كثيرة، وجمهور العلماء ينصّون على أنّ المراد بأهل البيت هم: **الذين حَرُمت عليهم الزّكاة**، وهم: بنو هاشم وبنو المطلب، قال النبي ﷺ : (إنا وبنو المطلب لا نفترقُ في جاهليةٍ ولا إسلامٍ، وإنما نحن وهم شيءٌ واحدٌ، وشبّك بين أصابعه ﷺ) [1] .

ونساء النبيّ ﷺ: فمن أهل البيت بالزّوجيّة وليس بالقرابة، مع أنّ اتّصالَهنَّ بالرسول ﷺ شبيهٌ بالنَّسَب، لأنَّه اتصالٌ مؤبدٌ باقٍ غيرُ مرتفع، فأمّهات المؤمنين زوجاتُ الرسول ﷺ في الدنيا والآخرة، خاصةً وأنّ مصطلح «**الآل والأهل**» يطلق على أزواجِ الرّجل وذريتِه وأقربائِه، كما ذكر أهل اللغة .. وهو أيضًا استعمال القرآن الكريم: قال الله تعالى عن موسى : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا ﴾ [النمل: ٧] ، وأهله: زوجته

(١) رواه البخاري في صحيحه : (٣٩٨٩) ، وأبو داود في سننه (٢٩٨٠)، واللفظ له من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

التي كانت معه، وقال الله عن إبراهيمَ وزوجه: ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود: ٧٣] .

فإذًا مصطلح أهل البيت ﷺ يشمل: بني هاشم، وبني المطلب، وزوجات النبي ﷺ ، وهؤلاء قد خصّهم الله تعالى بخصائص، امتازوا بها عن غيرهم، نذكر أربعاً منها :

الخاصّية الأولى : حق محبة أهل البيت وموالاتهم :

إنّ محبة كل مؤمن ومؤمنة واجب شرعي، وهي أخوة إيمانية وموالاة عامة لكل المسلمين، لكنّ محبةَ وموالاةَ آلِ رسول الله ﷺ ، فتلك محبة خاصة وموالاة خاصة، وإكرام خاص، لا يشاركهم فيه غيرهم، واسمعوا إلى ما قاله المصطفى ﷺ لعمه العباس، وقد اشتكى من جفاءِ بعض قريشٍ لبني هاشم، قال ﷺ : (وَاللهِّ لا يَدْخُلُ قَلْبَ امْرِئٍ إِيمَانٌ، حَتَّى يُحِبَّكُمْ للهِّ وَلِقَرَابَتِي) [1] .

الخاصّية الثانية : حقّ أهل البيت في خُمس الغنائم والفيء:

والغنيمة: هي الأموال التي تؤخذ من الكفّار بعد قتال، أمّا الفيء: فما أخذ منهم من غير قتال ، قال الله تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٧٧٧ ، ١٧٥٥٠) ، ومداره على يزيد بن أبي زياد وهو مختلفٌ فيه ، وقد صحّح إسناده أحمد شاكر في تحقيقه للمسند : (٣/ ٢١٠) ، وقوّاه شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٤٢٨) بشواهده حيث قال : " الحجة قائمةٌ بالحديث على كل تقدير ، لاسيما وله شواهد تؤيد معناه " .

﴿ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [الأنفال: ٤١] وهذا السّهم ثابتٌ لهم بعد موت النبي ﷺ.

الخاصّية الثالثة : حرمة الزّكاة على أهل البيت:

اتفق الفقهاء على أن الزكاة لا تحل لآل محمد ﷺ ، كما لا تحل لمحمد ﷺ ؛ لقول النبي ﷺ : (إنَّ الصَّدقةَ لا تنبغي لآل محمَّدٍ، إنَّما هي أوساخُ النَّاس) [١] .

الخاصّية الرابعة : حقُّ الصلاة على أهل البيت :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦]، وفي هذه الآية منقبةٌ عظيمة، ودرجةٌ رفيعة، وقد بيَّن النبي ﷺ كيفية الصلاة عليه، وأنّ الصلاة على آله تأتي تبعاً، ففي الصحيحين أنّ الصحابة ﷺ سألوا النبي ﷺ كيفيّة الصلاة عليه، فقال: (قولوا: اللهمَّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم؛ إنك حميد مجيد، اللهم بارِكْ على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم؛ إنك حميد مجيد) [٢]، قال الإمام الشافعي رحمه الله :

يا أهلَ بيتِ رسولِ الله حبكمُ ❋ فرضٌ من الله في القرآنِ أنزله

كفاكمُ من عظيمِ القدرِ أنكمُ ❋ من لم يصلِّ عليكمُ لا صلاةَ له

(١) رواه مسلم في صحيحه : (١٠٧٢).

(٢) متفق عليه : (البخاري : ٣١٩ ، ومسلم : ٤٠٦) من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه .

وبعد.. فهذه الفصول مساهمةٌ متواضعةٌ في إبراز بعض جوانب العظمة عند هؤلاء الأعلام، عنايةً مني بالآلِ الكرام، والصحبِ العظام، فهم بشهادة الدّنيا سادةُ الأتقياء، وخيرُ الناس بعد الأنبياء، ومواقفهم الفاضلةُ في الإسلام مشهودة، وعدد محاسنهم تكاد أن تكونَ غيرَ محدودة، فهذا بعض حقّهم علينا: أن نقرأ تراثهم، ونعرف تاريخهم، ونستعرض أقوالهم وأفعالهم حتى نتأسّى بهم، ونتّخذهم قدوةً صالحة لنا، فمن الخطأ أن نكتفي بإظهار المحبّة لهم، ثمّ لا نجد لتلك المحبة صدًى في أقوالنا وأفعالنا وفي واقعنا، بل المحبّة الصّادقة تفرض على المحبّين وجوب المتابعة، كما قال الشاعر:

تعصِي الحبيبَ وأنت تزعُم حبَّه * هذا محالٌ في القياسِ بديعُ
لو كان حبَّكَ صادقاً لأطعتَهُ * إنَّ المحبَّ لمن يحبُّ مطيعُ



الرسول الأعظم ﷺ

حديثنا عن الحبيب الذي تشتاقُ إليه النفوس وتطيب، وبذكره ترِقّ القلوب وتُنِيب، وتلين الأفئدة وتستجيب، وعند الحديث عنه تطمح نفوس أهل الإيمان إلى لُقياه في الجِنان، إنّه محمد بن عبد الله ﷺ الذي بشّرت الأنبياء من قبله بنبوته، وهتفت الجنُّ في عهده ببعثته، وامتلأت السماء حرساً شديداً وشهباً لحفظ رسالته، فلما اقترب طلوع شمسه، كان لا يمرُّ بحجرٍ ولا شجرٍ إلا سمع من يقول له: السلام عليك يا رسول الله[1] ، دانت له جزيرة العرب، وهابته الأعاجم . فإن سألتَ عن شكل خِلقته: كيف كان؟ فإنك تسأل عن القمر ليلة تمامه، كان أجمل الناس وجهاً، وأبهاهم منظرًا، أبيضَ مُشرَبًّا بحمرة، رَبعةً من الناس، فليس بالطويل ولا بالقصير، عظيمَ الهامة، واسعَ الجبين، طويلَ الأنف مع صِغَر أرنبته، له نورٌ يعلوه، كثَّ اللحية، واسعَ الفم، مفلوجَ الأسنان، ليس بالنحيف ولا بالسمين، مستوي البطن والصدر، بعيدَ ما بين المنكبين، ليّنَ الملمس، كأن يده الحرير أو الديباج ﷺ .

بشرٌ ولكن في صفاتٍ كُمَّلٍ * فكأنه قد صيغ كيف يشاءُ

فالوجهُ بدرٌ والسماتُ مليحةٌ * واللفظُ دُرٌّ والشفاهُ شفاءُ

(١) حادثة تسليم الجبل والشجر ثابتة من غير طريق ، فقد أخرج بعضها الترمذي : (٣٦٣٠) والدارمي : (١ / ١٢) وأبو نعيم في " الدلائل " (ص ١٣٨) ، والحاكم : (٢ / ٦٢٠) من حديث علي رضي الله عنه ، وصححها الألباني في السلسلة الصحيحة " ٦ / ٣٧١ ، كما أخرج حادثة تسليم الحجر عليه ﷺ مسلم في صحيحه من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ص: (إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلّم عليَّ قبل أن أُبعث إني لأعرفه الآن).

بعثَه الله تعالى والأرضُ مملوءةٌ بعبادةِ الأوثان، وأخبارِ الكهّان، وسفكِ الدماء وقطيعةِ الأرحام، فدعا إلى عبادة الرحمن، صابراً على ما يلقَاه من تكذيبٍ، وإعراض وتهديد، رفَع الله ذكرَه، وأعلى شأنه، معجزاتُه باهرة، ودلائلُه ظاهرة، منصورٌ بالرعب، مغفورُ الذنب، أوّل من ينشقّ عنه القبر، وأوّلُ الناس يشفَع يوم القيامة، وأكثرُ الأنبياءِ تَبَعًا، وأوّل من يقرَع بابَ الجنة، كان عبدًا لله شكورًا، يقوم من الليلِ حتى تتفطّر قدماه، قرّةُ عينِهِ في الصلاة، يقوم لله مخلِصًا خاشعًا ، يقول عبد الله بن الشّخّير رضي الله عنه : أتيتُ رسولَ الله ﷺ وهو يصلّي ، ولجوفِه أزيزٌ كأزيزِ المِرجَلِ من البكاء[1].

أشدُّ الناسِ تَواضعاً، يجالِس الفقراءَ، ويُؤاكل المساكينَ، يخصِف نعلَه، ويخدم أهلَه، ولا يعيبُ على الخدَم ولا يوبِّخُهم، قال أنس رضي الله عنه : (خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، وَاللهِّ مَا قَالَ لِي أُفًّا قَطُّ، ولا قَالَ لِي لِشَيْءٍ لِمَ فَعَلْتَ كَذَا، وَهَلَّا فَعَلْتَ كَذَا) [2]، يوقِّر الكبارَ، ويتواضَع للصغار، بعيدًا عن الفخرِ والخيلاء، والكبرِ والاستعلاء، يقول: (إنما أنا عبدٌ، فقولوا: عبدُ الله ورسولُه) [3].

أعرض ﷺ عن هذه الدار، وعمِل لدار القرار، كانَ يقول: (ما لي وللدُّنيا؟! ما أنا والدّنيا، إلاّ كراكبٍ استظلّ تحتَ شجرةٍ ثم راح وتركها) [4] ، كان يمرّ به هلالٌ

---

(١) رواه أبو داود في سننه : (٩٠٤)، والنسائي في سننه : (١٢١٤)، وهو في صحيح الترغيب والترهيب للألباني ك (٥٤٤، ٣٣٢٩) .

(٢) متفق عليه : (البخاري : ٥٦٩١، ومسلم ٢٣٠٩) واللفظ له.

(٣) رواه البخاري في صحيحه : (٣٢٦١).

(٤) رواه الترمذي في سننه : (٢٣٧٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه : (٤١٠٩)، وصحّحه الألباني في صحيح الترمذي : (٢٣٧٧) ، وصحيح الجامع : (٥٦٦٨) .

وهلال، وما يوقَد في بيوتِه نار، ويبيتُ الليالِيَ المتتابعة طاوياً، وأهلُه لا يجِدون عشاءً، يقول عمر بنُ الخطاب رضي الله عنه : (لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم يلتوي، ما يجِد دقلاً - أي: رديء التّمر - يملأ به بطنه) [(١)] .

زهـد الـدُّنا مـترفعًا متواضـعًا * وسـما لآخـرةٍ بهـا النعـماءُ

جـاءتْ مفـاتيحُ الكنـوزِ فـردَّها * ومـضى يجـوعُ لتـشبعَ الفقـراءُ

يمضي الهلالُ معَ الهلالِ ولا يُرى * إلا تمـيراتٌ لديـه ومـاءُ

خِلاله ﷺ على سجيّته، لا يحِبّ تعظيمَ الألفاظ ولا تشدّقَها، جاء ناسٌ إليه فقالوا: يا رسول الله، يا خيرَنا وابنَ خيرنا، وسيّدَنا وابنَ سيّدِنا، فقال: (يا أيّها النَّاس، قولوا بقَولِكم، ولا يَستهوينّكمُ الشَّيطان ...) [(٢)] فأين الغُلاة؟ أين المبالغون في محبّته؟ أين الواصفون له بما ليس فيه؟ أين أنتم من هديه ﷺ ؟ .. يقول : (أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله، والله ما أحبُّ أن ترفعوني فوقَ منزلتي التي أنزلني الله عزَّ وجل) [(٣)].

جَاءَه رجلٌ فقال له: ما شاءَ الله وشِئتَ، فقال له: (أَجَعلتني لله ندًّا؟! قل: ما شاءَ الله وحده) [(٤)].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه : (٢٩٧٨). .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده : (١٣٠٤١) ، والنسائي في الكبرى : (١٠٠٧٨) وعبد بن حميد في مسنده : (١٣٠٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، وصححه الألباني في غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام : (٩٩) ، وكذا في السلسلة الصحيحة (١٠٩٧)..

(٣) المصدر السابق وهو من تكملة الحديث .

(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد : (٧٨٣) ، وابن ماجه في سننه : (٢١١٧) ، وصحّحه الألباني في السلسلة الصحيحة : (١٣٩).

أحبّهُ الصحابة حُبًّا جمًّا، إذا قال استمَعَوا لقوله، وإذا أمَر تبادروا إلى أمرِه، يقول أنس رضي الله عنه : (لم يكن شخصٌ أحبَّ إليهم من رسولِ الله) [١]، لقد نال الصحابة رضي الله عنهم شرف لقاء النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان لهم النصيب الأوفى من توقيره وتعظيمه، ولَمْ ولن يدركهم مَنْ بَعدَهم، وأجمل من وصف شأنهم في ذلك عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه حين فاوض النبي صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية، فلما رجع إلى قريش قال: (أي قوم! والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله ما رأيت ملِكاً قط، يعظمه أصحابه، ما يعظم أصحابُ محمدٍ محمداً، والله، إن تنخَّم نخامةً، إلا وقعت في كفِّ رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمَرَهم: ابتدروا أمره، وإذا توضأ: كادوا يقتتلون على وَضوئه، وإذا تكلم: خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدُّون النظر إليه، تعظيمًا له) [٢] ، صلى الله عليه وسلم جمع من الأخلاق أطيَبَها، ومن الآدابِ أزكاها.

يبجِّل أهلَ بيته، ويحسِن معاملتهم، إذا قدِمت إليه ابنته فاطمةُ الزهراء رضي الله عنها قام إليها، وأخذ بيدها، وقبَّلها، وأجلسها في مجلسه [٣]، وقال صلى الله عليه وسلم : (خيركم خيرُكم لأهله، وأنا خيركم لأهلي) [٤] ، شهد له خالقُه بعلوِّ خُلُقه، فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم:٤] .

---

(١) رواه الترمذي في سننه : (٢٧٥٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ، ومختصر الشمائل (٢٨٩) ، والمشكاة (٤٦٩٨).

(٢) رواه البخاري في صحيحه : (٢٥٨١).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه : (٥٢١٧) واللفظ له، والترمذي في سننه : (٣٨٧٢) وابن حبان في صحيحه : (٦٩٥٣) وفي لفظه "ورحّب بها" وهي للحاكم أيضاً وللبخاري في الأدب المفرد (٩٤٧).

(٤) رواه الترمذي في سننه : (٣٨٩٥) ، وابن ماجه في سننه : (١٩٧٧) ، وصححه الألباني في السلسلة

لقي من الحياة مشاقَّها، ومن الشدائدِ أحْلَكها، آذاه قومُه بالقولِ والفعل، واتَّهموه بالجنون، ورمَوه بالسِّحر، ووصفوه بالكذب، وقال الكافرون: هذا ساحِر كذّاب!! وفي أُحُدٍ كُسِرت رَباعيّته، وشُجّ في وجهه، وسالَ دمُه، آذوه ﷺ ، وأبكوه وطردوه، وأخرجوه من أرضه، وجرّدوه من كلِّ شيء! وهو يدعو إلى توحيد ربه، ويدافع عن دينه، فكان ﷺ يقوم بين يدي ربّه مجروحاً حزينًا ، متأثراً شاكياً إلى الله تعالى :

(اللهم إنّي أشكو إليك ضَعْف قُوَّتِي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تَكِلُني؟ إلى عدوٌ يَتَجَهَّمُنِي ؟ أم إلى قريب ملّكته أمري ؟ إن لم يكن بك عليّ غضبٌ فلا أبالي، ولكنّ عافيتك هي أوسعُ لي، أعوذ بنور وجهك .. الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن ينزل بي غضبُك، أو يحلَّ عليّ سَخَطُك ، لك العُتْبَى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك) [1].

الصحيحة : (٢٨٥) .

(١) وهذا يسمَّى دعاء الطائف وذلك أن المصطفى ﷺ لما مات أبو طالب اشتدّ أذى قومه له ، فخرج إلى الطائف رجاء أن يأووه وينصروه ، فأذاقوه أشدّ من قومه ورماه سفهاؤهم بالحجارة حتى دميت قدماه ، وزيد مولاه يقيه بنفسه حتى انصرف راجعا إلى مكة محزونا فدعا بهذا الدّعاء المشهور المذكور في كتب السيرة النبويّة ، انظر : السيرة النبويّة لابن كثير (٢/ ١٥٠) ، وزاد المعاد لابن القيم (٣/ ٢٨) ، وقد أورده السيوطي في الجامع الصغير وعزاه للطبراني ورمز له بالحسن ، وقد أخرجه الطبراني في الدعاء عن عبد الله بن جعفر ، وقال الحافظ الهيثمي في المجمع (٦/ ٣٥) : فيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات. ومنهم من ضعَّف هذا الأثر كالألباني في السلسلة الضعيفة : (٢٩٣٣) لعنعنه ابن إسحاق ، وقال الصّوياني في السيرة النبويّة الصحيحة ص ١٥٨ : إنّ حديث ابن إسحاق يتقوّى بالشواهد ، وذكرها .. وكذلك قوّاه إبراهيم العلي في صحيح السيرة ص ٩٨ . والله أعلم.

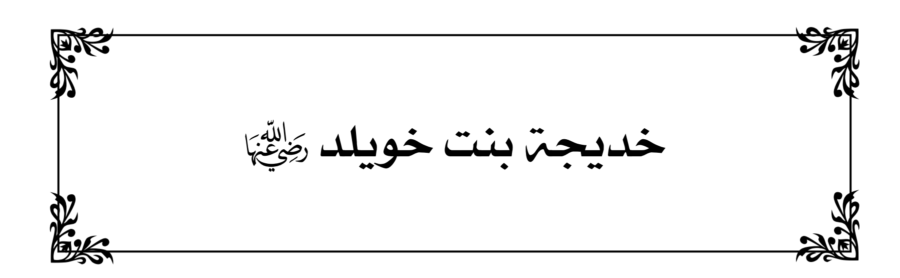
حصل له كلّ هذا، فهل وقف النبي ﷺ عن الدعوة إلى التوحيد؟ أبداً .. إنّها مسيرة العظماء الأبطال .. مسيرة الدعوة إلى توحيد الواحد الديّان .. قد عاش الحبيب ﷺ مرارتها وشدّتها ، وذاق بأسها وقسوتها، فقام ﷺ ثلاثاً وعشرين سنة، ما نام ولا استراح، أعطى الإسلام دمَه ودموعَه، أعطى الدعوة مالَه وكيانَه، أعطى الإسلامَ ليلهُ ونهارَهُ، فما نام ولا فتر، وما استراح ولا هدأ ، حتى أقام الدّين، ونشر الإسلام ، وأعلن: لا إله إلا الله.

أيّها الإخوة الكرام: إنّ من الظُّلمِ لشخصيّة محمدٍ ﷺ ومن الظلم للحقيقة، أن نقيس محمدًا ﷺ بواحدٍ من هؤلاء الآلاف من العظماء، الذين لمعت أسماؤهم في دياجي التاريخ .. فإنّ من العظماء من كان عظيم العقل ولكنّه فقيرُ العاطفة ! ومن كان بليغ القول وثّاب الخيال، ولكنّه سطحيّ الفكر! ومن برع في الإدارة أو القيادة، ولكنّ سيرته وأخلاقه كانت أخلاق السوقة الفجّار ! .. أمّا محمد ﷺ ، فهو وحده الذي جمع العظمة من أطرافها، وما من أحد من هؤلاء، إلا كانت له نواحٍ يحرص على سترها وكتمان أمرها، ويخشى أن يطّلع الناس على خبرها، نواحٍ تتصل بشهوته، أو ترتبط بأسرته، أو تدلّ على شذوذه وضعفه .

ومحمد ﷺ هو وحده الذي كشَف حياته للناس جميعًا، فكانت كتاباً مفتوحاً، ليس فيه صفحة مطبقة! ولا سطرٌ مطموس! يَقرأ فيه من شاء ما شاء! .. فأروني عظيمًا آخر، جرؤ أن يُغامر فيقول للناس: «هاكم سيرتي كلّها، وأفعالي جميعها، فاطّلعوا عليها، وارووا للصديق والعدوّ، وليجد من شاء مطعنًا عليها»! أروني عظيمًا آخر، دوّنت سيرته

بهذا التفصيل، وعرفت وقائعها وخفاياها، بعد ألفٍ وأربعمائة سنة، مثل معرفتنا بسيرة نبيّنا محمد ﷺ [١].

(١) سيد رجال التاريخ، لعلي الطنطاوي، ص ١٢، بتصرف.



خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

تسعدُ المرأةُ المسلِمة باقتِفاء أثر خيرِ نِساءٍ عِشنَ في أفضل القرون، وتهنأ المرأة الصّالحة عندما تقتدي بنساءٍ تربَّين في أَجلِّ البيوتِ: بيتِ النّبوّة، أعلَى الله مَكانتَهن، وأجَلَّ قَدرَهن، ونزَل القرآن بالثّناءِ عَليهنّ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ ﴾ [الأحزاب:٣٢] وقد حقّقن التقوى رضي الله عنهن ، لقد اختارهن الله لنبيّه، واصطفاهن من بين الخلائق لصفيّه، وفضلهن على نساء البرية بالمناقب العلية والفضائل السنية، فطهَّرهن في الدنيا من الأنجاس الحسية والمعنوية، وسلَّم قلوبَهنّ من الكفر والشرك والنفاق وسوء الطوية، وطهّر جوارحَ أمّهات المؤمنين رضي الله عنهن من الأفعال الرزيّة، قال تعالى : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴾ [الأحزاب:٣٢-٣٣]، وأزواج الرسول ﷺ من أهل بيته، كما تقدَّم.

نعم حديثنا في هذا الفصل عن إحدى زوجات النبي ﷺ ، أمهاتِ المؤمنين: وهي المرأةُ العاقِلَة، والذّكيةُ الحاذِقة، ذاتِ الدِّين والنسب: أمِّ القاسم خديجة بنتِ خُويلدٍ بن أسد رضي الله عنها نشأت على التخلُّق بالفضائلِ والتحلِّي بالآداب والكرَم، واتَّصفت بالعفّة

والشرف، كانت تُدعَى بين نساءِ مكّة بالطاهرة، تزوَّجَها المصطفى ﷺ فكانت نِعمَ الزوجة له، آوَته بنفسِها ومالها ورجَاحةِ عقلها، كان ﷺ يأوِي إليها، ويبُثّ إليها همومه.

سبحان الله .. مجردُ ذكرِ اسمِ «خديجة» رضي الله عنها يخلق فينا حنينًا إلى الماضي، ويذكّرنا بالدّعوة في أول أمرها، لاحَ الإسلام في دارِها، فكانت أوّلَ من آمن من هذه الأمة، قال ابن الأثير رحمه الله : «خديجة أوّلُ خلقِ الله أسلم بإجماعِ المسلمين، لم يتقدَّمها رجلٌ ولا امرَأَة »[1]، عندما ساق الله هدايته الكبرى إلى الأنام، في غَيبةِ أنوار التوحيد! أرسل إلى الأمة محمداً ﷺ برسالة عامة، ورحمةٍ دائمة، لجميع الناس وكل العصور، جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال ﷺ: (ما أنا بقارئ) قال ﷺ : (فأخذني فغطَّني حتى بلغ مني الجَهْد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ! فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ! فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم).

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، من هَول ما رأى، فدخل على زوجه خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: (زمِّلوني زمِّلوني) فزمّلوه حتى ذهب عنه الروع، فأخبر النبي خديجة الخبر، وقال: (لقد خشيت على نفسي)! فماذا فعلت خديجة؟ وكيف تصرّفت الزوجة العاقلة؟ تلقَّته بقَلبٍ ثابت، وسكَّنت جأشه، وقالت له: (كلاَّ .. أَبشِرْ! فوالله لا

(١) أسد الغابة (٥/ ٤٣٤).

يخزيك الله أبداً! إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلّ، وتُقْري الضيفَ، وتُعِين على نوائب الحقّ) [١] .

هكذا فلتكن الزّوجة الصّالحة، هكذا فلتكن المرأة العاقلة، تقف بجانب زوجها، تؤيّدُه وتعينُه وتنصرُه بالقول والفعل! بدأ النبي ﷺ يتعرّض إلى الأذى الجسدي من قومه وأهله وعشيرته، وهو بمكة يبلّغ رسالة ربه، ومن ذلك ما جاء عند البخاري أن عروة بن الزبير، سأل عبد الله بن عمرو بن العاص عن أشدِّ شيء صنعه المشركون بالنبي ﷺ ؟ فقال: (بينا النبي ﷺ يصلي في حِجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي ﷺ ، وقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟) [٢] ، وكان أبو لهب يتْبَع النبي ﷺ في مجامع الناس وأسواقهم، ويكذّبه [٣]، بينما كانت امرأته -أم جميل- تجمع الحطب والشوك وتلقيه في طريقه.

اضطهادٌ وتعذيب، إيذاءٌ وسخرية، إهاناتٌ متوالية، وفي كلّ هذا كانت السيّدة العظيمة خديجة بنت خويلد قلبًا حانيًا له ﷺ ، ورأياً ثاقباً، لا يسمَع من الناسِ شيئاً يكرهه ثم يرجِع إليها إلاّ ثبّتته وهوَّنت عليه، فكانت بحقٍ امرأةً عظيمة، وزوجةً بارّةً، لم تراجِع المصطفى ﷺ يوماً في الكلامِ، ولم تؤذِه في خِصام، **فماذا كانت النتيجة؟** أخرج

---

(١) وقد كان صلوات الله وسلامه عليه مشهورًا بهذه الصفات الجليلة والسّجايا الحسنة، عند الموافق والمفارق، والحديث متفق عليه: (البخاري : ٦٤٦٧ ، ومسلم : ٢٣١) من حديث أم المؤمنين عائشة، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٢) رواه البخاري في صحيحه : (٣٤٧٥) .

(٣) رواه ابن خزيمة بنحوه في صحيحه : (١٥٩)، قال محققه الأعظمي: إسناده صحيح، ورواه ابن حبان في صحيحه (٦٥٦٢) وصححه الذهبي في التلخيص على المستدرك (٤٢١٩) .

الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ، مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي) الله أكبر .. قال ابن القيّم رحمه الله : «وهي فضيلةٌ لا تعرَف لامرأةٍ سِواها» [١]، (وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ -أي اللؤلؤ المجوّف-، لا صَخَبَ فِيهِ وَلا نَصَبَ) [٢] . سبحان الله .. قال السّهيليّ رحمه الله : «إنما بشَّرها ببيتٍ، في الجنة لأنها لم ترفَع صوتَها على النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ولم تُتعِبه يومًا من الدهر، فلم تصخَب عليه يوماً، ولا آذته أبداً» [٣] ، هكذا فلتكن النساء ! ولذا كان الحبيب صلى الله عليه وسلم إذَا ذكرَها أعلَى شأنَها وشكَر صُحبتَها، ويقول صلى الله عليه وسلم : (إنّي قد رُزِقت حبَّها) [٤] . وتقول عائشة رضي الله عنها : (كان النبيّ صلى الله عليه وسلم إذا ذكَر خديجةَ لم يكن يسأَم من ثَناءٍ عليها ، واستغفارٍ لها) [٥] . صَلحت في نفسِها وأصلَحَت بيتَها، فجَنَت ثمرةَ جُهدها، فأصبَحَت هي وابنتُها خيرَ نساء العالمين في الجنّة، يقول صلى الله عليه وسلم : (أفضَلُ نِساء أهلِ الجنّة خديجةُ بنت خويلد وفاطمة بنت محمد، ومريمُ بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون) [٦] .

---

(١) زاد المعاد : (١/ ١٠٢) .

(٢) متفق عليه : (البخاري : ٣٦٠٩ ، ومسلم ٢٤٣٢).

(٣) البداية والنهاية : (٣/ ١٢٧)، ونقله ابن كثير في سيرته أيضاً : (٢/ ١٣٣).

(٤) رواه مسلم في صحيحه : (٢٤٣٥).

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٣/ ١٣-٢١)، قال الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٢٤): "أسانيده حسنة"، وقال ابن عساكر بعد أن ساقه في الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين (١/ ٥٦) : هذا حديث غريب من حديث غريب من حديث عبدالله البهي عن أن المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها لا يعلم رواه عنه غير وائل بن داود الليثي الكوفي رحمه الله والله أعلم .

(٦) أخرجه أحمد في مسنده : (٢٦٦٨)، (٢٩٠٣) ، وابن حبان في صحيحه : (٧٠١٠) ، وأبو يعلى في مسنده : (٢٧٢٢) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة : (١٥٠٨).

يا خِدرها كم كنتَ مَشْرِقَ رحمةٍ * وكم استفاضَ النور فيك وغـرّدا
ويجيء جبريـلُ الأمـين محيّيـا * من ربّه يُلقي السّلام مـردّدا
ومبشّرًا بالبيت من قصـبٍ لها ما * في قمّـةِ الفـردوس ربّي شيّـدا
مثـلُ خـدركِ يـا خـديجةُ رفعـةً * طُهـرًا وتـشريفًا ومجـدًا مُفـردا
لـولا حِـراءُ لكنـتَ أوّل منـزلٍ * أَهْدى إلى الدّنيا الرسالةَ والهدى



عائشة بنت الصّديق رضي الله عنها

أيّها الإخوة والأخوات: حديثنا عن أمّ المؤمنين عائشة بنت الصّديق رضي الله عنها، تلك المرأة العظيمة التي منحها الله عقلاً نيّرًا ، وفهمًا سديدًا ، وعلماً جمًّا، كان دورها عظيمًا في خدمة التراث الإسلامي، من خلال نقلها لأحاديث رسول الله ﷺ ، وتفسيرها لكثيرٍ من جوانب حياة الرسول ﷺ ، واجتهاداتها الموفّقة في شتى المسائل الشّرعية ، لتصبح معلمةَ أمةٍ بأكملها ! هي الصّدّيقة عائشة بنت الإمام الصديق الأكبر، خليفةِ رسول الله ﷺ أبي بكر عبدالله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرّة، بن كعب بن لؤي ؛ القرشيّة التيميّة، المكية النبوية، أم المؤمنين، زوجة النبي ﷺ ، كانت من أبرع الناس في القرآن والحديث ، والفقه والشّعر ، والأدب والطبّ .

يقول الحبيب المصطفى ﷺ : (كَمَلَ مِنْ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنْ النِّسَاءِ إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ) [(١)] ، فأيُّ عقلٍ عقلها؟ وأيُّ علمٍ علمها؟ وأي فقهٍ فقهها؟ تلكم هي عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها زوجة رسول الله ﷺ وأفقه نساء المسلمين، وأعلمهنّ بالقرآن والسنّة والفقه في الدّين، قال عنها الذّهبي : « أفقهُ نساءِ الأمةِ على الاطلاق ! » [(٢)] ، ولدت بمكة المكرمة في العام الثامن قبل الهجرة، تزوجها الرسول ﷺ في السنة الثانية للهجرة، فكانت أكثر نسائه روايةً لأحاديثه.

(١) متفق عليه : (البخاري ٣٢٣٠، ومسلم ٢٤٣١) من حديث أبي موسى رضي الله عنه .

(٢) سير أعلام النبلاء : (٢/ ١٣٥) .

كانت من أحبِّ نساء الرسول ﷺ إليه، سأل عَمرُو بنُ العَاص رضي الله عنه رسول الله ﷺ مرةً فقال: (أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ ﷺ : عَائِشَةُ، فَقُلْتُ: مِنْ الرِّجَالِ ، فَقَالَ: أَبُوهَا..) [(١)]، قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : «ما أشكل علينا –أصحابَ رسول الله ﷺ – حديثٌ قط، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً» [(٢)]، ولقد تميّزت السّيدة بعلمها الرفيع ، وفقهها السّديد ؛ لما منحها الله تعالى من عقلٍ ذكيّ ، ونفسٍ زكيّة ، وحافظةٍ قويّة .

ولحبّها الشديد للعلم والمعرفة ، فقد كانت تسأل وتستفسر إذا لم تعرف أمراً أو استعصت عليها مسألة، فعندما قال النبي ﷺ : (« من حُوسب عذب». قالت عائشة: فقلت: أوليس يقول الله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [الانشقاق: ٨]. قالت: فقال: إنّما ذلك العرض ، ولكن من نُوقش الحساب يهلك) [(٣)]، وإذا تطرّقنا إلى دورها العظيم في تفسير القرآن: فإننا نجد أنّ كونها ابنة أبي بكر الصديق رضي الله عنه هو أحد الأسباب الذي مكّنها من احتلال هذه المكانة في عالم التفسير، حيث إنها منذ نعومة أظفارها وهي تسمع القرآن، من فم والدها الصّديق، ونلاحظ ذلك من قولها: (لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ [القمر: ٤٦]، وما نزلت سورةُ البقرةِ والنساءِ إلا وأنا عنده) [(٤)] ! كما أنّها رضي الله عنها كانت تشهد نزول الوحي على رسول الله

---

(١) متفق عليه : (البخاري ٣٤٦٢، ومسلم ٢٣٨٤) .

(٢) رواه الترمذي في سننه : (٣٨٨٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ، والمشكاة : (٦١٨٥) .

(٣) متفق عليه : (البخاري ١٠٣ واللفظ له، ومسلم ٢٨٧٦).

(٤) رواه البخاري في صحيحه : (٤٧٠٧).

ﷺ ، قال النبي ﷺ: (وَاللهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرَهَا) (١)، وكانت رضي الله عنها تسأل الرسول ﷺ عن معاني القرآن الكريم، وإلى ما تشير إليه بعض الآيات، فجمعت بذلك شرف تلقي القرآن من النبي ﷺ فور نزوله، وتلقي معانيه – أيضاً– من رسول الله ﷺ ، إضافةً إلى علمِها باللغة العربية، وفصاحةِ لسانها، وعلوِّ بيانها.

وإذا أتينا إلى جانب روايتها للحديث النبوي الشريف: فإنّنا نراها من كبار حفّاظ السنة من الصحابة! فقد حازت رضي الله عنها : المرتبة الخامسة في حفظ الحديث وروايته، حيث إنها أتت بعد: أبي هريرة، وابن عمر، وأنس بن مالك، وابن عباس .. رضي الله عن الجميع، ولكنها امتازت عنهم بأنّ معظم الأحاديث التي روتها عن النبي ﷺ كانت تتضمّن السنن الفعليّة في حياة الرّسول ﷺ ، والشؤون الزوجيّة والعائلية، والجوانب الخاصّة في حياته ﷺ ، والتي لم يطّلع عليها إلا زوجاته رضي الله عنهن .

ومع ذلك أقول: لا يحسبنّ إنسانٌ أنّها بلغت ما بلغت، بالعلم وحده! بل كان عمَلُها يسابقُ عِلمَها، ونحن نتعجّب عندما نقرأ سيرتها، كيف كان صبرها في تعليم النّاس، وكيف كان جَلَدها في ميدان عبادة الله تعالى، والقيامِ بين يديه، يقول عنها ابن أخيها القاسم بن محمد: « كنتُ إذا غدوتُ، أبدأ ببيت عائشة رضي الله عنها ، أسُلِّم عليها، فغدوت يوماً فإذا هي قائمةٌ تسبح وتقرأ قوله تعالى: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الطور: ٢٧، ٢٨]، وتدعو وتبكي وتردّدها،

(١) رواه البخاري في صحيحه : (٣٥٦٤) .

فقمتُ حتى مللت القيام، فذهبت إلى السوق لحاجتي، ثم رجعت فإذا هي -ما زالت- قائمة»[1]، فسبحان الله ما أشد صبرها على العبادة !

ولَو كانَ النِّساءُ كمَنْ ذكَرنا ❊ لَفُضِّلت النِّسَاءُ على الرِّجَالِ

ومما ذكره عنها عروة أيضاً، قال: «كانت عائشة رضي الله عنها لا تُمسك شيئاً مما جاءها من رزق الله، إلا تصدّقت به، وتصدّقت رضي الله عنها بسبعين ألفِ درهم، وإنها لترقِّع جانب درعها»[2]، والله يبتلِي من عباده من يحِبّ، والابتلاء على قدرِ الإيمان، رُمِيت عائشة رضي الله عنها بهتاناً في حادثة الإفك، وعُمرُها اثنَا عشرَ عاماً، قالت: «فبكَيتُ حتى لا أكتحِل بنوم، ولا يَرقأ لي دَمع، حتى ظنَّ أبواي أنّ البُكاءَ فالِقٌ كبِدِي»[3]، قال ابن كثير رحمه الله: «فغارَ الله لها، وأنزَل براءتها، في عشرِ آيات تتلَى على الزمان، فسَما ذكرُها، وعلا شأنها؛ لتسمَعَ عَفافَها وهي في صباها، فشَهِدَ الله لها بأنها من الطيّبات، ووعَدَها بمغفرةٍ ورزق كريم»، فرضي الله عن الطّاهرة العفيفة، الصديقة الشريفة، عائشةَ أم المؤمنين زوجِ رسول الله ﷺ .

توفيّت السيدة عائشة رضي الله عنها وهي في السادسة والستين من عمرها، بعد أن تركت أعمق الأثر في الحياة الفقهية والحديثيّة والاجتماعية، وحفظت لنا بِضعة آلاف من الحديث عن رسول ﷺ ، لقد عاشت السيدة بعد رسول الله ﷺ لتصحيح مفهوم الناس في المرأة العربية والمسلمة، فقد جمعت رضي الله عنها بين جميع جوانب العلوم الإسلامية، من فقهٍ وحديث

(١) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ٣١).

(٢) روى الجزء الأخير ابن سعد في الطبقات (٨/ ٦٦) وهناد بن السري في الزهد (٦١٢) وأما الجزء الأول فأخرجه البخاري (٣٣١٤) ولكن في سياق آخر.

(٣) جزء من الحديث الطويل المعروف بحديث الإفك ، وهو حديث متفق عليه : (البخاري ٣٩١٠، ومسلم ٢٧٧٠) من حديث أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها.

وتفسير، وبين علمها بالطبّ والشّعر والنّسب، حتى قال عنها عروةُ بن الزبير: «ما رأيت أحداً من الناس أعلم بالقرآن ولا بفريضة، ولا بحلالٍ ولا بحرام، ولا بشِعْرٍ ولا بحديث العرب، ولا بنسب، من عائشة رضي الله عنها »[١] ! **وقال الذّهبي** : « وكانت امرأة بيضاء جميلة ، ومن ثمَّ يقال لها: الحميراء ، ولم يتزوّج النبي ﷺ بِكرًا غيرها، ولا أحبَّ امرأة حبَّها ، ولا أعلم في أمة محمدٍ ﷺ ، بل ولا في النساء مطلقا، امرأةً أعلم منها ! »[٢]، فرضي الله عنها وأرضاها .

وفي الختام .. دعوني أتساءل : أين نساء المسلمين اليوم عن هذه الميادين؟ ميادين العلم والقرآن الكريم، والحديث والفقه في الدّين .. هل عقمت نساءنا أن تلد فتياتٍ عظيمات؟

(١) رواه أبو نعيم في الحلية : (٢/ ٥٠) ، وبنحوه في المعجم الكبير للطبراني (٢٣/ ١٨٢ - ٢٩٤) ، وابن أبي شيبة في المصنف (٢٦٠٤٨) (٣١٠٣٨) ، وقال الهيثمي: رواه الطبراني بإسناد الذي قبله، وإسناد الذي قبله قال عنه: حسن.

(٢) سير أعلام النبلاء : (٢/ ١٣٥) .



أمّ سلمة المخزوميّة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

معنا اليوم منقبةٌ عظيمةٌ للصّابِرة الحيِيَّة أمِّ سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : هند بنت أبي أمية المخزومية القرشية، المشهورة بكنيتها: أمِّ سلمة، من أكمل النساء عقلاً وخلقًا، والدُها سيّدٌ من سادات قريشٍ، وهي بنت عمّ خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وبنت عم أبي جهل بن هشام، كانت أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، من الجيل الأوّل الذي أسلم مبكّراً في مكة، ونالت في ذلك ما ناله المؤمنون من صنوف الأذى وألوان العذاب، كانت قبل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند أخيه من الرضاعة أبي سلمة بنِ عبدِ الأسد المخزومي، الرجلِ الصالح، وانطلقت مهاجرة مع زوجها إلى الحبشة، هاربةً بدينها من أذى قريشٍ واضطهادها، وولدت له ابنَهُ «سَلَمة».

ثم تتابعت الأخبار على المهاجرين إلى أرض الحبشة بأن المسلمين في مكة قد كثر عددهم، وأنّ إسلام حمزةَ بن عبد المطلب وعمرَ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قد شدّ من أزر المسلمين، وكفّ أذى قريش عنهم، فعزم فريق منهم على العودة إلى مكة، فكانت أم سلمة وزوجُها في طليعة العائدين، لكن سرعان ما اكتشف العائدون أنّ تلك الأخبار كان مبالغًا فيها، ولقد تفنّن المشركون في تعذيب المسلمين وترويعهم! عند ذلك أذن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة، فعزمت أم سلمة وزوجها على أن يكونا أول المهاجرين، فراراً بدينهما وتخلصًا من أذى قريش، لكن هجرة أم سلمة وزوجها لم تكن سهلة ميسرة لهما، وإنما كانت شاقةً مُرَّة! حيث قام قومها بنو مخزوم بمنعها من الخروج، فانطلق زوجها مهاجِراً لوحده، أمّا طفلها: «سَلَمَة» فقد انتزعه منها: قومُ زوجِها بنو عبد

الأسد وجعلوه عندهم، وهكذا تفرّق شمل الأسرة ، وابتُليت أمّ سلمةَ بلاءً عظيماً ، فكانت تخرج كل يوم إلى بطحاء مكة تبكي، وتتألم لما أصابها، كانت تستعيد صورة اللحظات التي حِيلَ فيها بينها وبين ولدها وزوجها، وتظلّ تبكي وتبكي حتى يخيِّم عليها الليل، ظلّت على حالتها هذه قرابة السّنة!

فمرّ بها رجلٌ من قومها، فرقّ لحالها، ورحمها، وقال لبني قومها: «ألا تطلقون هذه المسكينة؟ فرّقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها» وما زال بهم يَسْتلِين قلوبَهم، ويَستدرُّ عَطفهم، حتى قالوا لها: «الحقي بزوجك إن شئت»، فقالت لهم: «ولكن كيف لي أن ألحق بزوجي في المدينة، وأترك ولدي فلذة كبدي في مكة عند بني عبد الأسد ؟»، فرأى بعض الناس ما تعالج من أحزانها وأشجانها، فرقّت قلوبهم لحالها، وكلّموا بني عبد الأسد في شأنها، واستعطفوهم عليها، فردّوا لها ولدها: «سلمة».

فخرجت متوجهةً نحو المدينة تريد زوجها، وبذلك اجتمع الشمل الشتيت بعد طول افتراق، وقَرَّت عينُ أمُّ سلمة بزوجها، وسعد أبو سلمة بصاحبَتِهِ وولده، فولدت له أيضًا بنتين وابناً [1] ، ثم طفقت الأحداث تمضي سِراعًا كلمح البصر، فهذه غزوة «بدر» يشهدها أبو سلمة، ويعود منها مع المسلمين، وقد انتصروا نصرًا مؤزراً، وهذه غزوة «أُحُد» يخوض غمارها بعد بدر، ويَبلي فيها أحسن البلاء وأكرمه، لكنه يخرج منها وقد جُرح جرحاً بليغاً، فما زال يعالجه حتى بدا له أنه قد اندمل، لكن الجرح ما لبث أن انتكأ ولزم أبو سلمة الفراش.

---

(١) انظر قصتها في سيرة بن هشام (٢/ ٣١٥)، وسيرة ابن كثير (٢/ ٢١٥) .

وأمام تلك المصائب والشدائد، ما كان من أمّ سلمة إلا أن ردّدت ما سمعته من رسول الله ﷺ ، حيث قال: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهمَّ أجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْراً مِنْهَا، إِلاَّ أَخْلَفَ الله لَهُ خَيْراً مِنْهَا ...) ظلّ أبو سلمة على فراشِ مرضه أياماً، ثمّ جاءت اللحظة الحاسمة التي فارق فيها أبو سلمة الحياة! ومع ذلك ظلّت أم سلمة صابرة محتسبة، وردّدت ما سمعته من رسول الله ﷺ: (إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهمَّ أجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْراً مِنْهَا، إِلاَّ أَخْلَفَ الله لَهُ خَيْراً مِنْهَا).

قالت أم سلمة: (فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ اللهِ ﷺ) [1]، طبعاً.. حَزِن المسلمون لمصاب أم سلمة، وشعر المهاجرون والأنصار معاً بحقِّ أم سلمة عليهم، فما كادت تنتهي من حدادها على «أبي سلمة» حتى تقدّم لخطبتها: أبو بكر الصديق رضي الله عنه ؛ ليخفّف من مصابها، ويقومَ على شؤونها، ويعولَها مع أبنائها، لكنها أبت أن تستجيب لطلبه، ثم تقدّم لها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فردّته كما ردت صاحبه، ثم تقدّم لها رسول الله ﷺ ، حيث أرسل إليها حاطبَ بنَ أبي بلتعة رضي الله عنه يخطبها لرسول الله ﷺ ، فقالت له أمّ سلمة: (إِنَّ لِي بِنْتاً، وَأَنَا غَيُورٌ) يعني ما يمنعني من الموافقة على أمر الزّواج منك هو أمران: أنّ لديّ بنتًا وأنا مشغولٌة بها، وهي لا تستغني عنّي، والأمر الثّاني: أنّي امرأةٌ ذات غيرةٍ شديدةٍ، وهذه الغيرة قد تضايقك وتؤذيك!

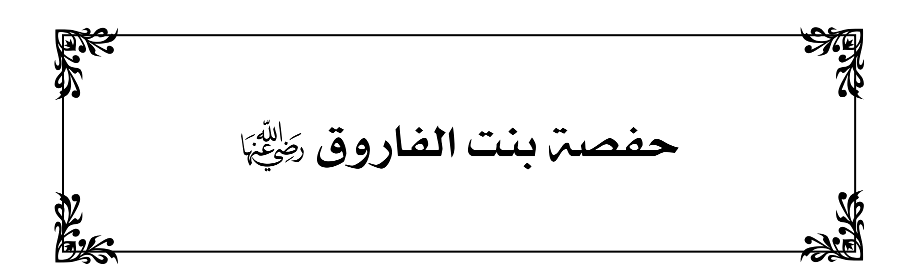
---

(١) رواه مسلم في صحيحه : (٩١٨) .

فماذا كان جواب النبي ﷺ ؟ قال: (أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا، وَأَدْعُو اللهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ) [(١)]، وهكذا تمّ الزواج المبارك بين النبي ﷺ وبين أمّ سلمة المخزوميّة، واستجاب الله دعاء نبيّه ﷺ : فأغنى ابنتها عنها، وأذهب غيرتها، كما استجاب الله دعاء أمّ سلمة عندما دعت قائلةً: (اللَّهمَّ أجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْراً مِنْهَا) فأخلفها الله تعالى خيرًا من أبي سلمة، ألا وهو رسول الله ﷺ جزاء حُسن صبرها، وصدقِ دعائها، ومنذ ذلك اليوم لم تبق «هند المخزومية» أمًّا لسَلَمة وحده، وإنّما غدت أمًّا لجميع المؤمنين ! قال الله : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ ﴾ [الأحزاب:٦] ، نضّر الله وجه أم سلمة في الجنة، ورضي عنها وأرضاها.

ومن مناقبها رضي الله عنها : أنها تشرّفت برؤية جبريل عليه السلام في صورة «دِحْيَةَ الكلبي»، كما شهد لها النبي ﷺ أنها على خير، وأكرمها الله بالسداد والصواب فيما تشير به، وكان لها «يوم الحديبية» رأيٌ أشارت به على النبي ﷺ دلّ على وفور عقلها [(٢)]، ولقد كانت رضي الله عنها جليلة القدر عظيمة المكانة، وكانت من أجمل النساء وأشرفهن نسباً، وكانت آخرَ من مات من أمهات المؤمنين، عُمِّرت حتى بلغها مقتلُ الإمامِ الحسين رضي الله عنه في كربلاء، فوجمت لذلك، وغُشي عليها، وحزنت عليه كثيراً، ولم تلبث بعده إلا يسيراً، وانتقلت إلى الله –تعالى–، فرضي الله عنها وأرضاها.

(١) المصدر السابق .
(٢) انظر: صحيح البخاري (٢٥٨١) .



حفصة بنت الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

هناك من النّساء من لم يقتصر دورهنّ على صنع التاريخ، بل هناك من نزل فيهنّ قرآن يُتلى على الأسماع على مرّ الزّمان، يضعُ أحكاماً، ويُقرُّ قواعدَ، ويُسِنّ تشريعَات تَضبِط حركة الحياة، وتُرشد الناس إلى ما ينبغي أن تكون عليه شؤون حياتهم ومعاملاتهم العامة والخاصة، من تلك النساء العظيمات: أمّ المؤمنين السيدة حفصةُ بنتُ عمرَ بنِ الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، هذه المرأة العظيمة، الصّالحة المطيعة .

وُلدت السيدة حفصة بنت عمر وقريش تبني البيت الحرام، قبل بعثة الرسول ﷺ بخمس سنين، وهي شقيقة عبد الله بن عمر، وأمها زينبُ بنتُ مظعون بنِ حبيب، وهي من المهاجرات إلى المدينة، تزوّجت من: «خُنيس بن حذافة السّهمي»وهو من أصحاب الهجرتين، هاجر إلى الحبشة مع المهاجرين الأولين فرارًا بدينه وعقيدته، ثم إلى المدينة نصرة لنبيه ﷺ ، وقد هاجرت «حفصة» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مع زوجها «خُنيس» إلى المدينة المنوّرة، فراراً بدينها بأمر رسول الله ﷺ ، وزوجها «خُنيس»: قد شهد بدرًا أولا ثم شهد أحدًا، فأصابته جراحة توفي على أثرها، وترك من ورائه زوجتَه: حفصةَ بنتَ عمر، شابةً في ريعان العمر.

لّما توفي زوجها «خُنيس بن حُذافة»، شقّ ذلك على عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وتألّم لمصاب ابنته الشابّة، وأحزنه رؤية ملامح الترمّل تغتال شبابها، فأراد أن يواسي ابنته في مصابها، ويعوّضها ذلك الحرمان، فقام يبحث لها عن زوجٍ صالح، بعد انقضاء عدّتها،

حتى وقع اختياره على عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فأتاه فعرض عليه ابنته فقال عثمان: «سأنظر في أمري»، ثم لم يلبث أن اعتذر لعمر، بأنه لا رغبة له في الزواج، فقام عمر فعرض ابنته على أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه ، فسكت أبو بكر، ولم يَرجِع إليه بجواب!

حينها تألّم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ووجد عليهما، وانكسر، وشكا حاله إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، من إعراض عثمان وأبي بكر رضي الله عنهما عن الزّواج بابنته حفصة رضي الله عنها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر: (يتزوّج حفصةَ من هو خير من عثمان، ويتزوّج عثمانُ من هي خير من حفصة)، لعلّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يدرك في أول الأمر ما قصده النبي صلى الله عليه وسلم ، فلبث عمر ليالي بعد ذلك، فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم يخطب «حفصة» لنفسه، فزوّجه عمر إيّاها، وهذا مصداق ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم : (يتزوّج حفصة من هو خير من عثمان)، كما زوّج الرسول صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفّان رضي الله عنه بابنته أمّ كلثوم بعد وفاة أختها رقية ، وكان هذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم: (ويتزوّج عثمان من هي خير من حفصة).

وبعد أن تمّ هذا الزواج المبارك .. لقي أبو بكر رضي الله عنه عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه بعد أيام، فقال له أبو بكر: لعله كان في نفسك شيءٌ عليّ، حين لم أُرجع إليك جواباً في حفصة؟، فقال عمر: نعم، قال: فإنه لم يمنعني من ذلك، إلا أني قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو تركها لقبلتها) [1]... وهكذا شرّفها الله سبحانه لتكون زوجة النبي صلى الله عليه وسلم ، تقتبس من أنواره، وتنهل من علمه، بما حباها الله من ذكاءٍ وفطنةٍ، وعبادةٍ وطاعة، فرضي الله عنها، وبذلك تحقّقت فرحة عمر

(١) انظر القصة كاملة في طبقات ابن سعد، والاستيعاب (١/ ٥٨٤) وأسد الغابة (٥/ ٤٢٥) والإصابة (٧/ ٥٨٢).

بن الخطاب وابنته حفصة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وبارك الصحابة يد رسول ﷺ وهي تمتدّ لتكرم عمر بن الخطاب، بشرف المصاهرة منه عليه الصلاة والسلام، وتمسحَ عن حفصةَ آلام الترمّل والفرقة، إكرامًا لهجرتها وصبرها، ولزوجها المهاجر المجاهد الشهيد، وكان زواجه ﷺ بحفصة سنة ثلاثٍ من الهجرة، على صداق قدره أربعمائة درهم، وسِنُّها يومئذ عشرون عاماً، وهكذا حظيت حفصة بنت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بالشّرف الرفيع، بدخولها بيت النبي ﷺ.

وحَصَل أنّ النبي ﷺ طلّقها تطليقةً واحدة، فبكتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ! وبكى أبوها عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وحثا على رأسه التراب، وقال: «ما يعبأ الله بعمر وابنته»، فنزل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ من الغد، يُعلِم رسول الله ﷺ ، بأمر الله تعالى، قائلاً له: (راجع حفصة، فإنها صوّامةٌ قوامةٌ، وإنّها زوجتك في الجنّة) [1]، إنّها حفصة «الصوّامة القوّامة» شهادةٌ صادقة من أمين الوحي جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبشارةٌ محقّقة: إنّها زوجتك يا رسول الله في الجنة!.

وقد وَعَتْ حفصة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مواعظ الله حقّ الوعي، وتأدّبت بآداب كتابه الكريم حقّ التأدّب، وقد عكفت على القرآن تلاوةً وتدبرًا وتفهّمًا وتأملاً، ممّا أثار انتباه أبيها الفاروقِ عمرَ بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، إلى عظيم اهتمامها بكتاب الله تبارك وتعالى، مما جعله يوصي بالمصحف الشريف الذي كُتب في عهد أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وكتابته كانت على

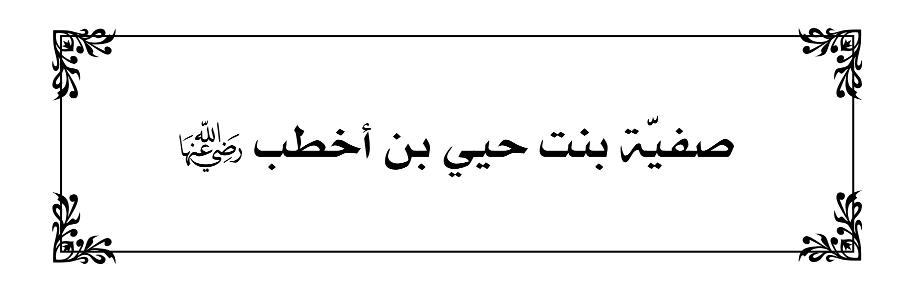
(١) روى الجملة الأخيرة منه الحاكم في المستدرك (٦٧٥٤،٦٧٥٣) عن قيس بن زيد وأنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وحسنه الألباني، انظر صحيح الجامع (٤٣٥١)، وأما القصة في أوله فرواها الطبراني بنحوها في كبيره (١٧/ ٢٩١-٨٠٤) (٢٣/ ١٨٨-٣٠٧) وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٥١) من حديث عقبة بن عامر وفي إسناد الطبراني عمرو بن صالح الحضرمي، لم يعرفه الهيثمي، وهو كما قال فإنّه بعد البحث لم نجده في كتب الرجال .

العرضةِ الأخيرة، التي عارض جبريل بها النبي ﷺ مرتين في شهر رمضان من عام وفاته، أوصى عمر بن الخطاب بهذا المصحف إلى ابنته حفصةَ أمِّ المؤمنين!

فصار هذا الأمر من أعظم مناقبها رضي الله عنها : اختيارُها لتحفظ النسخة الأولى من المصحف الشّريف، والتي جمعها أبو بكر رضي الله عنه ، من أفواه الرجال، ومن الأكتاف والرّقاع! بعد أن مات أكثر القرّاء ، وظلت معها تلك الوديعة الغالية حتى خلافة عثمان رضي الله عنه ، حيث أرسل أمير المؤمنين عثمان بن عفّان رضي الله عنه إلى أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها أن أرسلي إلينا بالصُّحُف، ننسخها في المصاحف، وحلف لها ليردنّها إليها، فأعطته، فعرض المصحف عليها، فردّها إليها، وطابت نفسه، وأمر الناس فكتبوا المصاحف.

تلك هي الوديعة الغالية!! تخيّلوا معي أيّها الإخوة والأخوات: كانت معها النّسخةَ الوحيدةَ الفريدةَ من القرآن الكريم .. أيّ شرف وأيّ منزلة وأي منقبة، فحفظتها حفصة بكل أمانة، ورعتها بكل حفظٍ وصيانة، فحفظ لها الصحابة والتابعون وتابعوهم من المؤمنين إلى يومنا هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ذلك الذكر الجميل، الذي تُذكر به كلمّا تذاكر المسلمون جمع المصحف الشريف في مرحلتيه: في عهد الصديق أبي بكر رضي الله عنه ، وفي عهد ذي النورين عثمان رضي الله عنه .

وبعد حياةٍ حافلةٍ بالذّكر وقراءة القرآن، والعبادة والقيام والصّيام، توفيت حفصة رضي الله عنها ، سنة إحدى وأربعين للهجرة عام الجماعة، بعد أن بلغت من العمر السّتّين، وشيّعها أهل المدينة إلى مثواها في مقبرة البقيع، مع أمهات المؤمنين رضي الله عنهن جميعاً.



صفيّة بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها

من واجبنا نحن كمسلمين أن نعرف أسماء أمهاتنا ، وأحوالهنّ وصفاتهنّ، كيف لا وهنّ زَوجاتٌ مبارَكات، ونِساء عظيمَات، وقدوات جليلات، إضافةً إلى أنّ الحديث عنهنَّ جانب من الحديث عن النبي ﷺ ، والحديث عنه أطيب حديث، فإليكم أيها الإخوة تعريفٌ ميسرٌ عن أحوال إحدى تلك النساء العظيمات، التي ارتضاها رسول الله ﷺ زوجًا له، ألا وهي: أمُّ المؤمنين الوجيهةُ صفيّةُ بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها كانت يهودية، فأبوها سيد بني النضير، مِن ذرّيّة هارونَ أخي موسى عليه السلام.

تنقل لنا أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها ، حادثةً وقعت لها قبل إسلامها، فتقول: (كنتُ أحبَّ ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل قباء، غدا عليه أبي وعمي مغلّسَين، فو الله ما جاءانا إلا مع مغيب الشمس) خرجا كي يريا هذا الرجل، الذي ظهر في جزيرة العرب ويزعم أنّه نبي، ويأتيه نبأ السماء!! ما خبر هذا الرجل أصادقٌ أم كاذب؟ ما صفاته؟ ما شمائله؟ تقول: (فأتيا كالَّين ساقطين يمشيان الهوينى، فهششتُ إليهما ، فوالله ما التفت إليَّ واحد منهما، مع ما بهما من الغمِّ، فسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي: «أهو هو؟»، قال:«نعم والله»، قال عمي: «تعرفه بنعته وصفته؟»، قال: «نعم والله»، قال: «فما في نفسك منه؟ »أجاب: «عداوته والله ما بقيت أبدًا») [(١)].

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٣٦٣) .

هؤلاء هم اليهود؟ ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [المؤمنون:٦٩] لقد جاء ذكر اسم «**محمّد**» في التوراة صريحاً، كما جاء اسم: «**أحمد**» في الإنجيل : ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٤٦]، لكنه الجحود والإنكار!

فلمّا كان الصّراع بين اليهود وبين النبي ﷺ يوم خيبر، قُتل «كنانة» زوج صفيّة بنت حيي بن أخطب، وأُخذت هي مع الأسرى، فاصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه، وخيّرها بين الإسلام والبقاء على دينها قائلاً لها: (اختاري، فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسي -أي: تزوّجتك-، وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقي بقومك)، فقالت صفيّة: «يا رسول الله، لقد هويتُ الإسلام، وصدّقت بك قبل أن تدعوني، وخيرتني الكفر والإسلام، فالله ورسوله أحب إليّ من العتق وأن أرجع إلى قومي» [١] أسلمت هذه المرأة العاقلة الذّكية، ثم إن رسول الله ﷺ أعتقها وتزوّجها، وجعل عتقها صداقها [٢]، وكانت الوليمةُ في زواجِها: السّمن والأقِط والتمر، فكان زواجاً ميسَّراً مباركاً، وكان هدف رسول الله ﷺ من زواجها إعزازُها وإكرامُها ورفعُ مكانتها، وتعويضُها خيراً ممن فقدت من أهلها وقومها، ويضاف إلى ذلك إيجاد رابطة المصاهرة بينه وبين اليهود، لعله يخفّفُ عداءهم، ويمهّدُ لقبولِهم دعوة الحق .

---

(١) انظر الطبقات االكبرى لابن سعد : (٨/ ١٢٣) .

(٢) متفق عليه : (البخاري ١٥٣٩، ومسلم ١٣٦٥) من حديث أنس رضي الله عنه .

عن أنس ﷺ قال: (رأيت رسول الله ﷺ يُحوِّي لها وراءه بعباءة، ثم يجلس عند بعيره، فيضع ركبته، فتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب) [١]، ورأى رسول الله ﷺ بعيني صفية خضرة فقال: (ما هذه؟)، فقالت: إني رأيتُ - أي في المنام- كأنّ القمر أقبل من يثرب، فسقط في حجري، فقصَصْتُ المنام على ابن عمي ابن أبي حقيق، فلطمني! وقال: تتـمنّين أن يتزوجك ملك يثرب! [٢].

ولما مرض رسول الله ﷺ تأثّرت ﷺ لمرضه، وتمنت أن لو كانت هي مكانَه، فقد أورد ابن حجر في الإصابة وابن سعد في الطبقات، عن زيد بن أسلم ﷺ قال: (اجتمع نساء النبي ﷺ في مرضه الذي توفي فيه، فقالت صفية بنت حيي: إني والله يا نبي الله، لوددتُ أنّ الذي بك بي، فتغامزت زوجات النبي ﷺ ، فقال ﷺ : والله إنها لصادقةٌ) [٣]، كانت ﷺ امرأةً شريفة، عاقلةً ذات حسب أصيل، وجمال ورثته من أسلافها، وكان من شأن هذا الجمال أن يؤجّج مشاعر الغيرة في نفوس نساء النبي ﷺ ، ولم يَفُتْ ذلك على النبي ﷺ ، فكان يسلّيها ويهدئ ما بها.

ومن تلك المواقف أنّ يوماً من الأيام قامت أمّنا: «حفصةُ بن عمر» زوجُ النبيّ ﷺ ، وعيّرت صفيّةَ بنت حيي بن أخطب بأنهّا بنتُ يهوديّ، وذلك من باب الغيرة بين

(١) رواه البخاري في صحيحه : (٢١٢٠)، ومعنى يحوي لها: جعل تحتها على سنام الراحلة كساء محشواً يحفظها من السقوط ويريحها بالإسناد إليه .

(٢) انظر: صحيح ابن حبان (٥١٩٩) والطبراني في الكبير (٢٤/ ٦٧ - ١٧٧) والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٣٧-١٨١٦٨)، قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

(٣) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٢٠٩٢٢مرسلاً) والطبقات الكبرى (٢/ ٣١٣، ٨/ ١٢٨) وذكره الحافظ في الإصابة (٧/ ٧٤١)، وحسَّن إسناده مع إرساله .

الضرّات، فَدَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ وَوجدها تَبْكِي! فَقَالَ لها الحبيب ﷺ: مَا يُبْكِيكِ؟ فَقَالَتْ صفيّة: قَالَتْ لِي حَفْصَةُ إِنِّي بِنْتُ يَهُودِيٍّ، فسلاّها النبي ﷺ بقوله: (إِنَّكِ لَابْنَةُ نَبِيٍّ) لأنها من ذرية النبيّ هارون عليه السلام ، (وَإِنَّ عَمَّكِ لَنَبِيٌّ) أي موسى عليه السلام، و(إِنَّكِ لَتَحْتَ نَبِيٍّ) يقصد نفسه ﷺ ، ثمّ قال: (فَفِيمَ تَفْخَرُ عَلَيْكِ؟) سبحان الله! هكذا كان النبي ﷺ في بيته، يحلّ مشكلات زوجاته! بكلمات لطيفة، وعباراتٍ جميلة، قطع بكاءها، ورسم البسمة المشرقة مكانها، ودلّها على أمرٍ تفتخر به على بقيّة زوجاته أمّهات المؤمنين، ولم يكتف بذلك، بل عاتب الحبيب ﷺ زوجه حفصة على ما بدر منها قائلاً: (اتَّقِي اللهَ يَا حَفْصَةُ) [(١)] .

ومن مواقفها الدالة على حلمها وعقلها، ما ذكرته كُتب السير من أن جارية لها أتت عمر بن الخطاب رضي الله عنه تشتكي صفيّة، فقالت: إن صفيةَ تحبُّ يوم السبت، وتصل اليهود، فبعث عمر يسألها عن هذين الأمرين، فقالت أمّ المؤمنين صفيّة: أما يومُ السبت فلم أحِبُّهُ منذ أبدلني الله به يومَ الجمعة، وأما اليهود فإنّ لي فيهم رحماً فأنا أصلها، سبحان الله حتى بعد إسلامها، لم ينقطع اتّصالها بأهلها من يهود بني النّضير، بل كانت تزورهم، وتصل رحمها فيهم، وهذا من حُسن أخلاقها، وكمال عقلها ثم إنّ صفيّةَ سألت تلك الجارية: ماحملكِ على ما صنعت؟ قالت الجارية: الشيطان، فقالت صفيّة: اذهبي فأنت حرة لوجه الله! [(٢)] من منّا يستطيع أن يُقابل الإساءة بالإحسان؟ قلةٌ هم الذين يملكون القدرة على فعل هذا ألا وهم العظماء!

(١) رواه الترمذي (٣٨٩٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، والمشكاة (٦١٨٣) .

(٢) انظر الاستيعاب (١/ ٦٠٥) وغيره .

ولم تكن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تدّخر جهداً في النصح وهداية الناس، ووعظهم وتذكيرهم بالله -عز وجل- ومن ذلك أن نفراً اجتمعوا في حجرتها، يذكرون الله تعالى ويتلون القرآن، حتى تُليت آيةٌ كريمةٌ، فيها موضع سجدة، فسجدوا، فنادتهم من وراء الحجاب قائلة: «هذا السجود وتلاوة القرآن، فأين البكاء؟» (١).

ولقد عايشت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عهد الخلفاء الراشدين، حتى أدركت زمن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم كان موعدها مع الرفيق الأعلى سنة خمسين للهجرة؛ لتختم حياةً قضتها في رحاب العبادة، دون أن تنسى معاني الأخوة والمحبة التي انعقدت بينها وبين رفيقاتها على الدرب، موصيةً بألف دينار لعائشة بنت الصدّيق (٢)، وقد دفنت بالبقيع، فرضي الله عنها وعن سائر أمهات المؤمنين.

---

(١) انظر حلية الأولياء (٢/ ٥٥).

(٢) انظر سنن البيهقي الكبرى (١٢٤٣١).



فاطمة الزّهراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

جاء في صحيح البخاري: أنّ رجلاً من الأنصار كان يعاتب أخًا له، ويلومه على شدّة حيائه، ويطلب منه أن يقلل من هذا الحياء، حتى كأنّه يقول: قد أضرّ بك -الحياء-! فمرَّ رسول الله ﷺ عليهما فسمع كلام الرّجل، فقال له: (دعهُ، فإنَّ الحياء منَ الإيمان)[1]. «الحياء» : ذلك هو الخُلق الذي يَبعث الإنسان على فعلِ كل مليح، وتركِ كلِّ قبيح، فهو من صفات النّفس المحمودة، التي تستلزم الانصراف من القبائح وتركها، وهو من أفضل صفات النفس وأجلِّها، وهو من خلقِ الكرام، وسمةِ أهلِ المروءة والفضل.

أيّها الإخوة والأخوات: حديثنا اليوم عن «فاطمةَ الزّهراء» عليها السلام عن فاطمةَ بنتِ الحبيب ﷺ إنّها امرأة وأي امرأة؟! امرأةٌ ما عرف التاريخ بعدها من يُقاربها؛ فضلاً عمّن يساويها منزلةً ورفعةً وسمواً، جُمِعَتْ لها المحاسنُ كلُّها، فصُبَّت عليها صباً، فأنَّى لفصل مثلِ هذه الفصول أن تأتي عليها، وقد عَجَز البنان عن تَعدادها، كما عَجَز اللسان عن تِردادها! ولكني أستميحها عذراً في ذكر قطرات من بحر محاسنها، وشذرات من حلل مناقبها، أهديها إلى كل فتاةٍ مسلمة، تريد القدوة الصالحة، والأسوة الناصحة، والمُثُل الناصعة.

وَأَينَ منْ كانتِ الزَّهراءُ أُسوتها * ممَّن تَقفَّت خُطَى حَمَّالةِ الحَطَبِ

(١) متفق عليه : (البخاري ٢٤، ٥٧٦٧، ومسلم ٣٦) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

إنها فاطمة البضعةُ النبوية، الزهراءُ الطاهرة، العابدةُ الساجدة البتول: المنقطعة إلى الله بالعبادة إنّه حديثٌ عن الحياء في حياتها، رُوي عن أم جعفر بنت محمد بن جعفر أنّ فاطمةَ بنتَ رسول الله ﷺ قالت: (يا أسماء! إني قد استقبحت ما يُصنع بالنّساء، أن يطرح على المرأة الثوب فيصفها) لما مرضت فاطمة الزهراء رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مرض الموت الذي توفيت فيه، دخلت عليها: أسماءُ بنت عميس الخثعميّة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وهي زوجُ أبي بكرٍ الصدّيق، تعُودها وتزورها، فقالت فاطمة تخاطبُ أسماءَ بنتَ عميسٍ: قبيحٌ ما يُصنع بالمرأة وقت الموت، عندما تُحمل جنازتها، لا يوضع على جسدها إلا الثّوب، فتَظهر معالمُ جسدها! وكانت النعوش آنذاك عبارةً عن خشبةٍ مصفحة، يوضع عليها الميت، ثم يطرح عليه ثوبٌ، وبذلك كان يصف الجسم، فيعرف الناس طولَ المرأة وعرضَها!

سبحان الله! إنّها تحملُ همّ الحياء حتى بعد الوفاة! شغلها الحياء، فجعلها تفكر فيما بعد الموت، تفكر في أمر قلَّ أن يفكر فيه إنسان! نعم تقول فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا هذا الكلام في أواخر أيّام حياتها، وقد علمت من أبيها محمدٍ ﷺ أنّها أولُ أهله لحوقًا به، فكيف تكون جنازتها بهذه الصورة! وتخرجُ أمام الرجال في وضح النهار! سبحان الله! ما الذي يحملها على الحياء إلى هذه الدّرجة؟ هل سيظهر من جسدها شيءٌ: وجهٌ أو ظفرٌ، قدمٌ أو ساقٌ لا أبداً! وهل ستخرج متبرّجةً أو سافرةً كلا، وفوق كلّ هذا فهي بنت النبي ﷺ لكنه عقلٌ يفكّر في الحياء! عقلٌ سما فوق السماء، لم يُنسها الموت الحياء!

المجدُ يشرفُ في ثلاث مطالعٍ * في مَهد فاطمةٍ فَما أعلاها
هي بنتُ من هي زوجُ من هي أمُّ من؟ * من ذا يداني في الفخَار أباها
هي ومضةٌ من نورِ عينِ المصطفى * هادي الشُّعوب إذا ترُوم هُداها

أيّتها الأخت المسلمة! هل تعتقدين أنّ السيدة فاطمة بعد موتها، ستُحاسَب على ما يوصف من جسمها؟ طبعاً لا، ولكنه الحياء الذي هو شُعبة من شعب الإيمان، وهو حِلية الفتيات الصالحات، وهكذا بثّت فاطمة همّها إلى أسماء بنت عميس، فإذا بها تُخبرها عن أمرٍ رأته في الحبشة، قالت: (يا بنت رسول الله ﷺ ، ألا أريك شيئاً رأيتُه بالحبشة؟ فدعت بجرائد رطبة، فحَنَتْها، ثم طرحت عليها ثوباً) فصارت تلك الجرائد الموضوعة، مانعاً من وصف جسد المرأة.

فلمّا رأت فاطمة رضي الله عنها هذا الشيء، فرِحت فرحًا عظيماً، وقالت: (ما أحسن هذا وأجمله، تُعرف به المرأة من الرجل)[1]سبحان الله! عجيبٌ أمر هذه المرأة العفيفة الطّاهرة الحييّة تفرح لأنّها توصّلت إلى وسيلة لتستر جسدها! ليس حالَ حياتها، بل بعد وفاتها! فأين نساء المسلمين اليوم اللاتي يفرحن بجديد الأزياء، وحديث الموضات! ويبحثن في بطون المجلات ومواقع الإنترنت، عن كلّ ما يخدش الحياء والله المستعان، ثمّ تواصل فاطمة كلامها قائلةً: (فإذا متُّ أنا فاغسليني أنتِ وعليّ، ولا يدخُل عليَّ أحد) إنّها وصيةٌ غاليةٌ، حينما حصرت الغَسل في: زوجها علي رضي الله عنه ، وأسماء زوج أبي بكر رضي الله عنه لحيائها، رضي الله عنها .

وفعلاً لّما ماتت فاطمة وُضع على جنازتها جرائد رطبة، لتستر جسدها، فكانت رضي الله عنها أوَّلَ من غُطِي نعشُها من النساء في الإسلام، على الصفةِ المذكورةِ في هذا الخبر! وورد في أنّه: لما توفيت فاطمة رضي الله عنها جاءت عائشة تريد أن تدخل عليها، فمنعتها أسماء

(١) وفي روايةٍ أنّها قالت لأسماء بعد ما شاهدت صنيعها : « سترَكِ الله كما سترتني » . سير أعلام النبلاء (٢/ ١٣٢) .

زوج أبيها، فأتت عائشة أباها وقالت: إنّ هذه الخثعميّة تحول بيني وبين ابنة رسول الله ﷺ ، وقد جعلت لها مثل هودجِ العروس! فاستغرب أبو بكر رضي الله عنه هذا الفعل، فأتى إلى زوجه أسماء بنت عُميس، وسألها قائلاً:

يا أسماء ما حملك على أن منعت أزواج النبي ﷺ أن يدخلن على ابنته، وجعلتِ لها مثل هودج العروس؟ فقالت: أمرتني أن لا أُدخل عليها أحداً، وأَريتُها هذا الذي صنعتُ وهي حيّة، فأمرتني أن أصنع ذلك لها، حينها قال أبو بكر رضي الله عنه لزوجه: فاصنعي ما أمرتْكِ، ثم انصرف، وغسلها عليٌ وأسماء رضي الله عنهما [1].

لله درُّها! ما أكمل حياءها !! وليس هذا مما يُستغرب منها، فهي من قد عرفنا؛ إنّها السّيدة فاطمة، وتلك قصّتها مع الحياء، تحمل همّ ستر جسدها بعد موتها، هذا الأمر جعلني أفكّر قليلاً: فكيف كان الحياء بها، وهي تمشي على الأرض؟

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ : (الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ) [2] ، وفي لفظ: (الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ) [3]، وهنا نتساءل: ما الخير الذي حازته السّيدة فاطمة، رضي الله عنها ؟ الجواب: ينزل ملكٌ من السّماء ، فيأتي إلى النبي ﷺ ويبشّره بشأن فاطمة رضي الله عنها سيدة نساء بيتها؟ لا.

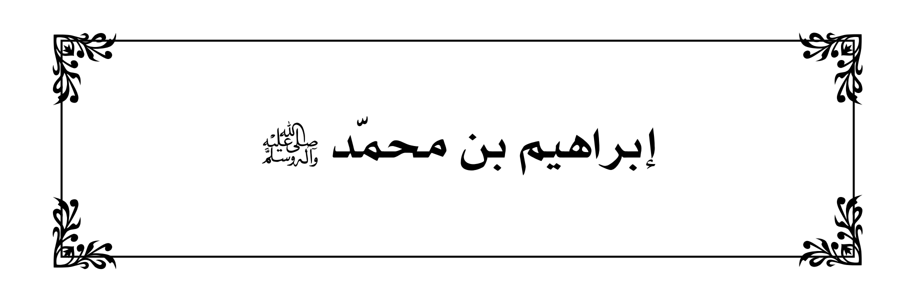
(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٦٧٢١) ، علّق الشيخ الألباني على هذا الأثر في جلباب المرأة المسلمة ص ١٣٥ بقوله : « فانظر إلى فاطمة بَضعة النبي ﷺ ، كيف استقبحت أن يصفَ الثوبُ المرأةَ وهي ميتة ! فلا شك أن وصفه إياها وهي حية أقبح وأقبح ، فليتأمل في هذا مسلمات هذا العصر ، اللاتي يلبسن من هذه الثياب الضيقة التي تصف نهودهنّ وخصورهنّ وأليـاتهنّ وسوقهنّ وغير ذلك من أعضائهنّ ، ثم ليستغفرن الله تعالى ، وليتبن إليه ، وليذكرن قوله ﷺ : « الحياءُ والإيمانُ قُرِنَا جميعًا ، فإذا رُفِع أحدهما رُفِع الآخر » .

(٢) متفق عليه : (البخاري ٥٧٦٦، ومسلم ٣٧) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه .

(٣) رواه مسلم في صحيحه : (٣٧) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه بأطول مما تقدّم .

قريتها؟ لا. سيدةُ نساء الدّنيا؟ لا. سيدة نساء العالم؟ لا. (فاطمة سيدةُ نساء أهل الجنة) [1]، فهل نأخذ من هذه السيدةِ العظيمةِ درسًا في الحياء؟

(١) أخرجه أحمد (٢٢٢٤٠)، والترمذي في سننه: (٣٧٨١)، والحاكم في مستدركه: (٤٧٢١، ٤٧٢٢) وصححه الذهبي، وهو من حديث حذيفة رضي الله عنه، كما صححه الألباني: (صحيح الجامع: ١٣٢٨، والسلسلة الصحيحة: ٧٦٩).



إبراهيم بن سيد البشر محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، هو آخر أبناء النبي ﷺ ، أنجبه ﷺ من السيدة «مارية القبطية»، التي أهداها المقوقس –حاكم مصر– إلى النبي ﷺ في العام السادس من الهجرة، فأسلمت مارية رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وقد فرح النبي ﷺ بابنه إبراهيم فرحًا عظيماً، كان ﷺ يقبّله ويشمّه، يقول ﷺ: (وُلد لي الليلةَ غلامٌ، فسميته باسم أبي إبراهيم ....) [1]، وفى اليوم السابع من مولده حلق النبي ﷺ شعره، وتصدق بمقدار وزنه فضة على المساكين.

وقد تنافست نساء الأنصار أيتهنّ ترضع إبراهيم، فدفعه رسول الله ﷺ إلى أم بردة خولة بنت المنذر من بني عدي بن النجار، فكانت ترضعه، وكان رسول الله ﷺ يأتيه في بني النجار، وزوج مرضعة إبراهيم هو: أبو سيف البراء بن أوس، وكان حدّاداً.

ولم يَعِشْ «إبراهيم» طويلاً فقد توفي وهو ابن ثمانية عشر شهراً، وفاضت روحه بين يدي النبي ﷺ ، فحزن عليه حزناً شديداً، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: (دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِّ ﷺ عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ) أي الحدّاد (وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ) أي أن أبا سيف كان زوج مرضعته (فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ) هذا في حياة إبراهيم، كان النبي ﷺ يقبّله ويشمّه، وهو من رحمته ﷺ بأبنائه، فأين الآباء عن هذه المعاني؟ القبلة لها دورٌ فعّال في تحريك مشاعر الطفل وعاطفته، بل القبلة تسكّن ثورانَ

(١) رواه مسلم في صحيحه : (٢٣١٥) من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

الطفل وغضبَه، بالإضافة إلى الشعور بالارتباط الوثيق في تشييد علاقة الحبّ بين المربّي والمتربي.

يقول أنس رضي الله عنه : (ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ) أي يخرجها ويدفعها وقت الموت، أي في حالة الاحتضار (فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللهِ ﷺ تَذْرِفَانِ) أي تدمعان، ولمّا رأى الصحابة هذا المشهد، تعجّبوا! كيف يبكي النبي ﷺ على وفاة ابنه (فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه : وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ!) تعجّب ابن عوفٍ رضي الله عنه مِنْ فِعْلِ النبي ﷺ ، أي الناس لا يصبرون على المصيبة، وأنت يا رسول الله ﷺ تفعل كفعلهم! فماذا قال الحبيب ﷺ ؟ (فَقَالَ: يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ) أي هي رقة القلب على فقدان الولد، لا ما توهّمت من الجزع وعدم الصّبر ، يقول أنس: (ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى) أي أتبع الدمعة الأولى بدمعة أخرى، هذا الحديث يفسّر البكاء المباح والحزن الجائز، وهو ما كان بدمع العين ورقة القلب من غير سخط لأمر الله، ثمّ قال ﷺ : (إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ) [1].

فإذاً البكاء على فقدان القريب والحبيب، أمرٌ حسنٌ مستحبٌ، وهو لا ينافي الرّضا بقضاء الله وقدره، **بشرط** أن يكون رحمةً بالميّت، لا لفوات حظّه منه! وأمرٌ ينبغي الانتباه إليه، فمثلاً: انظروا إلى الفضيل بن عياضٍ، لمّا مات ابنه عليٌّ ضحك! وقال: «رأيتُ أنّ الله قد قضى، فأحببتُ أن أرضى بما قضى الله به» [2]! الرسول ﷺ مات ابنه

(١) متفق عليه : (البخاري ١٢٤١، ومسلم ٢٣١٥) من حديث أنس رضي الله عنه .
(٢) تسلية أهل المصائب (١/ ٢٠٢) .

فبكى، وهذا الرّجل الصالح مات ابنه فضحك رضاً بقضاء الله وقدره، أيّ الموقِفَيْنْ أفضل؟

سئل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، فأجاب: «حَالُهُ حَالٌ حَسَنٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَهْلِ الْجَزَعِ -يقصد تصرّف الفضيل بن عياض-، وَأَمَّا رَحْمَةُ الْمَيِّتِ مَعَ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ وَحَمْدُ اللهَّ تَعَالَى كَحَالِ النَّبِيِّ ﷺ فَهَذَا أَكْمَلُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾ فَذَكَرَ سُبْحَانَهُ التواصي بِالصَّبْرِ وَالْمَرْحَمَة »(١)، سبحان الله! كلامٌ عظيم، ضحك الفضيل بن عياض عند وفاة ابنه: تصرّفٌ حسنٌ بالنظر إلى الرضا بقضاء الله وقدره، لكنه تصرّفٌ افتقد الرّحمة، نعم الرحمة بالولد! أمّا حبيبنا محمدٌ ﷺ ، فقد جمع بين الرحمةِ بالولد، والرّضا بالقدر، بكى ودمعت عيناه، وقال: (إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ) فهَدْيُ النبي ﷺ أكملُ الهدي، وطريقه أقوم طريق، وسنّته أحسن سنّة ﷺ.

فيا أيّها الإخوة الكرام: إنّ المؤمن المحمود: هو الذي يجمع بين الرّحمة والصبر، أمّا من يتجاوز ذلك إلى لطم الخدود وشقّ الجيوب والنحيب والنّياحة، فقد أخطأ وخالف، وجزع وبالغ؛ لأنّ هذه الأفعال إنّما هي من أفعال الجاهلية، لا تناسب المسلم الذي يرضى بقضاء الله وقدره، ويؤمن بالله وحسن تدبيره، يقول النبي ﷺ: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ) (٢).

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٤٧) .

(٢) متفق عليه : (البخاري ١٢٣٢ ، ومسلم ١٠٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

بل حال المسلم الصّادق، كما أخبر الله تعالى في كتابه: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

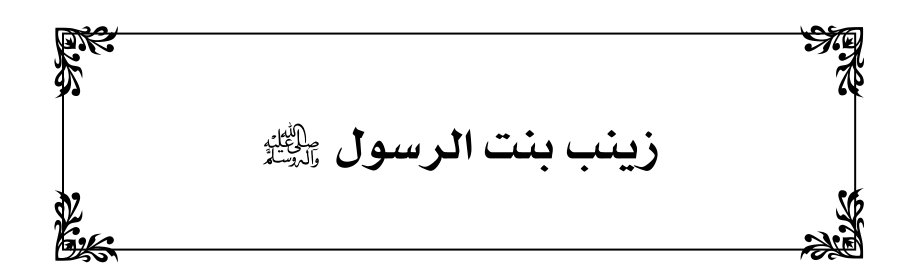
ومن الأمور الغريبة التي حصلت يوم وفاة إبراهيم ابن النبي ﷺ ، أنّ الشمس انكسفت، ومن العقائد الجاهلية التي كانت منتشرة عند الناس في تلك الفترة: أنّ الشمس إذا انكسفت، أو القمر إذا انخَسَف أنّه يوم ميلاد رجلٍ عظيم أو وفاة رجلٍ عظيم، فلمّا وافق كسوف الشمس يوم وفاة «إبراهيم»، سارع الناس للقول بأن الشمس قد كسفت حزناً على وفاة «إبراهيم»!، وهنا خرج النبي ﷺ للنّاس، وجمعهم ليعلّمهم درسًا في التوحيد، فعن المغيرِ بن شعبة رضي الله عنه قال: كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ يوم مات إبراهيم فقال الناس: كسفت الشمس لموت إبراهيم، فقال رسول الله ﷺ : (إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم فصلوا وادعوا الله) [(١)] ، وفي روايةٍ أنّه قال: (إنهما آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ....) [(٢)].

وهكذا أثبت النبي ﷺ بأنّ الأحوال الفلكيّة لا علاقة بينها وبين الحوادث الأرضيّة، فلا ينبغي للإنسان أن يعتقد بأنّ سنن الطبيعة والقوانين الربّانية تتغير لموت إنسان أو لولادته! والأخطر من ذلك، أنّ مثل هذه المعتقدات قد أدت بكثير من الناس

(١) متفق عليه : (البخاري ٩٩٦ وهذا لفظه ، ومسلم ٩١٥) .
(٢) متفق عليه : (البخاري ٣٠٣١، ومسلم ٩٠١) من حديث أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها .

إلى اعتقادهم أنّ الأجرام السماوية تتصرّف بحياة الناس ! حتى يقول قائلهم: (مُطِرْنا بنوء كذا وكذا) بدل أن يقول: (مُطرنا بفضل الله ورحمته) [1]، فالمسلم الصّادق يتعلّق دائمًا بالله عزّ وجل.

(١) أخرج الشيخان في صحيحيهما (البخاري ٨١٠، ومسلم ٧١) : من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة فلما انصرف أقبل على الناس فقال: (هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: أصبح من عبادي مؤمن وكافر فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب وأما من قال: بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب).



زينب بنت الرسول ﷺ

ما زال حديثنا مستمراً عن العظماء من الرجال والنساء. واليوم -بإذن الله- سنقف على حياة السيدة زينب رضي الله عنها بنت محمدٍ ﷺ ، ومواقفها العظيمة في نصرة الحبيب ﷺ ، والغريبُ أنّ الدّارس لحياتها، يرى العجب، كيف أنّها قدّمت نصرة الرّسول ﷺ والوقوف معه، على أن تعيش في بيت زوجها آمنةً مطمئنة! فقد ضحّت بالحياة الهنيّة والعيش الرغيد، ورضيت بالاضطهاد والهجرة والتشريد في سبيل الله، ونصرةً للدّين! فما قصّتها، رضي الله عنها ؟

تقدّم «أبو العاص بن الرّبيع» للزواج من السيّدة زينب رضي الله عنها وهو ابن خالتها: هالةِ بنت خويلد أخت خديجة، فوافق النبي ﷺ ، وتمّ الزّواج ونُحرت الذبائح وأقيمت الولائم، وكانت فرحة كليهما لا توصف ، عاشت السيّدة زينب حياةً سعيدةً في كنف زوجها، وكانت خير الزوجة الصالحة الكريمة لأبي العاص، وكان هو خيرَ الزوجِ الفاضلِ الذي أحاطها بالحب والأمان، وشاء الله تعالى أن يكون ثمرةُ هذا الزواج السعيد طفلين أنجبتهما زينب رضي الله عنها الأول: علي بن أبي العاص الذي توفي صبياً، وكان رسول الله ﷺ قد أردفه وراءه يوم الفتح، والثاني: أمامة بنت أبي العاص، والتي تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد وفاة فاطمة الزهراء، رضي الله عنها .

نزل الوحي على النبي ﷺ فأسلمت زوجه خديجة وبناتها الأربع: السيدة زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة رضي الله عنهن ونطقن بالشهادتين، وقرّرن الوقوف إلى جانب

أبيهنّ ﷺ ومساندته، لم يكن غريباً أن تؤمن البنات الأربع برسالة محمد ﷺ، فهو أبوهنّ، وهو الصادق الأمين قبل كل شيء، فأسلَمْن دون تردّدٍ، وهذا أقل ما يمكن فعله، أسلم عدد قليل من رجال مكة من أمثال أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب وعثمان بن عفان والزبير بن العوام ﷺ، وهم من الذين أيدوه وتقاسموا معه ظلم قريش وبطشهم.

أمّا زوجها «أبو العاص» فكان مسافراً للتجارة، ولدى عودته سمع من المشركين بأمر الدين الجديد الذي يدعو إليه محمد ﷺ، دخل على زوجته زينب، وأخذ يردّد أقوال المشركين في الرسول ﷺ ودينه، في تلك اللحظة! وقفت السيدة زينب رضي الله عنها موقف الصمود، موقف العظماء، موقف الأبطال، أخبرت زوجها بأنها أسلمت وآمنت بكل ما جاء به محمد ﷺ! ولم تقف عند هذا الحدّ، بل دعت زوجها إلى الإسلام، لكنّه أصرّ على كفره وشركه! قائلاً: «إنّي أكره أن يُقَال: إنَّ زوجك خذل قومه، وكَفَر بآبائه إرضاء لامرأته»!

ولّما كانت موقعة بدر قرّر أبو العاص الوقوفَ ضد رسول الله ﷺ تاركاً زوجته وطفليه في مكة، غير آبه بزوجته وطلبها البقاء منه في مكة، وعدم المشاركة مع المشركين! وشاء الله أن تنتهي تلك المعركة بانتصار المسلمين، ويقع «أبو العاص» أسيراً في أيدي المسلمين، ولّما بلغ أهلُ مكة خبرَ فداء الأسرى، بعثت السيّدة زينب بفديةٍ لتخليص زوجها، بعثتْ بمالٍ معه قلادةٌ ! وهذه القلادةٌ لها ذكرياتٌ في نفس رسول الله ﷺ ، فهذه القلادة قد كانت لخديجة بنت خويلد ، أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى على زينب ، فلمّا رأى رسول الله ﷺ القلادة عرفها، فرقّ لها رقّةً شديدةً ، وقال ﷺ لأصحابه : (إن رأيتم أن تُطلقوا لها أسيرها فافعلوا ؟ قال الصحابة: نعم يا رسول الله .. فأطلقوه ،

فأخذ عليه العهد أن يخلي سبيل زينب إليه، ففعل) [(١)] وبعَثَ بالسّيدة زينب إلى أبيها ﷺ في المدينة المنورة.

وحصل أنّه قبل فتح مكة، وبينما كان «أبو العاص» عائداً في قافلة من الشّام إلى مكة، حاملاً معه أموال قريش التي أؤتمن عليها، تعرضت لقافلته سرية بقيادة زيد بن حارثة رضي الله عنه ، وتمكنت من الحصول على كل ما تحمله تلك السرية من مال ومتاع، وهرب عددٌ من رجال القافلة وكان أبو العاص واحداً منهم، وخشي أبو العاص على أموال قريش التي كان قد أؤتمن عليها، فلم يجد إلا أن يتوجّه إلى المدينة ليلاً ليستجير بزوجه: السيدة زينب، فأجارته رضي الله عنها ، فلمّا علم النبي ﷺ بذلك، دخل على ابنته فقال: (أي بُنيّة أكرمِي مَثواهُ) [(٢)]سبحان الله! هل هذه أخلاق عامّة البشر؟ إنّها أخلاق الأنبياء، إنّها أخلاق العظماء! ثمّ قال لها: (ولا يخلص إليك، فإنك لا تحلّين له ما دام مشركاً).

اجتمع رسول الله ﷺ مع الصّحابة رضي الله عنهم، فاستشارهم في مسألة ردّ الأموال عليه، وقال: (إنّ هذا الرجل منّا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالاً، فإن تُحسنوا وتردّوا عليه الذي له، فأنا أحب ذلك، وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم، فأنتم أحقّ به)، فاتفقّ الصحابة جميعاً على إعادة المال لأبي العاص كاملاً دون نقصان، رجع أبو العاص بالمال

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في " السيرة " : (٢/ ٣٠٧ - ٣٠٨) ومن طريقه أبو داود (٢٦٩٢) وسكت عنه ، وابن الجارود (١٠٩٠) ، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود : (٢٦٩٢) ، وقال في إراواء الغليل : (سكت عليه الحاكم ثم الذهبي وإسناده حسن) .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٥٠٣٨)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٤٢٦-١٠٥٠) والبيهقي في السنن الكبرى (١٧٩٥٧) وفيه محمد ابن إسحاق صاحب السيرة، قال البيهقي في السنن عقب إيراد الحديث: هكذا أخبرنا -أي شيخه الحاكم- في كتاب المغازي منقطعاً وحدثنا به في كتاب المستدرك عن يزيد عن عروة عن عائشة قال: صرخت زينب فذكره .

إلى مكة، وأعطى كل واحد من قريش نصيبه من المال، ثم قال: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، والله ما منعني من الإسلام، إلا أن تظنوا أني إنما أردتُ أن آكل أموالكم، فلما أداها الله إليكم، وفرغت منها أسلمت».

جمع أبو العاص متاعه وعاد إلى يثرب، قاصداً مسجد الرسول ﷺ، فإذا بالرسول ﷺ وأصحابِه يفرحون بعودته؛ ليكمل فرحتهم تلك بالإسلام، وبعد إسلام أبي العاص أعاد الرسول ﷺ زينب إليه بنكاحه الأول، وقيل إنه أعيد إليها بنكاحٍ جديد [١]، وعاشا معاً من جديد والإسلام يجمعهما، فرضي الله عنهما.

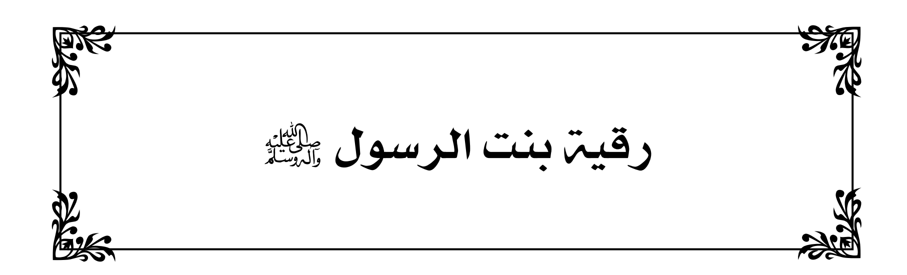
ومضت الأيام، وبعد عام من التئام شمل الزّوجين أبي العاص والسيدة زينب رضي الله عنها ، وبعد أن عاشا حياةً كريمةً سعيدةً في دار الإسلام مع ولديهما: أمامةَ وعلي، بدأ المرض يزداد على السيدة زينب رضي الله عنها ، وظلّت زينبُ لازمةَ الفراش فترةً طويلةً، حتى وافتها المنيّة وسلّمت أمرها لله سبحانه وتعالى في العام الثامن للهجرة، وحزن رسول الله ﷺ حزناً عظيماً، وحزن معه زوجها أبو العاص رضي الله عنه ، والذي وافته المنيّة بعد أربع سنواتٍ من وفاة زينب، رضي الله عنها .

أيّها الإخوة والأخوات: إنّ في قصة السيّدة زينب عبرة، وفي حياتها عظة حين قدّمت رضا ربّها على رضا زوجها، وضحّت بمحبّة زوجها، من أجل محبّة دينها ونبيّها ﷺ فمع شرك زوجها وكفره، وقفت بجانبه وقت الحاجة، فكانت سبباً في إسلامه رضي الله عنه
.

---

(١) انظر القصة كاملة في البداية والنهاية : (٣/ ٣٣٢) .

كثيرٌ منّا في حياته اليوميّة، قد لا تكون لديه الجرأة الكافية، لتقديم طاعة الله ورسوله على طاعة المخلوقين، وتقديم رضا الله تعالى على الحاجات الشخصيّة والمصالح الدّنيوية، أمّا العظماء فلهم شأنٌ آخر!



رقية بنت الرسول ﷺ

مع شروق فجر الرّسالة المحمّدية .. أشرَقتْ نفس «رقيّة » رضي الله عنها بنور الهدى والإيمان ، ولحقَتْ بركب أهل التّقوى والإسلام ، وُلدت هذه السيّدة الهاشمية، ونَشأت قبل بعثة أبيها محمدٍ ﷺ ، وقد استمدّت من أمّها «خديجة» كثيراً من الشمائل والخصال ، فكانت واحدةً من حبّات العقدِ الفريد، والدّرِ النضيد، في البيت النّبوي الطاهر، الذي أذهب الله عنه الرجس، وطهّره تطهيراً ، فيا ترى من هذه الجوهرة ؟ وهل أتاك خبرُها ؟ وهل طرق سمعُك حديثُ صبرها ؟ وقصّة إيمانها وجهادها ؟

هي ثانيةُ بنات رسول الله ﷺ ، المهاجرةُ العظيمة ، صاحبةُ الهجرتين ، وأمُّها خديجة خير النساء ، صاحبةُ الفضل العظيم ، والمقامُ الرفيع ، كان إسلام «رقيّة» مع آل بيت النبي ﷺ : خديجةَ واخواتِها جميعًا رضي الله عنهن ، وبايعت رسول الله ﷺ ، هي وأخواتها حين بايعه النساء [(١)].

ولما بلغت رقيةُ وأختُها أمُّ كلثوم رضي الله عنهما مبلغ الزواج ، خطبهما : عُتْبة وعُتَيبة [(٢)]، ابنا عبد العُزَّى « أبي لهب » : ، فوافق رسول الله ﷺ ، لأن الخاطبين ابنا عمّه ، لكنّ هذا الزّواج لم يدم طويلاً ! فما كاد رسول الله ﷺ يتلقّى رسالة ربه تعالى ، ويدعو إلى دين

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد : (٨/ ٣٦) .

(٢) عُتيبة بن أبي لهب هو الوحيد من أبناء أبي لهب الذي لم يسلم ومات مشركًا ، أما عُتبة فقد أسلم يوم فتح مكة ، هو وأخوه مُعتّب ، ولم يهاجرا من مكة ، وقد شهدا غزوة حنين ، وثبتا مع رسول الله ﷺ يومئذٍ فيمن ثبت من أهل بيته وأصحابه ، وأصيبت عين مُعتّبٍ يومئذٍ .

الحق ، حتى بدأت قريش كلّها الحرب على الإسلام ونبي الإسلام ! وكان من مكرهم أن أرادوا إشغال النبي ﷺ بنفسه وأهله ! فقام أبو لهبٍ إلى ابنيه ، وقال لعُتبة وعُتيبة : « رأسي من رأسَيْكُما حرامٌ ، إن لم تفارقا ابنَتَي محمّد » ففارق عتبةُ رقيّةَ قبل الدخول [١] .

ما أقسى هذا الطّلاق الظالم ! الذي وقع بغير وجهٍ حقٍ ، لكن السيدة «رقيّة» تحمّلت ذلك في صبر وإيمان ، ويقين في الله المنّان ، ومكثت بعده في بيت أبيها ، تشاركه هموم الدعوة ، وتشاطره أذى المشركين ، هي وأمّها وأخواتها ، فعوّضها الله تعالى خيرًا ، وأبدلها زوجًا تقيًّا ، صالحا كريمًا ، وسيم الطلعة ، مبشّرًا بالجنّة ! إنّه عثمان بن عفان رضي الله عنه .

ولما اشتدَّ إيذاء مشركي مكة للمسلمين ، كان الأمر من النبي ﷺ بالهجرة إلى أرض الحبشة ، حيث هناك الملك العادل ، الذي لا يُظلم عنده أحدٌ ! فتحرّك المسلمون إلى أرض الحبشة ، وكان عثمان بن عفان وزوجه رقية رضي الله عنهما ، أول من هاجر في سبيل الله تعالى [٢]، وهناك .. استقرّ الزوجان ، وأسّسا حياتهما الزوجية، وبعد أن مرّت بهما الأيام ، في هناء ووئام ، استقبلا في فرحٍ جليّ ، طفلَهما البكر : « عبدَ الله » والذي كان يُكنى به عثمانُ بن عفان .

وبعد أن سرت الشائعات ، بأنّ أذى المشركين للمسلمين قد ارتفع ، لدخول عددٍ من رجالاتها في الإسلام ، اشتاق المهاجرون الى العودة الى البلد الحرام ، فتهيئوا للرّحيل إلى مكة على عجل ، وكانت السيدة رقية وزوجها الصحابي الجليل عثمان بن عفان من العائدين إلى مكة ، وعندما وصلت السيدة رقية رضي الله عنها إلى مكة ، فاجئها الخبر الأليم ، بأنّ

(١) الوافي بالوفيات : (١٤/ ٩٥) ، سير أعلام النبلاء للذهبي : (٢/ ٢٥٠) .

(٢) السيّدة رقية وزوجها عثمان رضي الله عنهما ، ممّن هاجرا الهجرتين ، الأولى والثانية إلى الحبشة .

أمَّها وأمّنا جميعًا أمَّ المؤمنين خديجة قد توفيت ، وانتقلت إلى جوار ربّها ، فما كان منها إلا الصبرُ الجميل ، ولم يطل بها المقامُ في مكة المكرمة ، فهاجرت إلى المدينة النبويّة ، مع جموع المهاجرين .

وهناك .. في المدينة ، سعدتْ السيدةُ رقيّةُ بقرب الأنصار ، الذين وصفهم الله تعالى بالكرم ، وأثنى على إيثارهم ، فهم الذين زكّاهم المولى بقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر:٩]، وفي المدينة المنورة ، كان ابتلاءٌ آخر في انتظارها ، ألا وهو فقدان الولد ! نعم .. توفّي ابنها الصغير : عبدُ الله ، وهو لا يزال في السادسة من عمره ، أمّا عن سبب وفاته ، فقد ورد أنّ ديكًا نقره في وجهه ، فطمر وجهُه وتورّم ، فمرض ثمّ مات [١]!

بكَتْه أمّه رقيّة ، وبكاه أبوه عثمان ، وافتقد جدّه محمدٌ ﷺ ، فلم يكن لرقيّةَ سوى الصبرِ ، وحسنِ التجمّل به، ولكن كثرةَ ما أصابها في حياتها من مصائب وأحزان ، وهمومٍ وآلام ، كان لذلك الأثر في أن تمتدّ إليها يد المرض والضعف ، فأصيبت بمرض الحَصْبَة [٢]! ولزمت الفراش ، فجلس بقربها الزوج الكريم : عثمان بن عفان رضي الله عنه يمرّضها ويرعاها .

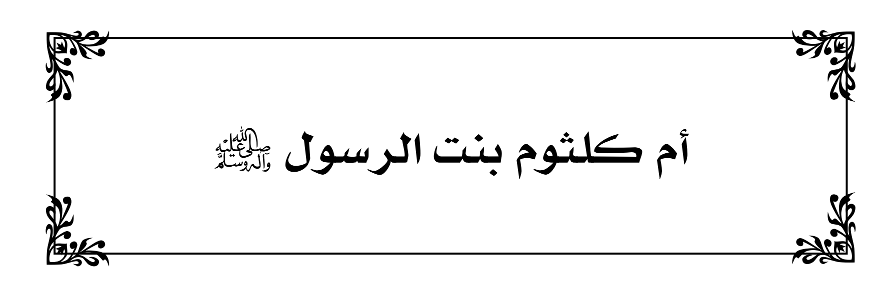
وفي السنة الثانية للهجرة ، خرج المسلمون لقتال مُشركي مكة في غزوة بدر ، بعد أن دعاهم النبي ﷺ للخروج ، فأراد عثمان رضي الله عنه أن يلبي نداء الجهاد ، ويسارع لامتثال

(١) انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد : (٨/ ٣٦) ، سير أعلام النبلاء للذهبي : (٢/ ٢٥٠) .
(٢) الإصابة لابن حجر : (٤/ ٢٩٨) .

أوامر القائد ، إلا أنّ رسول الله ﷺ أمره بالبقاء بجوار زوجته رقيّة ، التي كانت تعالج ما يشبه سكرات الموت ، فامتثل عثمان رضي الله عنه هذا الأمر أيضًا بنفسٍ راضية !

ثم بعد صراع السيدة رقية رضي الله عنها مع هذا المرض، لحقت بالرفيق الأعلى، وكانت أول من لحق بأم المؤمنين خديجة من بناتها ، ومن المفارقات الغريبة في حياتها .. أنّ أمّها خديجة توفّيت ، ولم ترها رقيّة ، لأنها كانت في الحبشة ، ثمّ توفيت رقيّة في المدينة ، ولم تر أباها رسول الله ﷺ ، حيث كان ببدرٍ مع أصحابه الكرام، يُعلون كلمة الله، فلم يشهد دفنها ﷺ . دفنت رضي الله عنها في البقيع ، وانهمرت لفراقها الدّموع ، وما أن سوّي الترابُ على قبرها ، إذا بزيد بن حارثة قد قدم من بدر ، مبشّرًا أهل المدينة بالانتصار العظيم للمسلمين في غزوة بدر [1]، وجاء النبي ﷺ ، فعلم بالخبر ، فودّع ابنته رقيّة ودعا لها ، وشيّعت المدينةُ كلها رقيةَ بنت محمدٍ ﷺ ، فرحم الله السيدة رقية ، نعمت البنت لأبيها ، ونعمت الزّوجة لزوجها ، فرضي الله عنها وأرضاها .

(١) وقد ضرب رسول الله ﷺ لعثمان بن عفان رضي الله عنه بسهمٍ في غنائم بدر ، وعدّه ممن حضرها .



أم كلثوم بنت الرسول ﷺ

إنّ الحديث عن أمّ كلثوم بنتِ محمد ﷺ .. ليس حديثًا عن فتاةٍ مجهولة ، أو سيدةٍ مغمورة ، إنّه حديثٌ عن البَضعةِ النبويةِ الرّابعة ، سليلةِ بيتِ النبوة والشّرف ، ابنةِ محمدٍ سيّد البشر ﷺ ، وصاحبةِ من بشّره المصطفى ﷺ بالجنةّ ، فزوجُها ذو النورين عثمان بن عفّان رضي الله عنه ، الذي شرّفه الله بالزواج من ابنتي المصطفى ﷺ ... ومع السّيدة أمّ كلثوم ، بنت محمدٍ سيّد ولد آدم ، ستكون رحلتنا – بإذن الله – مِعْطاءَ مِعطَارٍ ، في هذه الصّفحات ، نسترْوحُ عبير الرّيحان ، ليطيب الحديثُ عن سيرتها العطرة .

هي أمّ كلثوم بنت رسول الله ﷺ ، وأمّها السيدة خديجةُ أم المؤمنين رضي الله عنها ، وأسلمت مع أمّها وأخواتها رضي الله عنهن ، وبايعت رسول الله ﷺ مع أخواتها حين بايعه النساء [1] مع بزوغ فجر الدّعوة الإسلامية ، ولما بلغت أمُّ كلثوم وأختُها رقيةُ رضي الله عنهما مبلغ الزواج ، خطبهما : عُتبة وعتيبة ، ابنا أبي لهب ، كما سبق معنا في سيرة السيّدة رقيّة ، فتمّ الزواج .. لكنّه لم يدم طويلاً ! فما كاد رسول الله ﷺ يتلقّى رسالة ربه تعالى ، حتى بدأت قريش الحرب على الإسلام ونبي الإسلام ! فقام أبو لهب إلى ابنيه ، وقال لعُتبة وعُتيبة : « رأسي من رأسَيْكُما حرام ، إن لم تفارقا ابنَتَي محمّد » فطلّق عُتيبةُ أمَّ كلثوم قبل الدخول بها [2] ، تنفيذًا لرغبة أبيه أبي لهب .

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد : (٨/ ٣٧) .

(٢) الوافي بالوفيات : (١٤/ ٩٥) ، سير أعلام النبلاء للذهبي : (٢/ ٢٥٠) .

ورَوى بعضُ أهلِ السّير : أنّ « عُتيبةَ بنَ أبي لهبٍ » كان ممّن يؤذي النبي ﷺ ، فآذاه مرةً وشقّ قميصه ! فدعا عليه رسول الله ﷺ قائلاً : (اللهم سلّط عليه كلبًا من كلابك) فعدا عليه الأسد وقتَله ، في تجارةٍ له بالزرقاء من أرض الشام [1].. لكنّ هذه القصّة فيها كلامٌ من حيث ثبوت السّند ، لكنّ الذي ثبت أنّ عُتيبة مات على كفره وشركه ، على عكس بقيّة إخوانه ، الذي أسلموا وحسُن إسلامهم .

نعود إلى سيّدتنا أم كلثوم رضي الله عنها ، والتي عاشت مع والدَيْها ، بعد ذلك الطّلاق الظالم ، ثم تزوجت أختُها السيدة رقيةُ عثمانَ بن عفّان رضي الله عنه وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة ، وبقيت السّيدة أمُّ كلثوم مع أختها فاطمةَ الزّهراء ، بقرب أبيها وأمّها .. وهكذا عاشت هذه السيّدةُ الصّابرةُ رضي الله عنها في صميم معركة الاضطهاد الأولى ، وذاقت طعمَ الأذى ، وتجرّعتِ الألم المرّ ! في ذروة إيذاء المشركين للمسلمين ، ولا ننسى حصار الكفّار لبني هاشمٍ وبني المطلب في شعب أبي طالب ، وقد بلغ بهم الجوع مبلغه ، فكانت السيّدة أم كلثوم رضي الله عنها في كلّ تلك المواقف الصّعبة صابرةً محتسبةً ، تراعي أمها السيدة خديجة رضي الله عنها ، التي كانت قد أنهكتها الأحداث ، فكانت وفاتها بعد ذلك ! نعم .. توفّيت المجاهدة العظيمة خديجة رضي الله عنها ، وصَبرت المجاهدتان أمُّ كلثومٍ وفاطمة ، على ألم الفِراق وقسوة الوداع ! ووقف الأبُ الحزين والزوجُ المكلومُ ﷺ يواسي بناته .

---

(١) انظر : تهذيب الكمال ١/ ٢٤٢ ، والأثر أخرجه الحاكم ٢ / ٥٣٩، من طريق الحارث بن أبي أسامة، عن العباس بن الفضل الأنصاري، عن الأسود بن شيبان، عن أبي نوفل بن أبي عقرب، عن أبيه، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، كذا قالا، مع أن العباس بن الفضل الأنصاري قال فيه الحافظ في " التقريب ": متروك، واتهمه أبو زرعة .

وعندما تمادى كفار قريش في إيذاء النبي ﷺ وإيذاء من آمن معه من المسلمين ، أتى الأمر الرّباني بالهجرة إلى المدينة المنورة ، فهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أولاً [١]، وترك ابنتيه أم كلثوم وفاطمة عند زوجِهِ أمِّ المؤمنين السيّدة سودة بنتِ زمعة رضي الله عنها ، ثاني زوجاته بعد خديجة رضي الله عنها ، حتى وصل رسول الله ﷺ إلى المدينة ، ثم ما لبث زيد بن حارثة أن أقبل ، ليَصحَب أمَّ كلثوم وفاطمةَ و آل أبي بكرٍ إلى دار الهجرة ، فأقبلوا بكلّ شوقٍ وحنين إلى المدينة المنوّرة ، فاستقبلهن الرسول ﷺ ، وأتى بهنّ إلى داره ، التي أعدّها لأهله بعد بناء المسجد النبوي الشّريف .

وأثناء غزوةِ بدرٍ ، كانت وفاة السّيدة رقية رضي الله عنها ، شقيقةِ أمّ كلثوم رضي الله عنها ، والتي كانت زوجًا لعثمان بن عفّان رضي الله عنه ، وبعد أن مضت الأحزان بفراقها ، قام النبي ﷺ وزوّج ابنته أمَّ كلثوم لعثمان بن عفان رضي الله عنهما ، في ربيع الأول سنة ٣ للهجرة، وأصبح عثمان بن عفّان رضي الله عنه بزواجه هذا، وبزواجه السّابق من شقيقتها السيّدة رقية ، يُسمى بـ : «ذي النورين» ، وهو شرفٌ وتكريمٌ لم يحظَ به غيره من الصحابة ، وعاشت رقيّة مع عثمان في خير حياة ، وقد شاهدت رايات الإسلام ترتفع يومًا بعد يوم ، ورأت ما قام به زوجها من جهود في خدمة الإسلام ، وظلت معه ستّ سنوات ، ولكنها لم تلد له شيئًا [٢].

ثم داهم المرضُ السيّدةَ أم كلثوم ، فلزمت الفراش حينًا من الزّمن ، ثم كان موعدها مع الموت في شهر شعبان سنة تسعٍ من الهجرة [٣] ، وتألم الأب ﷺ لهذا المصاب ، وأمر أمَّ عطية أن تغسلها وترًا ، وأعطاها إزاره لتكفّنها به ، ووقف النبي ﷺ على قبرها دامع

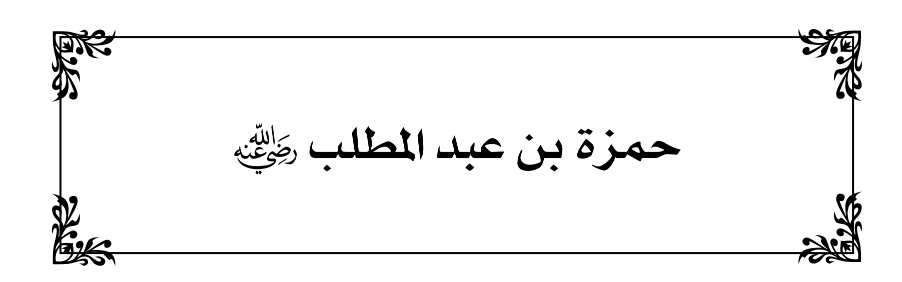
(١) سير أعلام النبلاء للذهبي : (٢/ ٢٥٢) .
(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد : (٨/ ٣٧) .
(٣) المرجع السابق .

العينين ، حزين القلب ، حُزناً على فراقِ ابنته الغالية أم كلثوم ، أخرج البخاري في صحيحه عن الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه أنّه قال : (شَهِدْنَا بِنْتًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ) يقصد أمَّ كلثوم ، (وَرَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ عَلَى الْقَبْرِ ، فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَدْمَعَانِ) سبحان الله .. إنّها الرحمة ! رحمة الأب بفقد أبناءه ، ثمّ قال ﷺ : (هَلْ مِنْكُمْ رَجُلٌ لَمْ يُقَارِفْ اللَّيْلَةَ) أي لم يفعل ذنبًا كبيرًا ولا صغيرًا ، وقيل معناه : لم يجامع أهله ، (فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ : أَنَا ، قَالَ ﷺ : فَانْزِلْ) أي انزل في قبرها (فَنَزَلَ فِي قَبْرِهَا) [1] فقبرها ، ونستفيد من هذا الحديث : مدى رحمة النبي ﷺ بأبنائه ، يبكي لفراقهم ، لكن هذا البكاء ليس فيه نياحةٌ ولا جزعٌ ، بل فيه الصّبر على قضاء الله تعالى وقدره .

وبعد أن دَفَن رسول الله ﷺ ابنتَه السيّدةَ أمّ كلثوم رضي الله عنها ، توجّه النبي ﷺ إلى زوجها عثمانَ ذي النورين ، الحزينِ لموتِ زوجه الحبيبة ، ولانقطاع مصاهرته من رسول الله ﷺ ، ثمّ قال له : (لو كُنّ عَشْرًا لَزَوجْتهُنَّ عُثمانَ) [2] أي : لو كان لي عشرٌ من البنات لزوّجتهنّ لك يا عثمان ! فرحم الله تعالى السّيدة أمّ كلثوم رضي الله عنها ، نعمت الزّوجة والمجاهدة ، وجمعنا وإيّاها في الجنة إنّ شاء الله تعالى ، ورزقنا جميعًا حبَّ محمدٍ ﷺ ، وحبّ آله وصحابته الكرام .. عليهم رضوان الله جميعًا .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه : (١٢٠٥) .

(٢) حكاه ابن سعد في الطبقات الكبرى : (٨/ ٣٨) ، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء نقلاً عنه : (٢/ ٢٥٢) ، وقد أخرجه الطبراني في المعجم الكبير : (١٨٤٩٣) بلفظ : (لو كان لي عَشرٌ لَزَوَّجتُكهُنَّ) .



حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

هي وقفةٌ مع عملاقٍ من عمالقة الإسلام ، وبطلٍ عظيم من أبطال هذه الأمة، اشتُهِر بأنه أسد الله ورسوله ﷺ ، إذا أطلق: «**أسد الله**» انصرف ذهن السامع إلى ذلكم البطل المجاهد حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، الإمام البطل الضرغام -أسد الله- أبو عامرة، وأبو يعلى القرشي الهاشمي المكي، ثم المدني البدريّ الشهيد، عمُّ الحبيب ﷺ ، وأخوه من الرضاعة، ما إن أعلن إسلامه حتى بدأت مرحلةٌ جديدةٌ من حياته، يذود فيها عن حِمَى الدين، وينشر الدعوة، فقد أعزه الله بالإسلام، وأعز الإسلام به، وأصبح متنفّسًا للضعفاء، وشعر المسلمون بأن هناك قوة ستحميهم بعد الله -تعالى-، فاندفعوا نحو الإسلام، وبدأت ثمار تلك البطولة لحمزة تظهر، فأصبح يشقّ طريق الدعوة.

وانظروا أيّها الإخوة : كيف أسلم هذا الجبل؟ مرّ أبو جهل برسولِ الله ﷺ يوماً عند الصفا فآذاه ونال منه، وسبّه وشتمه، ورسول الله ﷺ ساكتٌ لا يكلمه، ثم تجرّأ أبو جهل وضربه بحجرٍ في رأسه، فَشَجَّهُ حتى نزف منه الدّم! ثم انصرف عنه إلى نادي قريش عند الكعبة، فجلس معهم، وكانتْ مولاةٌ لعبد الله بن جُدْعَان في مسكنٍ لها على الصّفا ترى ذلك، حينها أقبل حمزة بن عبد المطلب من القَنَص مُتَوَشِّحًا قوسه، فأخبرته المولاة بما رأت من أبي جهل .

فغضب حمزة -وكان أعزّ فتىً في قريشٍ وأشدَّه شكيمةً- فخرج يسعى، لم يقف لأحد؛ مُعدًا لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به، فلما دخل المسجد الحرام قام على رأسه، وضربه بالقوس فشجّه شجّةً منكرةً، قائلاً له: أتشتمُ ابنَ أخي وأنا على دينه؟ فثار رجال من بني مخزوم -وهم حيُّ أبي جهل- وثار بنو هاشم -حيّ حمزة- فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة، فإني سببتُ ابنَ أخيه سبّاً قبيحاً! وكان إسلام حمزة في أول الأمر أَنَفَةَ رجل، أبى أن يهان مولاه، ثم شرح الله صدره فاستمسك بالعروة الوثقى، واعتزّ به المسلمون أيما اعتزاز [1] .

ثمّ بعد ذلك لقد كانت لحمزة رضي الله عنه مواقفُ تسطَّرُ بماءٍ من ذهب، وتُكتبُ بأحرفٍ من نور، حضنها التاريخ بين دفتيه؛ ليخبر بها أجيال المستقبل؛ لكي يستفيدوا من تلك المواقف الغابرة الماضية، فوالله لو حلفنا بين الركن والمقام لحلفنا: «أنّه لم تعرف البشرية جيلاً مثل جيل الصحابة، نبلاً وعدلاً، عزةً وتضحية، إيماناً وصدقاً ... رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين » ، وانظروا معي -أيّها الإخوة الكرام- ماذا يثمر معنى البطولة الحقّة في نفوس البشر: فأول سرية خرج فيها المسلمون للقاء العدو، كان أميرها حمزة بن عبد المطلب، وأول رايةٍ عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحدٍ من المسلمين كانت لحمزة، ويوم التقى الجمعان في غزوة بدر كان الدور كبيرًا لحمزة!

تلك المكارم لا قَعْبان من لَبَنٍ هذا * وهكذا السيفُ لا سيفَ ابنِ ذي
وهكذا يفعل الأبطال إن غضبوا * وهكذا يَعْصِفُ التوحيدُ بالوَثَنِ

---

(١) انظر سيرة ابن هشام (١/ ١٨٩) .

وفي غزوة أُحُد يقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : (كان حمزة يقاتل يوم أُحُد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بسيفين ويقول: أنا أسد الله)، هكذا صال حمزة بن عبد المطلب بسيفه ميمنة وميسرة، مجاهداً في سبيل الله، ومدافعاً عن كلمة التوحيد: «لا إله إلا الله»، وبينما هو كذلك، كان هناك من يترصّدُ له ليقتَله، وذلك لأن حمزة رضي الله عنه كانت بغيتَه المنشودة، فبقتله يذوق وحشيٌ طعمَ الحرية كما وعده مولاه جبير بن مطعم، حيث يقول وحشي: «ورأيت رجلاً إذا حمل لا يرجع حتى يهزمنا، فقلت من هذا؟ قالوا: حمزة، قلت: هذا حاجتي»!

كانت شهادة حمزة رضي الله عنه على يد وحشي قبل إسلامه، حيث ضربه بحربته؛ لتستقرّ في أحشاء البطل وتنفذ من خلفه، فسقط شهيدًا رضي الله عنه ، ولم يكتف المشركون بقتله، بل مثّلوا به رضي الله عنه ، بقروا بطنه، وجدعوا أنفه، وقطعوا أُذُناه! فوقع الخبر على الحبيب صلى الله عليه وسلم كالصاعقة، وأقسم أن ينتقم من فُلُول قريش، فيُمثّل بسبعين منهم إن أقدره الله عليهم، فنزل قول الله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

ويعود نبينا الحبيب صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حزينًا أسيفًا كَسِيفاً، فيرى نساءَ الأنصار يبكون قتلاهم في أحد، فتتقاطر الدموعُ على وجْنَتيه الشريفتين بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم ، ويقول: (ولكنّ حمزة لا بواكي له، ولكنّ حمزة لا بواكي له) [1]، فطَفِقْن نساءُ الأنصار يقلن: نحن نبكيه ونندبه يا رسول الله، نحن نبكيه ونندبه يا رسول الله، فنهاهن عن ذلك وأبى النياحة صلى الله عليه وسلم! نعم، هكذا تنتهي حياة الأبطال!

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٨٨٣) وقال :صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

فإمّا حياةٌ تسرّ الصديقَ * وإمّا مماتٌ يغيظُ العِدَا

ويعمّ الحزنُ صحابةَ رسول الله ﷺ كذلك، فتنطلق قرائحُ شعرائهم، إذ يقول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه :

بكـتْ عينـيّ وحُـقَّ لهـا بكاهـا * ومـا يُغنِـي البكـاءُ ولا العَـوِيلُ
عـلى أسـدِ الإلـه غـداةَ قـالوا * أحمـزة ذاكـم الرجـل القَتِيـلُ
أُصـيب المـسلمون بـه جميعـاً * هنـاك وقـد أُصِيب بـه الرسـولُ

ثمّ يخرج النبي ﷺ إلى النّاس، بل إلى الدنيا؛ ليعلن هذه التزكية: (سيد الشهداء حمزةُ بنُ عبدِ المطَّلب) [1] فهنيئًا له، ثمّ هنيئًا له، ومن شدّة محبّة النبي ﷺ لعمّه حمزةَ بن عبد المطلب، أنّه لمّا أسلم «وحشيٌّ» قاتلُ حمزة رضي الله عنه ، قدم على رسول الله ﷺ ، فلمّا رآه الحبيب ﷺ قال له: أنت وحشي؟ قال: نعم، قال الرسول ﷺ: أنت قتلتَ حمزة؟ قال وحشي: قد كان من الأمر ما بلغك، فقال الرسول ﷺ : فهل تستطيع أن تُغيّب وجهك عني؟ سبحان الله! قَبِل النبي ﷺ إسلامه، وعفا عنه، لكنه ما استطاع أن ينظر في وجه قاتل عمّه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه [2].

تصوّرْ الآن لو أنّ رجلاً قتَلَ أحبَّ الناس إليك، وأعزّهم عليك، ثمّ جاءك مستسلمًا لدعوتك، وأنت الدّاعية، هل تنسى ما ذرفتَ من ماء العين على قريبك؟ وما

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٤٨٨٤) من حديث جابر رضي الله عنه وصححه الألباني، انظر الصحيحة (٣٧٤).

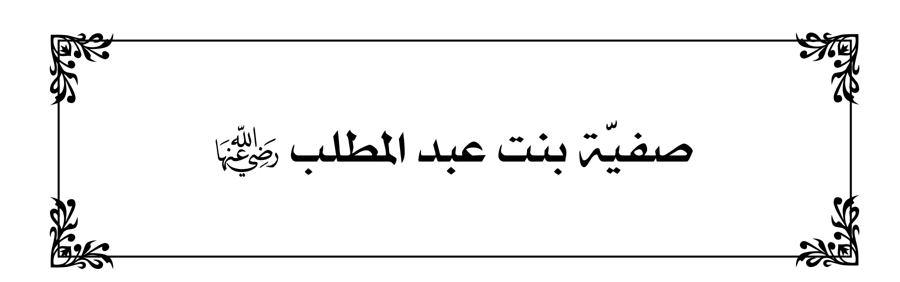
(٢) انظر قصة مقتل أسد الله حمزة رضي الله عنه كاملة كما يحكيها وحشي نفسه في صحيح البخاري حديث رقم (٣٨٤٤).

بذلتَ له من دمع القلب ؟ وتعفو! لقد عفا النبي ﷺ عن وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه لمّا أسلم، لكن تلك طبيعته البشريّة، عندما قال له: (لا تجعلني أراك) فكان وحشي يتوارى عن عينيه!

ومن الكرامات العظيمة التي حصلت لهذا البطل ولمجموعةٍ من الصّحابة، أنّه قبل سنوات أتى سيلٌ من الماء جهة قبور شهداء أحد، مما أدّى إلى انكشاف بعض القبور! حتى يقول الشيخ محمود الصّوّاف رحمه الله أنّه دُعي فيمن دُعي من كبار العلماء لإعادة دفن شهداء أحد من الصّحابة رضي الله عنهم، يقول هذا الشيخ: «كنتُ ممن أعاد دفن الصّحابة، فكانت أجسادهم باقية كما هي! لم تتغير ولم تتعفّن ولم تتحلّل! وممّن دفنتُ : دفنتُ حمزةَ بن عبد المطلب رضي الله عنه ، وكان رضي الله عنه ضخم الجثّة » فإن قلتَ كيف عرفه؟ عرفه لأنّه كان مقطوع الأنف والأذنين، بطنه مشقوقٌ، وقد وضع يده على بطنه، يقول الشيخ محمود الصّواف: «فلما حرّكناه ورفعنا يده، سال الدم! وانبعثت رائحةُ المسك!» سبحان الله! بعد ألف وأربعمائة سنة يحصل هذا [١] !

نسأل الله تعالى أن يرزقنا عيش السّعداء، وموت الشّهداء، ومرافقة الأنبياء .. اللهم آمين.

(١) ذكر هذه القصة الأستاذ طارق سويدان في بعض أشرطته السمعيّة ، ولكن الموضوع في حاجة إلى توثيق أكثر .



صفيّة بنت عبد المطلب رضي الله عنها

ما زال حديثنا عن العظماء من الرّجال والنّساء، وضيفتنا اليوم سيّدةٌ هاشميّة! مربيةٌ حازمة، شجاعةٌ جزلة، صحابيّةٌ باسلة، كانت أول امرأةٍ قتلت مشركاً في الإسلام، أخرجت للمسلمين أول فارس سلّ سيفاً في سبيل الله! أظنّكم قد عرفتموها إنها صفية بنتُ عبد المطلب رضي الله عنها الهاشميةُ القرشية، عمةُ رسول الله ﷺ ، أختُ حمزةَ بنِ عبد المطلب رضي الله عنه ، أسلمت قبل الهجرة، وهاجرت إلى المدينة النبويّة .

الشّرفُ يكتنفُها من كلّ النّواحي ، والمجدُ يحيط بها من كل جانب، **فأبوها**: عبدُ المطلب بن هاشم، جدُّ النبي ﷺ وزعيم قريش ، **وأمها**: هالة بنت وهيب، ابنة عم آمنة بنت وهب والدة الرسول ﷺ ، **وزوجها الأول**: الحارث بن حرب أخو أبي سفيان بن حرب، وقد توفي عنها، **وزوجها الثاني**: العوَّام بن خويلد، أخو خديجةَ بنتِ خويلد زوجِ النبي ﷺ ، **وابناؤها**: الزبيرُ بن العوام رضي الله عنه حواريُّ رسول الله ﷺ ، وأحد المبشّرين بالجنّة [١]، والسّائب بن العوّام رضي الله عنه شهد بدرًا والخندق وغيرهما، واستشهد باليمامة [٢] .

عندما بَعث الله نبيّه محمدًا ﷺ بالرّسالة الخالدة ، والدّين الحقّ ، أمره بأن يبدأ بذوي قرباه : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] ، فقام الحبيب ﷺ فيهم خطيباً ، وأخذ ينادي بأعلى صوته : (يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ الله

---

(١) سير أعلام النبلاء : (١/ ٤١) .

(٢) انظر : الإصابة في معرفة الصحابة (٤/ ١١٥) .

شَيْئاً، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللهِ شَيْئاً، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللهِ شَيْئاً، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ لا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللهِ شَيْئاً، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللهِ شَيْئًا) (١) .

نرى النبي ﷺ في هذه الصّيحة الدعويّة، كيف خصّ عمّته صفيّة بالنّداء ، لمكانتها وفضلها ، وشرفها وقُربها ، فما كان منها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا إلا أن انقادت للحقّ ، واستمعت للهدى ، وأقبلت على النّور ، فكانت صفيّةُ في الرعيل الأول من المؤمنين المصدّقين، وما أسلم من عمّات النبي ﷺ سواها (٢) ! عند ذلك جمعت صفيةُ المجدَ من أطرافه: سُؤدَدُ الحسب، وعزَّ الإسلام، ولقد بايع الرسول ﷺ الصحابيات على الإسلام -وما مست يدُه يدَ امرأة منهنّ- وكانت عمته صفية رَضِيَ اللهُ عَنْهَا معهنّ، فكان لبيعتها أثرٌ واضح في حياتها، بإيمانها بالله سبحانه ورسوله ﷺ ، ومعروفها لزوجها، وحفاظها على نفسها، وأمانتها وإخلاصها في القول والعمل !

سبحان الله! نحن عندما نذكر صفية بنت عبد المطلب يتبادر إلى ذهننا: مبدأ الحزمِ والجدِّ ، والشّجاعة والإقدام ، وقوةِ النّفس والشخصيّة ! وكان من غريبِ خبرها ، وعجيب تربيتها ، أنّها أنشأت ابنها: «الزبير» على الحزم والخشونة ، والشدّة والبأس، وجعلت لَعِبه في بري السهام وإصلاح القسيِّ، ودأبت على أن تقذفه في كل مَخُوفَةٍ، وتُقحمه في كل خطر، فإذا رأته أحجم أو تردّد، ضربته ضرباً مبرحاً ، وحتى أنّ أحد

(١) متفق عليه : (البخاري ٢٦٠٢، ومسلم ٢٠٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .
(٢) سير أعلام النبلاء : (٢/ ٢٧٠) .

أعمامه عاتبها في ذلك! حيث قال لها: «ما هكذا يُضرب الولد، إنك تضربينه ضربَ مُبغِضةٍ لا ضرب أمّ »، فارتجزت قائلة :

مَنْ قَال قَد أبغضتُه فَقَد كَذبْ * وإنَّما أضربُه لكي يَلبْ

و يَهزِم الجيشَ ويأتي بالسَّلَبْ [(١)]

وإن أردنا التحدّث عن ميدان نصرتها لدينها، والدّفاع عن نبيّها ﷺ فالمواقف كثيرة، ما يزال يذكرها التاريخ، في صفحاته المشرقة ، وأسطره المُنوِرَة ، بلسان نديٍّ بالإعجاب، رطيبٍ بالثناء، وحسبنا من هذه المواقف: ما كان منها من موقفٍ بطوليٍ فريد في غزوة أحدٍ، حيث خرجت مع جند المسلمين، في ثُلةٍ من النساء جهاداً في سبيل الله – تعالى–، فجعلت تنقل الماء، وتروي العطشى، وتبري السهام ، وترقُب المعركة بمشاعرها كلّها !

ولما رأت السيدة صفية رضي الله عنها المسلمين ينكشفون عن رسول الله ﷺ إلا قليلاً منهم، ووجدت المشركين يوشكون أن يصلوا إلى الحبيب ﷺ ! طرحت سقاءها أرضاً، وهبّت كأنثى الأسد التي هُوجم أشبالها، وانتزعت من يد أحد المنهزمين رُمحَه، ومضت تشقّ به الصفوف، وتضرب بسنانه الوجوه، وتزأر في المسلمين قائلة: (ويحكم، انهزمتم عن رسول الله ﷺ ؟) ، فلما رآها النبي ﷺ مقبلةً خَشِي عليها، أن ترى أخاها حمزة وهو صريع! وقد مثّل به المشركون أبشع تمثيل! فأشار إلى ابنها الزبير قائلاً: (المرأة يا زبير المرأة يا زبير)، فأقبل عليها الزبير قائلاً: (يا أُمَّهْ إليكِ ... إليكِ يا أُمَّهْ) أي ابتعدي عن

(١) انظر : الإصابة في معرفة الصحابة (٤/ ٧–٨ باب ذكر من اسمه الزبير) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي : (١/ ٤٥) .

هنا، فقالت صفيّة: (تنحَّ لا أمَّ لك)، فقال ابنها: (إنّ رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي)، فقالت صفيّة: (وَلِمَ؟! إنه قد بلغني أنه مُثِّلَ بأخي وذلك في الله -عزّ وجل- قليل)، فقال له الرسول ﷺ : (خلِّ سبيلها يا زبير)؛ فخلّى سبيلها.

ولما وضعت الحربُ أوزارها وقفت صفية على أخيها حمزة، فوجدته قد بُقِر بطنه، وجُدع أنفه، وشُوِّهَ وجهه، فاستغفرت له، وجعلت تقول: (إن ذلك في الله، لقد رضيت بقضاء الله، والله لأصبرنّ، ولأحتسبنّ إن شاء الله)، ثمّ رثته قائلة [1]:

دَعاه إلـهُ الحـقِّ ذو العَـرشِ دَعـوةً * إلى جنَّةٍ يَحيَا بها وسُـرورِ لِحمزةَ
فـذلكَ مـا كُنَّـا نُرجِّـي ونرتَـجي * يـومَ الحـشرِ خَـيرُ مـصيرِ

هكذا أعطتنا هذه السيدةُ الهاشميةُ درسًا في الصبر عند البلاء، لا عويلٌ ولا جزعٌ ، ولا نياحةٌ ولا لطمٌ ، بل الرضا بقضاء الله، والتسليم لأمر الله، حقًا .. لقد كانت هذا المرأة العظيمة مثلاً فذًا للمرأةِ المسلمة، المؤمنةِ الصّادقة ، الصّابرةِ المحتسبة ، الشجاعة الحازمة، العاقلةَ الباسلة ، لم تهزّها المحن والشدائد ، توفيت رضي الله عنها في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة عشرين للهجرة، وقد بلغت من العمر ثلاثًا وسبعين سنة، وصلى عليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ودُفِنت في البقيع [2]، فرضي الله عنها وأرضاها.

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير (٣/ ١١٨) .
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي : (٢/ ٢٧١) .



العبّاس بن عبد المطلب رضي الله عنه

في عام الرّمادة، وحيث أصاب العبادَ والبلادَ قحطٌ وبيل، خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه والمسلمون معه، إلى الفضاء الرّحب يصلون صلاة الاستسقاء، ويتضرّعون إلى الله الرحيم أن ينزل عليهم الغيث والمطر، فوقف عمر رضي الله عنه وقد أمسك يمين العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، ورفعها صوب السماء، قائلاً: (اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا) [1]، وهذا الفعل يُسمّى عند العلماء: التوسّل بدعاء الرّجل الصّالح، أي تطلب من الرّجل الصّالح الحيّ أن يدعو لك.

وفعلاً لم يغادر المسلمون مكانهم حتى جاءهم الغيث، وهطل المطر، يزفّ البشرى، ويمنح الريّ، ويخصِب الأرض، وأقبل المسلمون على العباس يعانقونه ويصافحونه قائلين: «هنيئاً لك ساقي الحرمين» [2] ! فمن كان ساقي الحرمين هذا؟ إنّه أبو الفضل العبّاسُ بن عبد المطّلب، عمُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام، كانَ مِنْ أطولِ الرِّجالِ، وأَحْسَنِهم صُورَةً، وأَبْهَاهُم منظراً، وأَجْهرِهِم صَوْتاً، مع الحِلْمِ الوافِرِ، والسُّؤْدُدِ.

(١) رواه البخاري في صحيحه : (٩٦٤، ٣٥٠٧) من حديث أنس رضي الله عنه .
(٢) انظر الاستيعاب (١/ ١٤٦) والوافي بالوفيات : (١٦/ ٣٦١) .

كان أكبر سنّاً من النبي ﷺ بقليل، وُلِدَ قبلَ عامِ الفِيْلِ بِثلاثِ سِنيْنَ، قِيلَ له مرّة: أَنْتَ أَكْبَرُ أَوِ النَّبِيُّ ﷺ ؟ فقَالَ: «هُوَ أَكْبَرُ، وَأَنَا وُلِدْتُ قَبْلَهُ»[(١)]، فكانت القرابة والصداقة بينهما، إلى جانب خُلق العباس وسجاياه التي أحبها الرسول الكريم ﷺ ، فقد كان وَصولاً للرحم والأهل، لا يَضِنُّ عليهما بجهد ولا مال، وكان فَطِناً إلى حد الدّهاء، وله مكانةٌ رفيعةٌ في قريش، وكان الرسول ﷺ يُجلّه بقدر ما كان يحبه، وكان يمتَدِحه ويُطري سجاياه، حتى قال عنه ﷺ : (هَذا العباسُ بنُ عبدِ المطّلب، أجْودُ قريشٍ كفًا، وأوَصلُهَا)[(٢)].

فكان العباس رضي الله عنه مُحسناً لقومه، سديدَ الرأي، واسعَ العقل، مولعاً بإعتاق العبيد، كارها للرّق، وكانت له سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام - وهي أن لا يدع أحدًا يَسُبُّ في المسجد أو يقول هُجْراً[(٣)]، وله رضي الله عنه موقفه المشهود في بيعة العقبة الثانية: عندما قدم مكةَ في موسم الحاج وفدُ الأنصار، ثلاثةٌ وسبعون رجلاً وسيدتان؛ ليعطوا الله ورسوله بيعتهم، وليتفقوا مع النبي ﷺ على الهجرة إلى المدينة، أنهى الرسول ﷺ إلى عمِّه العباس نبأ هذا الوفد، وهذه البيعة وذلك لثقة النبي ﷺ في عمّه العبّاس رضي الله عنه وهو يومئذ على دين قومه.

---

(١)رواه الحاكم في المستدرك (٥٣٩٨) وسكت عنه، وابن أبي شيبة في المصنف (٢٦٢٥٦) وقال الحافظ الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. انظر مجمع الزوائد (١٥٤٨٢).

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٦١٠) وابن حبان في صحيحه (٧٠٢٥) والحاكم (٥٤١٩) وأبو يعلى (٨٢٠) وقال محققه: إسناده جيد، والبزار (١٠٧٧) والنسائي في الكبرى (٨١٧٤) بنحوه، وفي المجمع: فيه محمد بن طلحة التيمي وثقه غير واحد ، وبقية رجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح، وهو في السلسلة الصحيحة للألباني برقم : (٣٣٢٦) .

(٣) انظر تفسير الثعالبي (٢/ ١٢١)، وتاريخ دمشق (٢٤/ ١١٨) .

فاجتمع الأنصار في الشِّعب سرًّا، ينتظرون قدوم النبي ﷺ ، فقدم عليهم الرسول ﷺ ومعه عمه: العباس بن عبد المطلب ﷺ ، الذي أحبّ أن يَحضر أمر ابن أخيه، ويتوثّق له، وكان أول متكلم! تكلم ليشرح لهم بكلّ صراحةٍ خطورة المسئولية التي ستُلقى على كواهلهم، نتيجة هذا التحالف، حيث قال: (يا معشر الخزرج: إنّ محمدًا منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممّن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عزٍّ من قومه ومنعةٍ في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافُون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحمّلتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مُسْلِمُوه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم، فمن الآن فدعوه، فإنّه في عزٍّ ومنعةٍ من قومه وبلده)، كلمات قليلة، لكنها واضحةٌ أوصلت الرّسالة إلى الأنصار.

فقال كعب: (قد سمعنا ما قلت، فتكلّمْ يا رسول الله، فخُذ لنَفسِك ولربِّك ما أحببتَ) وهذا الجواب يدلّ على ما كانوا عليه من عزمٍ صميم، وشجاعةٍ مؤمنة، وإخلاص كامل، في تحمّل هذه المسئولية العظيمة، وتحمل عواقبها الخطيرة، وألقى رسول الله ﷺ بعد ذلك بيانه، ثم تمت البيعة [1].

وأمّا ما يتعلّق بإسلام العباس ﷺ ، فإنّه لم يعلن إسلامه إلا قبل فتح مكة، وقد شارك في غزوة بدر، لكن مع المشركين، فوقع العبّاس ﷺ أسيراً، وقال: «إِنِّي كُنْتُ مُسْلِماً قَبْلَ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا اسْتَكْرَهُوْنِي» أي أنّ مشركي مكة أجبروني على المشاركة، فقال النبي ﷺ : (اللهُ أَعْلَمُ بِشَأْنِكَ، إِنْ يَكُ مَا تَدَّعِي حَقّاً، فَاللهُ يَجْزِيكَ بِذَلِكَ، وَأَمَّا ظَاهِرُ أَمْرِكَ فَقَدْ

(١) انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٣٠٢).

كَانَ عَلَيْنَا، فَافْدِ نَفْسَكَ) [١]، يقول ابن عباس رضي الله عنهما : أَمْسَى رَسُوْلُ الله ﷺ وَالأُسَارَى فِي الوَثَاقِ، فَبَاتَ سَاهِراً أَوَّلَ اللَّيْلِ، لم ينم، فَقِيْلَ: يَا رَسُوْلَ الله، مَا لَكَ لاَ تَنَامُ؟ قَالَ: (سَمِعْتُ أَنِيْنَ عَمِّي فِي وَثَاقِهِ) سبحان الله! أي إنسانٍ هذا؟ أنين عمّه في وثاقه، أسهره الليل، فما عرف طعم النّوم، فتأثّر الصحابة رضي الله عنهم لذلك، وقاموا من فورهم وأطلقوا وَثاقه، إكرامًا لرسول الله ﷺ! [٢].

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: (مَا رَأَيْتُ رَسُوْلَ الله ﷺ يُجِلُّ أَحَداً، مَا يُجِلُّ العَبَّاسَ أَوْ يُكْرِمُ العَبَّاسَ) [٣]، ولهذا السبب كان الصحابة ﷺ، يكرمونه ويعظّمونه، حتى أنّ العَبَّاس كان إِذَا مَرَّ بِعُمَرَ أَوْ بِعُثْمَانَ، وَهُمَا رَاكِبَانِ، نَزَلاَ حَتَّى يُجَاوِزَهُمَا إِجْلاَلاً لِعَمِّ رَسُوْلِ الله ﷺ ، ولما استُخلفَ عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه وفُتحت عليه الفتوح، جاءه مال فَفَضَّل المهاجرين والأنصار: ففرض لمن شهد بدراً خمسة آلاف، ولمن لم يشهدها وله سابقة أربعة آلاف، وفرض للعباس اثني عشر ألفاً! وحتى علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يجلّ العبّاس، ويقبّل يدَه ورِجْله، ويقول: «يا عمّ! ارض عني» [٤]، وقال سعيد بن المسيب: « العبّاسُ خير هذه الأمّة » [٥].

---

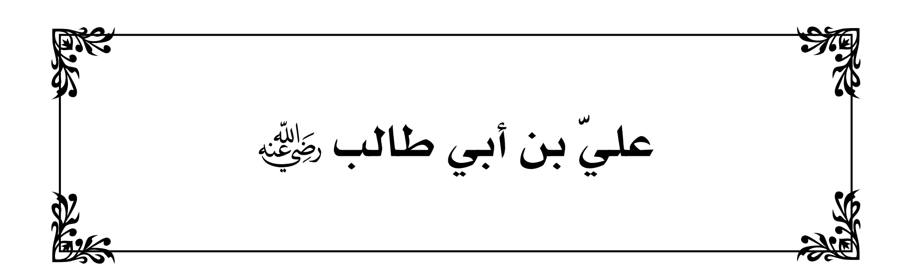
(١) رواه أحمد في مسنده : (٣٣١٠) وفي مجمع الزوائد: رواه أحمد وفيه راو لم يسم وبقية رجاله ثقات .
(٢) انظر: سنن البيهقي الكبرى (١٧٩٢٤) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٦/ ٢٩٠) .
(٣) انظر: تاريخ بغداد (٩/ ٢١٢) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقال عنه الذهبي في السير: (٢/ ٩٢) إسناده صالح ، ورواه الحاكم في المستدرك : (٥٤١٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ولفظه: كان رسول الله ﷺ يجلّ العباس إجلال الولد والده خاصة خص الله العباس بها من بين الناس، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، ولكن ضعفه الألباني رحمه الله ، انظر ضعيف الجامع (٤٥٣٨) والسلسلة الضعيفة (٤٢٦٤). والله أعلم .
(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد : (٩٧٦) وقال الألباني : ضعيف الإسناد موقوف .
(٥) رواه الحاكم في المستدرك : (٥٤٣٤) وصحّحه الذهبي في تاريخ الإسلام (٣/ ٣٧٨) .

وورد أن عمَر بن الخطاب رضي الله عنه في زمن خلافته، رأى ميزاباً على دار العباس بن عبد المطلب -وهو ما يُوضع على سطح الدار لصرف المياه- وكان هذا الميزاب في طريق النّاس وممرّهم، فعَمَد إليه عمر رضي الله عنه وقَلَعَه، فقال له العبّاس: أقلعته؟ قال عمر: نعم قلعتُه حتى لا يؤذي الناس! فقال له العباس رضي الله عنه : أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي وضعه في مكانه! فبكى عمر رضي الله عنه ثمّ قال للعباس: والله لتصعدنَّ على ظهري ولتضعنَّه في موضِعه! [1] .

أيّها الإخوة والأخوات: انظروا إلى هذا الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم من قبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وتأمَّلوا كيف تعامل مع عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في أثرٍ من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما نحن فيا ترى كيف تعاملنا مع آبائنا وإخواننا المسلمين؟! بل كيف تعاملنا مع كتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم ؟ لا حول ولا قوة إلا بالله.

هذا هو العباس عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذي أعتقَ عند موته سبعين مملوكاً، وعلى كُلِّ حالٍ لوْ كان نبيُّنا صلى الله عليه وسلم ممَّن يُورَثُ، لما وَرِثهُ أحدٌ بعد بِنْتِهِ وزوجاتِهِ، إلاَّ العبَّاس! وكانت وفاتهُ: سنةِ اثنتيْنِ وثلاثينَ من الهجرةِ، فصلَّى عليهِ عثمانُ بن عفّان رضي الله عنه ، ودُفِنَ بِالبقِيع، فرضي الله عنه وأرضاه.

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٩٦) .



عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه

إنّ في الدنيا ذكرياتٍ لا يُمَلّ حديثها، ولا تُسأم سيرتها، بل قد تحلو إذا أعيدت وتكررت، ومن تلك الذكريات : حياة محمد ﷺ سيد ولد آدم، فهي من الذكريات الغوالي، التي تتألق في غُرة الزمان، ولعلّ من أسْطعها وأروعها: هجرة المصطفى ﷺ من مكة إلى المدينة، تلك الهجرة التي كانت فاتحةَ الأمل، وبارقةَ النصر، وطريقَ العودة له ولأصحابه إلى مكة فاتحين ظافرين، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ﴾ [القصص: ٨٥] يعني إلى مكة.

لما رأى المشركون أصحاب رسول الله ﷺ قد تجهّزوا، وخرجوا بالأزواج والذراري جهة المدينة، خافوا خروجَ رسول الله ﷺ إليهم، ولحوقَه بهم، فاشتدّ عليهم أمرَه، ولم يبقَ بمكة من المسلمين، إلا رسولُ الله ﷺ وأبو بكر وعليٌّ رضي الله عنهما وبعض من اعتقله المشركون كرهًا، فلمّا كانت ليلةُ المؤامرةِ، مؤامرة المشركين لقتل رسول الله ﷺ ، جاء جبريل بالوحي من السّماء، فأخبره بذلك، وأمره ألا ينام في مضجعه تلك الليلة! وجاء رسول الله ﷺ إلى أبي بكر نصف النهار، في ساعة لم يكن يأتيه فيها، فقال له ﷺ : (إن الله قد أذن لي في الخروج، فقال أبو بكر رضي الله عنه : الصحبة يا رسول الله؟ قال: نعم)، قَالَتْ عَائِشَة: فَرَأَيْت أَبَا بَكْر يَبْكِي، وَمَا كُنْت أَحْسَب أَنَّ أَحَدًا يَبْكِي مِنْ الْفَرَح ! وأمر

النبي ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يبيت في مضجعه تلك الليلة [1]، فما كان من هذا الشّاب المؤمن إلا أن لبّى طلب النبي ﷺ! سبحان الله !ما الذي حمله على هذا؟

الصدّيق رضي الله عنه يبكي فرحاً، وعليٌ رضي الله عنه ينام مكان النبي ﷺ ! أي محبةٍ هذه للحبيب ﷺ ؟ بل هو شغفٌ بنصرة الدين! (الصُّحبة يا رسول الله، النُّصرة يا رسول الله) يُصَاحبُ الحبيب ﷺ وهو مطاردٌ ؟ نعم ينام مكان الحبيب ﷺ وهو مطلوبٌ ؟ نعم، مع أنّ هذه النّصرة والصّحبة، ليست لرجلٍ ذي ثراء وأموال، وليست لرجلٍ ذاهبٍ في نزهة، إنها صحبةُ ونصرةُ رجلٍ مطاردٍ، مطلوبٌ رأسه، فعلام يحرص الصّحابة على الصحبة والنصرة؟ إنه الإيمان الذي يمتاز به العظماء! الإيمان الذي يجعل الإنسان مُسخِّرًا نفسه وأهله وماله من أجل الدعوة ومن أجل الهجرة!

ولذلك أقول وبكلّ ثقةٍ لو سئل علي بن أبي طالب، عن أعظم ليلةٍ في حياته لقال: إنّها ليلة الهجرة! لماذا؟ لأنها ليلة الفداء، ليلة التضحية، ليلة امتحان حرارة الإيمان، واختبار صدق اليقين، إنّها ليلةُ نصرة الحبيب ﷺ وكفى !

يأتي النبي ﷺ إلى علي بن أبي طالب، ويدعوه إلى أمرين: لقضاء الديون ورد الودائع التي كانت عنده، وأمره بمهمةٍ أخرى، ألا وهي: أن ينام على فراشه ﷺ ، وفعلاً اجتمع أولئك النفر من قريش، يتطلعون من صِيْر الباب -أي شَقّ الباب- ويرصدونه، ويأتمرون أيهم يكون أشقاها! فخرج رسول الله ﷺ ، فأخذ حَفنة من البطحاء، فجعل

(١) الطبقات الكبرى: (١/ ٢٢٨)، وفقه السيرة: (١/ ١٦١).

يذروه على رؤوسهم، وهم لا يرونه وهو يتلو: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس:٩].

أمّا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ففي الدّاخل قد لبس ثوب النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم نام مكانه، وأخذ المشركون يرمون علياً بالحجارة -كما كان يُرمى نبي الله- وهو يتضوّر ويتألم! قد لفّ رأسه في الثوب لا يخرجه، مع كلّ هذا الإرهاب والأذى بقي علي رضي الله عنه ثابت الجأش، لم يخف ولم يضطرب؛ لأنه بطل! ولأنه عملاق! ولأنه عظيم! فلمّا كان الصّبح، كشف عن رأسه، فرأى المشركون أنّه عليُ بن أبي طالب رضي الله عنه ، فأُسقِط في أيديهم، وردّ الله مكرهم!

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم علياً أن يلحقه بالمدينة، فخرج عليٌ رضي الله عنه في طلبه إلى المدينة، يمشي الليل ويكمن النهار حتى قدم المدينة، فأقبل الصحابة رضي الله عنهم على رسول الله يخبرونه بقدوم علي رضي الله عنه ، فبرقت أسارير وجهه صلى الله عليه وسلم ، ذلك الوجهُ الأنورُ والجبين الأزهر -بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم - وقال: ادعوا لي علي بن أبي طالب، قال الصحابة: يا رسول الله، لا يقدرُ أن يمشي! حينها قام النبي صلى الله عليه وسلم وأتاه، فلما رآه اعتنقه وبكى، بكى رحمةً لما بقدميه من الورم، وكانتا تقطران دماً، عندها سكتت الألسنة، ونطقت الدموع!

إذا اشتبكت دُموعٌ في خدودٍ * تبيَّن من بَكى ممن تَبَاكى

فتفل النبي صلى الله عليه وسلم في يديه، ومسح بهما رجليه، ودعا له بالعافية، فلم يشتكِ عليٌ رضي الله عنه بعد يومِئذ حتى استشهد رضي الله عنه [1]، ولعلّ من الأهمية بمكان: الإشارة إلى أن دور علي

(١) تاريخ دمشق (٤٢/ ٦٨) ، وأسد الغابة (١/ ٧٩٢) .

بن أبي طالب رضي الله عنه كان من أخطر أدوار الهجرة، فكان أول فداءٍ في الإسلام، ومن ثمَّ فلا بُدَّ أن يكون هذا الفدائي من طراز فريد، وهو يعلم أن السيوف المسلولة تنتظره في الصباح! وسيظل المسلمون إلى يوم الدِّين عندما يذكرون حادثة الهجرة، يذكرون هذا الفداء وتلك البطولة، التي فاقت كل بطولة، جاد بحياته لماذا؟ لتنتشر دعوة النبي محمد ﷺ ، وليتألّق الإسلام في آفاق الدنيا.

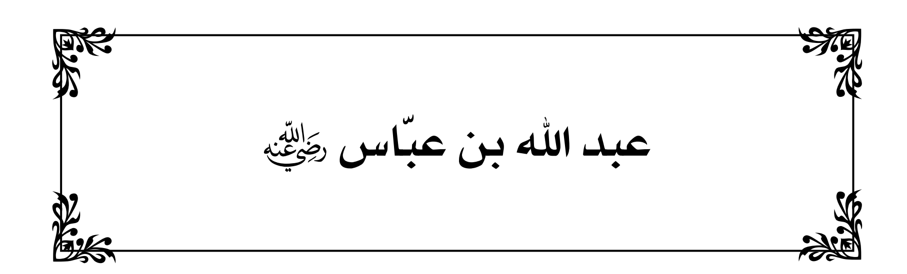
أيّها الإخوة: إنّ حياة أبي السِّبطين تتفجر عظمة وإجلالاً، وتضحيةً وإعجازاً، وعلو همته تَنْدَاحُ رحاباً ليس لها أبعاد، تتلألأ عليها بطولات وتضحيات عظام، وأمجادٌ تكاد تحسبها لولا صدق التاريخ أحلاماً وأساطيرَ إنه أبو تراب- أبو الحسن، أبو سيديْ شبابِ أهل الجنة، ورابعُ الخلفاء الراشدين، وابنُ عم خاتم الأنبياء والمرسلين، وزوجُ ابنة سيد ولد آدم ﷺ ، وحِبُّ الله ورسوله ﷺ ، وحامل رايته، ومولى كلِّ مؤمنٍ ومؤمنة، وحبيبُ أصحاب رسول الله ﷺ ، وحليفُ القرآن والسنة، إنه أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، رضي الله عنه وأرضاه.

قد شهد عليٌ رضي الله عنه المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلا غزوة تبوك! فقد تخلف عنها! أتدرون لماذا؟ لأن رسول الله ﷺ أمره بذلك، فأتى إليه بعض الغلمان فأوغروا في صدره، وقالوا له: خلّفك رسول الله ﷺ في النساء والصبيان! فلحق برسول الله ﷺ وقال له: (يا رسول الله! أتخلّفني في الصبيان والنساء؟ فقال رسول الله ﷺ : ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه ليس نبيٌّ بعدي) [1]!

---

(١) متفق عليه : (البخاري ٤١٥٤ واللفظ له، ومسلم ٢٤٠٤) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

قُتل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو يصلي في المسجد، قُتِل بطعنة المجرم عبد الرحمن بن ملجم وذلك سنة أربعين للهجرة يوم الجمعة، ومات ليلة الأحد، مات الخليفة العادل، ولكن سيرته لم تمت. مات أمير المؤمنين، ولكنّ عدلَه وزهده، وورعه وفداءه ما زال نبراساً لكل من يريد أن يحيا حياةَ الأبطال، حياةَ المجاهدين، حياة رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابِه، لقد كان في قصصهم عبرة، وما كان حديثًا يُفترى، ولكنه صدقُ سيرة، وإخلاص متابعة، أثمرت سيرةً أشبه بأسطورة، عاشها هؤلاء العظماء، وهي رسالةٌ نوجّهها إلى أصحاب الهمم العالية.



عبد الله بن عبّاس رضي الله عنه

حديثنا في هذا الفصل عن: « **الحوار** »، العملةُ النادرةُ في مجتمعنا، ليس على النطاق العام فحسب! بل حتى على المستوى الضيّق: كالبيت الواحد والجماعة الواحدة، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥] ؛ لم يقل بالحسنى، وإنما بالتي هي أحسن، أي بأفضل ما يمكن من الألفاظ والعبارات والأساليب والحجج، وهنا تأتي قضية الحوار بالتي هي أحسن! تبدأ من علاقة الإنسان مع زوجه، مع طفله في المنزل، مع شريكه في العمل، مع رئيسه، مع مرؤوسه، وتنتهي بالحوار العام مع جميع فئات الأمة وطوائفها.

فتعالوا معنا يا أحبابنا إلى مدرسة أهل البيت، لنتعلم الحوار الراقي، فها هو الإمام علي رضي الله عنه يبعث عبد الله بن عباس ذات يوم إلى طائفةٍ كبيرةٍ من الخوارج!! وهم الذين قاتلوه وحاربوه، واستحلوا دمه وماله وعرضه!! وكان الرجل يأتيه فيقول: يا أمير المؤمنين إنّ القوم خارجون عليك، فيقول: «دعهم حتى يخرجوا، فإنّي لا أقاتلهم حتى يقاتلوني، وسوف يفعلون» [1] ، ومع هذا كله لم يمنعه ذلك من إرسال ابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ليحاورهم .

---

(١) المعرفة والتاريخ : (أخبار ابن عباس وأبيه)..

وعبد الله بن عبّاس هو: «حَبر هذه الأمة» أي عالمها، ابن عم النبي ﷺ ، وأمُّ هذا الحبر هي: ثاني امرأة أسلمت بعد خديجة رضي الله عنها وهي أم الفضل لبابةُ بنتُ الحارث الهلالية .

ولد عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما قبل الهجرة بثلاث سنين، ونشأ في ظلال النبوة، فلازم رسول الله ﷺ وروى عنه الأحاديث، وشهد مع علي رضي الله عنه موقعةَ الجمل وصفين، وكُفّ بصره في آخر عمره ، فسكن الطائف، وتوفي بها.

قال عمرو بن دينار: «ما رأيت مجلسًا كان أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس، الحلالُ والحرام والعربية والأنساب والشعر»، وقال عطاء: «كان ناس يأتون ابن عباس في الشعر والأنساب، وناس يأتونه لأيام العرب ووقائعهم، وناس يأتونه للفقه والعلم، فما منهم صِنفٌ إلا يُقبِل عليهم بما يشاءون»، وكان ابن عباس رضي الله عنه يُقسّم أيام دروسه على العلوم: فيومٌ للفقه، ويومٌ للتأويل، ويومٌ للمغازي، ويومٌ للشعر، ويومٌ لوقائع العرب، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا أشكلت عليه قضية دعا ابن عباس وقال له: «أنت لها ولأمثالها»، ثم يأخذ بقوله، ولا يدعو لذلك أحداً سواه، لقّب بـ «تُرجمان القرآن»، هيّأه لهذا اللقب، ولهذه المنزلة: استنارة عقله، وذكاء قلبه، واتساع معارفه، كيف لا وقد دعا له المصطفى ﷺ بقوله: (اللّهم فقّهه في الدين، وعلّمه التأويل) [1].

---

(١) متفق عليه : (البخاري ١٤٣ بلفظ: اللهم فقهه في الدين، ومسلم ٢٤٧٧بلفظ: اللهم فقهه) ، وأما زيادة "وعلمه التأويل" فهي ثابتة عند أحمد وغيره بأسانيد صحيحة ، انظر السلسلة الصحيحة للألباني : (٢٥٨٩) .

فكان بحقٍّ بدرَ الأحبار، والعينَ المدرار، مفسِّرَ التنزيل، ومبيِّنَ التأويل.. المتفرسَ الحساس، والوضيءَ اللباس.. مُكرِمَ الجُلَّاس، ومُطعِم الأُناس: عبدَ الله بنَ العباس، ابنَ عم رسولِ الجِنَّةِ والناس ﷺ[1].

لهذا كلّه .. وقع اختيار علي بن أبي طالب رضي الله عنه على ابن عمّه عبد الله بن عبّاس لهذه المهمّة العظيمة! أقصد مهمّة الحوار مع فرقة الخوارج، فدار بين عبد الله بن عباس وبين الخوارج حوارٌ رائع! وجّه فيه الحديث، وساق الدليل، وأقام الحُجة بشكل يبهر الألباب، ويُدهش العقول، فقال لهم: «أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله ﷺ ؟ قالوا: ننقم عليه ثلاثاً، قال ابن عباس: وما هنّ؟ قالوا: أولهن أنه حَكّم الرجال في دين الله، وقد قال الله: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [الأنعام: ٥٧] ، قال: وماذا؟ قالوا: وقاتل ولم يَسْبِ ولم يغنم ـ يقصدون في موقعة الجمل وصفين ـ ، لئن كانوا كفارًا لقد حَلّت له أموالهم، ولئن كانوا مؤمنين لقد حَرُمت عليه دماؤهم، قال: وماذا؟ قالوا: محا نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أميرَ المؤمنين فهو أميرُ الكافرين».

طريقةٌ إبداعيةٌ في الحوار .. بدأ ابن عباس رضي الله عنه بإعطاء مجالٍ للخوارج، بأن يُظهروا كلّ نقدهم على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومآخذهم عليه، ولم يقاطعهم في واحدة من تلك المآخذ، حتى إذا ما أتوا على كل شبهاتهم ومآخذهم، قال لهم ابن عباس: أعندكم سوى هذا؟ قالوا: حسبنا هذا!

---

(١) للوقوف على مزيد من الآثار الواردة في فضائل ابن عباس ومناقبه ، راجع الاستيعاب (١/ ٢٨٤ ـ ٢٨٦).

قال ابن عبّاس رضي الله عنه : أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم، وحدّثتكم من سنة نبيه ﷺ ما لا تنكرون [ينقض قولكم] أترجعون؟ قالوا: نعم، سبحان الله!! وهنا حدّد ابن عبّاس المرجعيّة!! المرجعيّة عند الاختلاف، وهي الرّجوع إلى الكتاب والسنة .. بعدها قال ابن عبّاس: أما قولكم: حكّم الرجال في دين الله، فإن الله تعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾ [الأنعام: ٩٥] ، وقال في المرأة وزوجها: ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ ﴾ [النساء: ٣٥] ، أنشدكم الله أحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم، وإصلاح ذات بينهم أحقّ، أم في أرنبٍ ثمنها ربع درهم، وفي بِضع امرأة! وأن تعلموا أن الله لو شاء لحكم ولم يصيّر ذلك إلى الرجال.

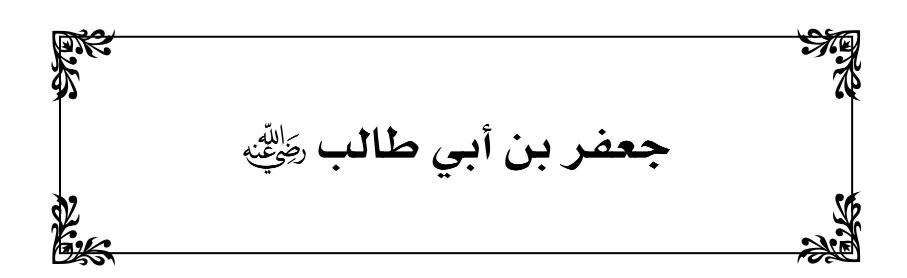
قالوا: اللهم في حقن دمائهم، وإصلاح ذات بينهم، قال: أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم، قال: وأما قولكم قاتل ولم يَسبِ ولم يَغنم .. أتَسبُون أمّكم عائشة؟ أم تستحلّون منها ما تستحلون من غيرها؟ فقد كفرتم! وإن زعمتم أنها ليست أمَّ المؤمنين فقد كفرتم، وخرجتم من الإسلام! إن الله يقول: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ﴾ [الأحزاب:٦]، فأنتم مترددون بين ضلالتين! فاختاروا أيهما شئتم؟

ثمّ قال ابن عباس: أخرجت من هذه؟ فنظر بعضهم إلى بعض، قالوا: اللهم نعم، قال ابن عبّاس: وأما قولكم محا نفسه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بما ترضَون، فإن رسول الله ﷺ دعا قريشاً يوم الحديبية أن يكتب بينه وبينهم كتابًا فكاتب سهيلَ بن عمرو وأبا سفيان، فقال: اكتب يا علي: هذا ما قاضى عليه محمدٌ رسول الله، فقالوا [أي

المشركون]: والله لو كنّا نعلم أنك رسولُ الله ما صَدَدْناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمدُ بنُ عبد الله، فقال الرسول ﷺ: والله إني لرسول الله حقًا وإن كذبتموني، اكتب يا على: محمد بن عبد الله .. فرسول الله ﷺ كان أفضل من علي رضي الله عنه وما أخرجه من النبوة حين محا نفسه!! ثمّ قال ابن عبّاس: أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم.

فماذا كانت النتيجة؟ تاب ثلث الخوارج «ألفان» ورجعوا عن بدعتهم! وبقي منهم أربعة آلاف فقتلوا على الضّلالة [1]! وبهذا يتَّضح لنا جلياً، مدى حرص الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه على وحدة المسلمين وجماعتهم، فلا يبدأ الخوارج بالقتال، ما لم يخرجوا هم عليه، أو يؤذوا المسلمين ببدعتهم، وهذا الأصل متمثّل أيضًا في موقف ابن عباس رضي الله عنه في حرصه على الخروج إليهم، وانتدابِهِ نفسَه للتفاهم معهم، وتفنيدِ شبهتهم وإرجاعِهم إلى الحق .

(١) هذا الأثر أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في المصنف، باب ذكر رفع السلام (١٠/ ١٥٧/ ١٨٦٧٨) ، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٧٩) ، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٠٣ ط المنيرية) ، كما رواه الحاكم بطوله في المستدرك (٢٦٥٦) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي .



جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه

أيها الإخوة! إنّ الكلام عن أهل بيت رسول الله ﷺ له مكانةٌ في نفوس المسلمين، فهم أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ دماً، وفضائل أهل البيت الكريم كثيرة جداً، وبين أيدينا أنموذجٌ فذ، وصحابيٌ عظيم، جمع بين صدق الإيمان وعلو الهمة، وبين الهجرة في سبيل الله والتضحية من أجله، كيف لا ، وهو القائل [(١)] :

يا حبذا الجْنَّـــةَ واقترابَهـا * طيبـــةٌ وبـاردٌ شرابهـا علـيّ

والـرومُ رومٌ قـد دنـا عـذابها * إن لاقيـتها ضِـرابها

إنه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه .. كنيته أبو عبد الله .. الخطيبُ المقدام، والسخي المطعام، خطيب المهاجرين، وعلم المجاهدين، ومهاجر الهجرتين، ومصلي القبلتين، سُرّ النبي ﷺ بقدومه إلى المدينة المنورة، وحزن لوفاته، إنه أشبه الناس خَلقاً وخُلقاً برسول الله ﷺ ، وسفيرُ المسلمين إلى بلاد الحبشة، إنه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، وحَسْبُ جعفرَ أنه من تلك الشجرة التي بارك الله في فروعها وأغصانها، وفي صحيح البخاري عن البراء رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال لجعفر بن أبي طالب: (أشبهتَ خَلقي وخُلقي) [(٢)]، كان جعفرُ رضي الله عنه أكبر من أخويه علي وعقيل رضي الله عنهم أجمعين ، نشأ رضي الله عنه تحتَ رعاية عمه العباس رضي الله عنه ،

---

(١) كان ذلك يوم مؤتة عندما حمى الوطيس واستحر القتل، فما كان منه رضي الله عنه إلا أن عقر جواده وأقبل على الأعداء غير هياب ولا وجل وهو يردد تللك الأبيات حتى أكرمه الله تعالى بالشهادة في سبيله، وانظر: حلية الأولياء (١/ ١١٨) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه : (٢٥٥٢، ٤٠٠٥) .

في ثراء ورعاية وحماية، حتى بعث الله نبيه بدين الحق، فأسلم جعفر هو وزوجته أسماء بنت عميس على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

انضمّ جعفر إلى ركب النّور هو وزوجته منذ أول الطريق، وعندما ازداد عدد المسلمين بمكة، شعر كفار قريش بخطورة الوضع، فقاموا بتعذيب المسلمين وسجنهم، وأرادوا فتنتهم عن دينهم، فأشار عليهم رسول الله ﷺ أن يهاجروا إلى الحبشة؛ لأن فيها مِلِكاً من أهل الكتاب لا يُظلم عنده أحدٌ، فكانت أوَّل طليعة من المهاجرين أحدَ عشرَ رجلاً وأربعَ نسوة، وما لبِثوا أن رجعوا إلى مكة بعد أن سمعوا أنّ أذى المشركين قد خفّ، وأصبح بإمكانهم أن يعيشوا بأمان، لكن ما إن وصلوا إلى أبواب مكة حتى علموا كذب ذلك كله؛ بل إنهم ما إن عادوا حتى لقوا من قومهم الأذى الأشد والعذاب الأنكى.

ثم عاد الركب مرة أخرى إلى الحبشة، وكان على رأسهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وكان أميرَهم، والمتكلمَ باسمهم وباسم الإسلام، فاستقرّ بهم الأمر عند النجاشي، وذاقوا لأول مرة طعم الأمن، واستمتعوا بحلاوة العبادة، دون أي تَعْكير أو كَدَر، وعندما دخل جعفر رضي الله عنه على النّجاشي سلّم عليه، قال له أتباعه: ما لك لا تسجد للملك؟ قال جعفر: إنّا لا نسجد إلا لله، قالوا: ولم ذاك؟ قال: إن الله أرسل فينا رسولاً، وأمرنا أن لا نسجد إلا لله، وأمرنا بالصلاة والزكاة.

الله أكبر!! قولٌ صادق، وموقفٌ ثابت، ودفاع عن العقيدة! لم يتلعثم، ولم يتردّد في شرح مفاهيم الدين الحق، نعم .. هكذا تكون العظمة عند المسلم الصّادق، والمؤمن

الحقّ .. خرج هؤلاء المسلمون الضّعفاء من بلادهم مكةَ المكرمة، فراراً بدينهم، لديار ملك الحبشة، الذي لا يظلم عنده أحدٌ، فما جلسوا في بيوتهم، بل قاموا بنشر الدعوة هناك، ويكفي -واللهِ- فخراً للمهاجرين، أن تصل دعوتهم إلى بلاط النجاشي، وفي مجلسه كتاب الله يتلى، وأمر الإسلام يُعظَّم، والنجاشي نفسه يسلم، وتؤتي جهود جعفر الطيّار رضي الله عنه ومن معه في الحبشة ، ثمارًا يانعة، يقتات منها الأفارقة.

ولما كانت هدنة الحديبية بين رسول الله ﷺ وبين مشركي مكة، كتب رسول الله ﷺ للنجاشي في طلب جعفرَ وأصحابِه، فحملهم النجاشي على سفينة، وحين وصلوا المدينة كان المسلمون قد فتحوا خيبر، فلم يتمالك رسول الله ﷺ حينها أن يبدي سروره بمقدم جعفر ﷺ وأصحابِه، وحين رآه قبّل ما بين عينيه وقال الحبيب ﷺ : (ما أدري أنا بقدوم جعفر أُسرّ: أم بفتح خيبر؟) (١)، وفي رواية: (أنه ضمَّه واعتنقه).

أيها الأحبة: إنّ قدوم جعفر بن أبي طالبٍ رضي الله عنه من الحبشة، لم يكن ليأخذ فترةَ نقاهة لطول غربته، ولا ليستلذّ بالراحة ولو لفترة من الزمن إثر جهاده ودعوته، بل عاد ليواصل الجهاد والدعوة للدين، مع قافلة المؤمنين، فلم تمضِ سنةٌ على مقدمه، حتى كان جعفرُ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه أحد القادة الثلاثة، في الجيش الإسلامي، الذاهب لمنازلة الروم في مؤتة، في السنة الثامنة للهجرة، قال النبي ﷺ : (عليكم بزيد، فإن أصيب فجعفر، فإن أصيب جعفر فابن رواحة) (٢).

---

(١) قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٤٨٨): رواه الطبراني في الثلاثة وفي رجال الكبير أنس بن سلم ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات. وانظر تخريجه في نصب الراية (٤/ ٣٢٣) ، وكذا في كتاب " دفاع عن الحديث النبوي للألباني (١/ ٨٥) .

(٢) رواه أحمد في المسند : (٢٢٦٠٤)، (٢٢٦١٩) قال الأرناؤوط: صحيحٌ لغيره وهذا إسناد جيد، كما

وفي معركة غير متكافئة في العدد والعدة، وقف المسلمون وعددهم ثلاثة آلاف مقاتل، وجيش الروم بلغ مائتي ألف مقاتل، فتقاتل المسلمون والروم في مؤتة، والراية في يد زيد بن حارثة، فلم يزل يقاتل بها حتى شاط في رماح القوم وخرّ صريعاً، ثم أخذ الراية جعفر بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه ، فقاتل بها حتى إذا أرهقه القتال، اقتحم عن فرسه فعقَرها، ثم قاتل حتى قتل، فكان أول من عُقِر فرسه في الإسلام عند القتال! ويقال: إن جعفر قُطِعت يمينه، فأخذ الراية بشماله فقُطِعت يساره، فاحتضن الراية حتى قُتِل!

ثم أخذ الراية عبدُ الله بن رواحة، وتقدم بها وهو على فرسه، فجعل يستنزل نفسه وهو يقول [1] :

أقسمتُ يا نفسُ لتنزِلِنّه * طائعةً أو لتُكرَهِنّه ما لي
فطالما قد كنت مطمئنّة * أراكِ تكرهين الجنّة

ثمّ نزل فقاتل حتى قتِل رضي الله عنه ، ثم أخَذ الراية خالد بن الوليد، يقول المصطفى ص عندما نادى مناديه بـ: «الصلاة جامعة»، ورد عند البخاري أن النبي ص نعى زيداً وجعفرَ وابنَ رواحة للناس، قبل أن يأتيهم خبرهم فقال ﷺ : (أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب -وعيناه تذرفان- حتى أخذها سيفٌ من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم) [2]، فيومئذ سمي خالدٌ سيفُ الله.

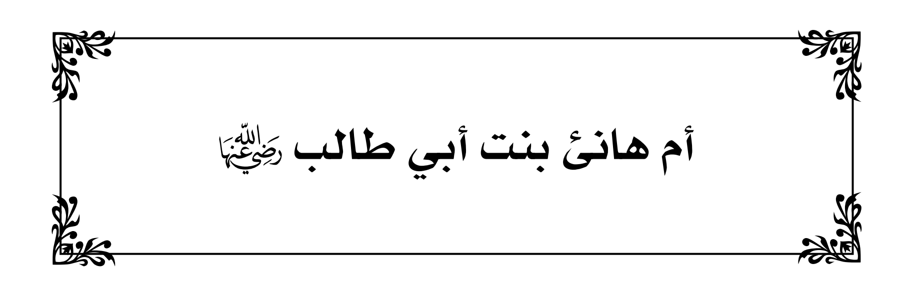
أخرجه ابن حبان في صحيحه : (٧٠٤٨) ، وانظر كذلك سير أعلام النبلاء للذهبي : (١/ ٢٠٨).
(١) الحلية (١/ ١٢٠) .
(٢) رواه البخاري في صحيحه : (٣٥٤٧) من حديث أنس رضي الله عنه .

نعم أيّها الإخوة، لئن عرفت أرضُ الحبشة جعفرَ بن أبي طالب صابرًا محتسباً، عابداً داعياً، معلماً خطيباً، فقد عرفته أرضُ مؤتة مجاهداً صادقاً، شجاعاً ثابتاً، شهيداً عظيماً، تُثخنه الجراح فيَثبُت، وهو يتطلع إلى النصر أو الشهادة، ولقد كان له ما أراد ﵁ ، ولقبه الرسول ﷺ بلقبٍ لم يعلمه في حياته الدنيا «جعفر الطيّار» .. وأخبر النبي ﷺ الدّنيا بأنّ الله أبدله بجناحين! يطير بهما في الجنّة حيث شاء، وفي الصحيح عن ابن عمر ﵄ : أنّه كان إذا سلم على عبد الله بن جعفر قال له: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين [1].

هذا جعفر بن أبي طالب ﵁ المهاجر الطيار، الذي قال الرسول ﷺ في شأنه: (أشْبهتَ خَلقِي وخُلقُي) [2]، رضي الله عن جعفرَ المجاهدِ الصادقِ، والشهيدِ الطيارِ، والمنفقِ الجوادِ، وأشبه الناس خَلقًا وخُلقًا بخير البرية أجمعين .. في هذا الفصل .. أشرنا إشارة خاطفة إلى شيء من مكانة جعفر بن أبي طالب، فرحمه الله ورضي عنه وأرضاه.

(١) رواه البخاري في صحيحه : (٣٥٠٦) .

(٢) تقدم تخريجه .



أم هانئ بنت أبي طالب ﵂

معنا الآن .. سيدةٌ قرشيَّةٌ هاشميّة، اسمها: فاختةُ بنتُ أبي طالب بنِ عبدِ المطلب، ابنةُ عمّ النبي ﷺ ، وأختُ: علي بن أبي طالب، وجعفر الطيّار، وأمّها: فاطمة بنت أسد رضي الله عن الجميع، واختلف في اسمها فقيل: فاختة، وقيل: هند، وقيل: فاطمة .. وكنيتُها: «أمّ هانئ» وقد اشتهرت بها، وُلدَتْ ﵂ في مكة المكرمة قبل الهجرة بخمسين عاماً، فهي أصغر من رسول الله ﷺ ببضع سنوات، وكانت ذات خُلق وفصاحة، وحُسنٍ وجمال، تربّت مع رسول الله ﷺ في بيت والدها أبي طالب، عندما كفله بعد موت جدّه عبد المطلب، ولما بَلغت سنّ الزواج خطبها هبيرة بن وهب المخزومي أحدُ أعيان قريش، فزوّجها أبو طالبٍ لهبيرة .

ولما بُعث رسول الله ﷺ ، لم يُسْلمِ زوجها وتمادى في شركه، وكذلك لم تُسْلِم «أم هانئ» مراعاةً لزوجها، إلا أنها كانت تحترم رسول الله ﷺ وتقدّره، وكان ﷺ كثيراً ما يزورها في بيتها، خاصةً بعد وفاة عمّه أبي طالب وزوجته خديجة ﵂ وقد أكرمها الله -سبحانه وتعالى- بكرامةٍ عظيمة! أتدرون ما هي؟ كانت حادثة الإسراء برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس من بيتها، وكان قد صلّى فيه العشاء، وأسري به ثم عاد وصلى الفجر، تقول أم هانئ: (ما أسري برسول الله ﷺ إلا من بيتي، نام عندي تلك الليلة بعدما صلى العشاء الآخرة) [١].

(١)السيرة النبوية لابن هشام : (٢/ ٢٧٢) ، وفي هذا الأثر نظرٌ لكونها سمَّت الصلاة ولم تكن فرضت

رُوي أنه لمّا عاد رسول الله ﷺ من الطائف، حيث أتى وكلّم أشرافهم وعظماءهم، فطردوه وآذوه، وتبعه سفهاؤهم وعبيدهم، وجعلوا يرمونه بالحجارة، حتى اختَضَب نَعلاه بالدِّماء، وأصابه شِجَاج في رأسه، فلمّا وصل مكة، وكان حزيناً لإعراضهم عن دين اللهّ، توجّه لزيارة أمِّ هانئ بنت أبي طالب، ثم بات عندها، فكان ما كان من حادثة الإسراء والمعراج، فكانت أم هانئ تحدّث بحديث الإسراء والمعراج، حتى قيل: «ما ذُكر الإسراء والمعراج إلا وذكر معه اسم أم هانئ»، ولما أراد أن يخرج ويخبر قريشاً بقصة إسرائه، أخذت أم هانئ بطَرَف رداء الرّسول ﷺ وقالت له: (لا تحدّث بهذا الناس! فيكذّبوك ويؤذوك)، ولكنه خرج ﷺ وحدّث قومه عن ليلة الإسراء والمعراج وما حدث له فيها [(١)].

ولما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة، بقيت أم هانئ في مكة مع زوجها وأولادها، وكانت تصلها أخبار الرسول ﷺ ، فَتُسَرَّ بأخباره وانتصاراته، وبقيت كذلك حتى كان يوم فتح مكة سنة ٨هـ، وظهرَ الإسلام في مكة، فلما سمع زوجها: هبيرةُ المخزوميّ بالخبر، فرّ من مكة هارباً إلى نجران ولم يُسلم! بينما أسلمت أم هانئ، وأسلم معها أبناؤها.

يوم فتح مكة، ذلك الفتح الأعظم! الذي أعز الله به دينه ورسوله، ونصر جنده وحزبه الأمين، في ذلك اليوم عفا الحبيب ﷺ عمّن عفا، وقال: (اذهبوا فأنتم الطلقاء)، كما أهدر رسول الله ﷺ يومئذ دماء أكابر المجرمين، وأمر بقتلهم وإن وجدوا تحت

بعد ! فلذا يحتاج إلى دراسة .

(١) المصدر السابق .

أستار الكعبة! وذلك لشدّة محاربتهم لهذا الدّين، في ذلك اليوم تأتي أمّ هانئ إلى رسول الله ﷺ وهو يغتسل، فلمّا رآها ﷺ رحّب بها أشدّ ترحيب قائلاً: (مَرْحَبًا بِأُمِّ هَانِئٍ)، ثمّ صلَّى ثماني ركعات، وبعدها أخبرته أم هانئ بأنّها أجارت حموين لها من المشركين، فقال رسول الله ﷺ : (قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمَّ هَانِئٍ) [١] ، وفي رواية: (وأمَّنا من أمَّنت) [٢]، وقد كان أخوها علي بن أبي طالب رضي الله عنه أراد أن يقتلَهما، فأغلقت عليهما باب بيتها، وسألت النبي ﷺ ، فاستجاب لطلبها، وأجارهما، وكان بذلك هذا حقًّا من حقوق المرأة في ظلّ الإسلام، حتى قال ابن المنذر: « وأجمعوا على أن أمان المرأة جائز، وانفرد ابن الماجشون، فقال: لا يجوز » [٣].

وحينئذٍ .. بعد إسلام أم هانئ وبقاء زوجها على الشّرك، وهروبه إلى نجران، فقد فرّق الإسلام بينهما، ولذلك فإنّ رسول الله ﷺ أراد أن يخطب أمّ هانئ لنفسه، فقالت رضي الله عنها : (يا رسول الله ﷺ إني قد كبرت، ولي عيال) فاعتذرت إليه فعذرها ﷺ ، وقال ﷺ : (خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ: صَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ: أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ، وَأَرْعَاهُ عَلَى

(١) متفق عليه : (البخاري ٣٥٠، ومسلم ٣٣٦) .

(٢) رواه أبوداود (٢٧٦٣) وسكت عنه، والترمذي (١٥٩٧) مختصراً، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد (٢٦٩٣٦)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، وفي موضع آخر (٢٦٩٥١) قال: صحيح على شرط الشيخين . وصححه الألباني دون قوله :"وأمنا"، وانظر السلسلة الصحيحة برقم (٢٠٤٩). .

(٣) انظر كتاب الإجماع (٦١) .

زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ) [١]، في هذا الحديث إثبات الخيريّة للنساء الصّالحات من قريش على بقيّة نساء العرب [٢]، لماذا؟ الجواب كما في الحديث، لأمرين:

الأمر الأول : العطف والحنان على الأولاد، بأنّهن أَكْثَر النساء شَفَقَة على أولادهنّ، ومن شدّة تلك الشفقة والحنان أنّهنّ في حال يُتمِ أولادهنّ: يتركن الزّواج من رجلٍ آخر! **والأمر الآخر**: رعايتُهنّ للزوج، وحفظُ ما يملك من مالٍ .

سؤالي إليك أيّتها الأختُ الغالية، والأمُّ العزيزة: ألا تحبين أن تكوني من خير النساء؟ ومَنْ مِن النساء لا ترغب بذلك؟ إذاً فاسلكي مسلك نساءِ قريشٍ وأمِ هانئ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا حنانها على أولادها، ورعايتها لزوجها وماله، كما أشار الحديث الشريف، وهذا هو هدي ديننا، يريد من المرأة أن تكون الأم نبع حبٍّ وحنان، وموجةَ تضحية واحتضان، وترنَّمي معي قول الشاعر:

وإنّمـا أولادُنـا بيننـا إن * أكبـادُنا تمشي على الأرض تمتنع
هبَّـت الـريح عـلى بعـضـهم * العـين مـن الغَمـض

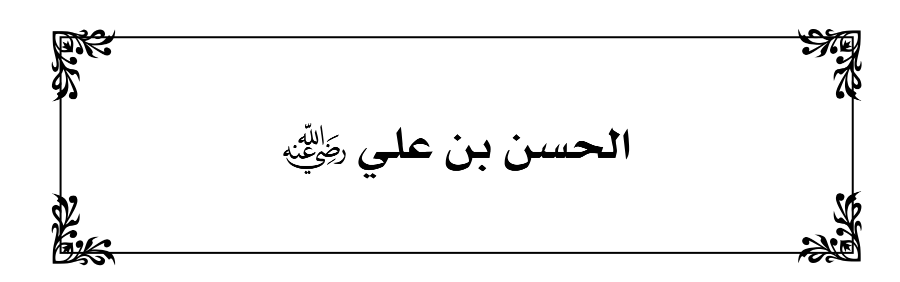
هذا الريُّ العاطفي يتحقَّق للأم المسلمة، على عكس الأمِّ الغربية، التي امتصّتها الحياة المادية، وأنهكها عملها اليومي المستمر، ففقدت الشعور بهذا الريِّ العاطفيِّ الأسري، وسبحان الله!! عندما قرأت موقف هذه المرأة العظيمة، وكيف اعتذرت للنبي

---

(١) متفق عليه : (البخاري ٣٢٥١، ومسلم ٢٥٢٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

(٢) قال ابن حجر في فتح الباري : (قوله: "رَكِبْنَ الْإِبِل " إشارةً إلى العرب ، لأنّهم الذين يكثُر منهم ركُوب الإبِل، وقد عُرِفَ أَنَّ العربَ خيرٌ مِن غيرهم مطلقًا في الجملة ، فيُستفادُ منهُ تَفْضِيلهنَّ مطلقًا على نساء غَيْرهنَّ مطلقًا).

ﷺ عن الزواج؛ لتقوم بأعظم مهمةٍ، ألا وهي: تربية أولادها، فلا تنشغل عنهم، تعتذر عن الاقتران بالنبي ﷺ من أجل تحقيق هذه المهمة، ولو أنّها وافقت لكانت أمّ المؤمنين! ولذا نرى «أم هانئ» رضي الله عنها ، كيف أقبلت على عبادة ربها، وتربية أولادها، وتنشئتهم النشأة الإسلامية الصالحة! حتى تولّى ابنها «جعدةُ بنُ هبيرة» ولاية خراسان في عهد الإمام علي رضي الله عنه ، وقد روتْ عن النبي ﷺ مجموعةً من الأحاديثِ، بلغت ستةً وأربعين حديثاً، وتُوفيت أم هانئ رضي الله عنها : سنة أربعين هجرية، فرضي الله عنها وأرضاها.



سنتكلم اليوم عن الغصنِ المثمر، والسّبطِ المُقمر، والريحانةِ الأولى، الحسنِ بن علي المرتضى بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمي القرشي، وُلد في شهر رمضان المبارك سنة ثلاث من الهجرة النبوية، المدنيُّ الشهيد، خامسُ الخلفاء، سبطُ المصطفى ﷺ ، وريحانتُه من الدنيا، وهو سيدُ شباب أهل الجنة، وأحد اثنين انحصرت بهما ذريّة النبي ﷺ ، وأحد الأربعة الذين باهل بهم رسولُ الله ﷺ نصارى نجران.

جاء في وفَيَات الأعيان: «عن رجلٍ من أهل الشّام، قال: دخلتُ المدينة المنورة، فرأيتُ رجلاً راكباً على بغلة، لم أرَ أحسن منه وجهاً ولا سمتاً ولا ثوباً، فمال قلبي إليه فسألت عنه، فقيل: هذا الحسن بن علي بن أبي طالب، فامتلأ قلبي بغضاً له، وحسدتُ علياً أن يكون له ابنٌ مثله، فذهبتُ إليه، وأخذتُ أسبّه وأشتمه، فقال لي الحسن: أحسبك غريباً، قلت: أجل، قال: مُرَّ بنا، فإن احتجت إلى منزلٍ أنزلناك، وإن احتجت إلى مالٍ آسيناك، أو إلى حاجةٍ عاونّاك، يقول الرّجل: فانصرفت عنه، وما على وجهِ الأرض رجلٌ أحبُّ إليَّ من الحسن بن علي، وما فكرت فيما صنعَ وصنعتُ إلا شكرتُه، وخزيتُ نفسي » [(١)].

---

(١) وفيَات الأعيان لابن خلكان : (٢/ ٦٨) .

لقد نشأ أبو محمد الحسن بن علي في أحضان جدّه رسول الله ﷺ فغذّاه برسالته، وربّاه بأخلاقه وعدالته، وعلّمه من يسره وسماحته. قال ﷺ : (من أحبَّ الحسن والحسين فقد أحبَّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني) (١) ولذلك كان أبو هريرة رضي الله عنه من أشدّ الناس حباً للحسن، وذات مرّةٍ لقِيَ أبو هريرة الحسن بن عليٍّ في بعض طرق المدينة، فقال له: «اكشف لي عن بطنك -فداك أبي- حتى أقبِّلَ حيث رأيتُ رسول الله ﷺ يقبِّلُ، قال: فكشف عن بطنه، فقبَّل سُرَّته» (٢).

في روض فاطمة نما غصنان لم * ينجبهما في النيِّران سواها
فأمير قافلة الجهاد وقطب دائرة * الوئام والاتحاد أبناها
حسنُ الذي صان الجماعة بعدما * أمسى تفرقها يحلُّ عراها
ترك الإمامة ثم أصبح في الديار * إمامَ ألفتها وحُسن عُلاها

أيّها الإخوة: إن سيرة الحسن بن علي رضي الله عنه، توضّح لنا أهمية امتلاك القائد لرؤية مستقبلية يسير على هداها، مستعيناً بالله، فالحسَن رضي الله عنه مَلَكَ الرؤية الإصلاحية، والقدرة على التنفيذ، مع وضوح المراحل والأسباب، والشروط والنتائج، بل ومعرفة العوائق وكيفية التعامل معها! .. يقول الصحابيّ الجليل أبو بكرة رضي الله عنه : (سمعت النبي ﷺ على

(١) رواه ابن ماجه : (١٤٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفي الزوائد: إسناده صحيح رجاله ثقات، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه ، وأحكام الجنائز : (١٠١) .
(٢) رواه أحمد (١٠٣٣١، ٧٤٥٥) ، ورواه الحاكم في المستدرك (٤٧٨٥) وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني كما في الثمر المستطاب : (١/ ٢٨٢) .

المنبر، والحسن إلى جنبه، ينظر إلى الناس مرة، وإليه مرة ويقول: إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين) [١].

فهذا الحديث فيه منقبةٌ للحسن رضي الله عنه، فقد أخبر النبي ﷺ بأنه سيد، والسيد هو الرئيس على القوم، وهذا اللقب لقبٌ لقّبه به النبي ﷺ لكن أيّ سيادةٍ تلك .. إنّ حياة الإمام السيّد الحسن تعطينا مفهومًا واضحاً للسيادة: سيرته العطرة تعلّمنا بأن السيادة لا تكون بالقهر وسفك الدماء، السيادة لا تكون بالقتل ونثر الأشلاء، بل السيادة الحقيقية تكون بصيانة الحرمات وإزالة البغضاء، السيادة الحقيقية تكون بنبذ الفرقة والشحناء، السيادة الحقيقية تكون بالإصلاح وجمع الكلمة، هذا ما نتعلّمُه من فقه الإمام الحسن رضي الله عنه.

إنّ شخصيةَ أمير المؤمنين الحسن صفحةٌ مشرقةٌ في تاريخ الزّمن، إنّه إمامٌ من الأئمة، الذين يجب على الأمة أن تهتدي بأقوالهم، وتتأسى بفعالهم. فسيرته من أقوى مصادر الإيمان والعاطفة، والفهم السليم لهذا الدين العظيم! لماذا؟ لأنّنا نتعلم من سيرته فقه الخلاف، والمصالح والمفاسد، ومقاصد الشريعة، والاستعلاء على حظوظ النفوس!

قال النبي ﷺ: (إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ) [٢]، ووصفه ﷺ للفئتين بـ «العظيمتين»، لأن المسلمين كانوا يومئذٍ فرقتين: فرقةٌ مع الحسن، وفِرْقةٌ مع معاوية رضي الله عنهما، وهذه معجزة عظيمة من النبي ﷺ، حيث أخبر بهذا فوقع مثلَ ما أخبر، وتوضيح هذه القضية كالتالي: عندما تسلّم أمير

(١) رواه البخاري في صحيحه: (٣٥٣٦).

(٢) المصدر السابق.

المؤمنين الحسن مقاليد الخلافة، بعد استشهاد أبيه علي رضي الله عنه، وورث بذلك تَرِكةً ثقيلةً، فالبلاد التي يسيطر عليها تعجّ بالفوضى والاضطرابات، وكانت العواصف قد هبّت على هذه الديار من كل حَدَبٍ وصوبٍ، وكانت سيوف أهل العراق تقطر من الحدة على قتال أهل الشام! أهل العراق كانوا مع الحسن رضي الله عنه، وأهل الشّام كانوا مع معاوية رضي الله عنه .. تحرّك الحسن رضي الله عنه بجيشه، من الكوفة إلى المدائن (١).

وقد كان الحسن رضي الله عنه مائلاً إلى الصّلح مع معاوية رضي الله عنهما بدَلاً من قتاله، لكنّه أظهر حنكةً كبيرةً! دلت على سعة أفقه وبصيرته! عندما لم يشأ أن يواجه أهل العراق من البداية بميله إلى مصالحة معاوية؛ لأنه يعرف طبيعتَهم وتهوّرَهم، وفي المقابل .. عندما علم معاوية رضي الله عنه خبر خروج الحسن من الكوفة إلى المدائن مع جيش العراق، تحرّك هو من الشام متّجهًا إلى العراق، وهنا بعث معاوية رضي الله عنه أول رسولين إلى الحسن لعرض المصالحة العامة معه، فأتياه فدخلا عليه، فتكلما، واستمع الحسن إليهما جيّداً، ثمّ تكلّم الحسن فقال: من يضمن لي الوفاء من معاوية؟ قالا: نحن نضمن لك ذلك! فما كان من الإمام الحسن رضي الله عنه إلا أن وافق، وتمّ الصلح بين الحسن ومعاوية رضي الله عنهما.

وقد أثبتت الأيام والشهور رسوخَ صفة السيادة في الحسن رضي الله عنه، علّمنا نحن معنى السيادة، السيادةُ التي تقود الأمة إلى الرّيادة، السّيادةُ التي تجمع الكلمة، السيادةُ التي تحفظ الأموال وتحقن الدماء، لقد كان في وسع الحسن رضي الله عنه أن يخوض حرباً لا هوادة فيها ضد معاوية، إلا أن الحسن، مال إلى الصلح! لماذا؟ لا لذلة ولا لقلة ولا لعلة،

(١) بلدة بينها وبين بغداد ستة فراسخ .

وإنها لتوحيد الأمة، وحقن الدماء قال الحسن بن علي رضي الله عنهما : «كانت جماجم العرب بيدي، يسالمون من سالمت، ويحاربون من حاربت، فتركتها ابتغاء وجه الله» [(١)].

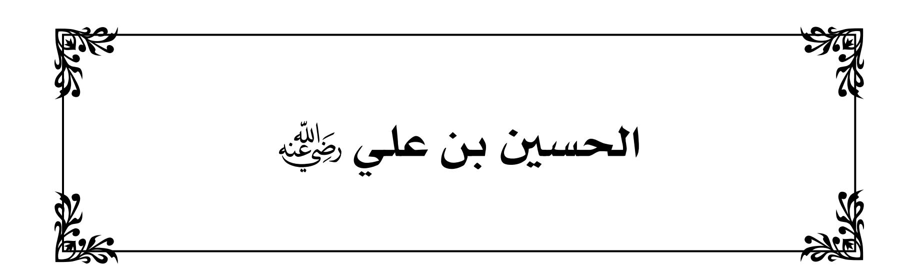
فيا سبحان الله! أيها الحسن! ما أعظمك من إمام، إمام الوحدة والألفة، عندما سجّلت في ذاكرة الأمة، عاماً يسمى: «عام الجماعة»، فقد التقى المسلمون على زعامة معاوية رضي الله عنه ، وابتهج المؤمنون الصّادقون بهذه الوحدة الجامعة، بعد الشتات والتفرقة، وعادت الفتوحات الإسلاميّة ، وتفرّغ المسلمون لمحاربة أعداء الإسلام .

ولا ننسى الفضل في هذا الحدث العظيم: لله الرحمن الرحيم، ثمّ للمهندس الكبير .. الحسن بن علي رضي الله عنهما ، ولهذا أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على الحسن رضي الله عنه بقوله: (إن ابني هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَّ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عظيمتين مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [(٢)] سَيَّدهُ النبي صلى الله عليه وسلم ، فدلّ ذلك على أن رعاية المصلحة، والحرص توحيد الأمة، هي **السّيادة الحقيقيّة** .

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٤٧٩٥) وصححه ، ووافقه الذهبي ، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٧) وانظر ـ أيضا ـ تهذيب التهذيب (٢/ ٢٦٠) .

(٢) سبق تخريجه .



الحسين بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

حديثنا في هذا الفصل -بإذن الله- عن الصحابي الجليل، والشّهيدِ السّعيد، الذي وُلد في شهر شعبان سنة أربع للهجرة، ذلكم هو الإمام الشريف، سبطُ رسول الله ﷺ وريحانتُه من الدنيا، وحبيبُه، أبو عبد الله الحسين بنُ أمير المؤمنين علي بنِ أبي طالب بنِ عبدِ المطلب بنِ هاشم القرشيُّ الهاشميُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال عنه جدّه المصطفى ﷺ: (إنّ الحسنَ والحسينَ هما ريحانتاي من الدنيا ..)[1]، وقال ﷺ: (حسينٌ مني وأنا منه، أحب الله من أحبَّ حُسيناً، حسينٌ سبط من الأسباط)[2]. هذه بعض فضائل الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهي تدل على مكانته عند رسول الله ﷺ.

أكرم بفاطمةَ البتولِ وبعلِها * وبمن هما لمحمّدٍ سبطان

غصنان أصلهما بروضةِ أحمدٍ * لله دَرُّ الأصلِ والغصنان

وقد مات رسول الله ﷺ والحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في السادسة من عمره، ونالت سيرته العطرة منزلةً عظيمة، مما لم تنله سيرة كثير من العظماء، وفي هذا الفصل بإذن الله سيكون كلامنا عن جانب البطولة والشجاعة في حياته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، والذي يتّضح جليًّا في مشاركته

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: (٣٥٤٣) والترمذي (٣٧٧٠) واللفظ له، وذلك من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) رواه الترمذي (٣٧٧٥) وابن ماجه (١٤٤) واللفظ له، وغيرهما من حديث يعلى بن مرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني، انظر السلسلة الصحيحة: (١٢٢٧)، وفي رواية: (حسينٌ مني و أنا منه، أحب الله من أحب حسينا، الحسنُ والحسينُ سبطان من الأسباط) وحسّنه الألباني، انظر صحيح الجامع: (٥٤٥٧).

الفعّالة في ميادين الجهاد في سبيل الله، فللحسين رضي الله عنه السهْمُ الوافر، والقَدَحُ المعلّى في الشجاعة، نصرةً لهذا الدين، وإعلاءً لكلمة ربّ العالمين، كيف لا؟ وجدّه عليه الصلاة والسلام يقول: (والذي نفس محمد بيده، لوددتُ أن أغزو في سبيل الله فأُقتل، ثم أغزو فأُقتل، ثم أغزو فأُقتل) [1].

إنَّ ما كان عليه الحسين رضي الله عنه من عبادة، وورع وتدريس للعلم، لم يُنسِه دورَه في محاربة أعداء الإسلام، وفتح الثغور لنشر دين الله عزّ وجل ، لأن ذلك من تمام الواجبات، وهي تاجُ العزة وسياحة المؤمن، ولقد ضرب لنا الحسين في ذلك أروع الأمثلة، في الصبر والجهاد في سبيل الله، فقام بواجبه وأدى دوره كما يجب أن يكون، ولعل أفضل ما نبرهن به على ذلك: جهادَه على أرض أفريقيا، ومشاركته في فتح خراسان وطبرستان في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفّان رضي الله عنه ، أما في عهد معاوية رضي الله عنه ، فقد شارك في غزو القسطنطينية .. وهكذا، تاريخٌ حافلٌ بالبطولات والتضحيات .

أيها الإخوة: دعونا نقف بعض الوقفات المختصرة مع هذه البطولات :

أ- الحسين رضي الله عنه في جيش العبادلة لفتح أفريقيا : جاء في كتاب : «رياض النفوس» أنّ عبد الله بن سعد بن أبي السّرح والي مصر أرسل إلى الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه يطلب منه الإذن في غزو إفريقيّة ، فأعرب عثمان بن عفان رضي الله عنه - على إثر ذلك - للمسور بن مخرمة عن رغبته في بعث الجيوش لغزو أفريقيا ، فقال له : ما رأيك يا ابن مخرمة ؟ قلت : أغزهم . قال : اجمع اليوم الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) رواه مسلم في صحيحه : (١٨٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

واستشرهم ، فما أجمعوا عليه فعلتُه ، أو ما أجمع عليه أكثرهم فعلتُه .. ايت علياً ، وطلحة والزبير والعباس ، وذكر رجالاً .

فخلا عثمان رضي الله عنه بالأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ، واستشارهم في ذلك ، فوافقوا جميعًا على هذا الأمر ، ولم يختلف عليه أحدٌ ممن شاوره إلا أبو الأعور سعيد بن زيد ، فدعاه وسأله عثمان رضي الله عنه : لم كرهت ـ يا أبا الأعور ـ من بعثة الجيوش إلى أفريقيا ؟ فقال له أبو الأعور : سمعت عمر رضي الله عنه يقول : لا أغزيها أحداً من المسلمين ما حملت عينايَ الماء . فلا أرى لك خلاف عمر ! فقال له عثمان : والله ما نخافهم ، وإنهم لراضون أن يقروا في مواضعهم ، فلا يغزون .

ثم خطب الناس ، وندبهم إلى الغزو إلى أفريقيا ، فخرج للجهاد كبار الصحابة ، وخيار شباب أهل البيت رضي الله عنهم ، منهم : عبد الله بن الزبير وأبو ذرّ الغفاري [1]، وعبد الله بن عمر [2]، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن جعفر ، والحسن والحسين [3]... وغيرهم كثير .

تحرّك هذا الجيش من المدينة المنورة تحت قيادةِ : الحارث بن الحكم ، حتى وصلوا إلى منطقة : «**الفسطاط**» من أرض مصر ، فوضعوا أنفسهم جميعًا تحت إمرة : عبد الله بن سعد أبي السّرح ، بأمرٍ من الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ووصل عدد القوات الإسلامية

---

(١) انظر : رياض النفوس : (١/ ٨ ـ ٩) ، الجهاد والقتال لهيكل (١/ ٥٥٦) .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير : (٨/ ٥٩) .

(٣) ليبيا من الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية للدكتور صالح مصطفى ص ٤١ ، الشرف والتسامي بحركة الفتح الإسلامي للصَّلابيِّ ص ١٩ .

إلى ٢٠ ألف مجاهد ... ثمّ تحرّكت القوات الإسلامية غربًا ، حتى وصلت إلى : «**برقة**» من دون أي عقبات تعترضها : لأن أهلها كانوا على عهدهم مع المسلمين أيام عمرو بن العاص رضي الله عنه ، وهناك انضمّ إليهم عقبة بن نافع الفهري بجيشه .

واصل الجيش الإسلامي تقدّمه نحو إفريقيّة ـ تونس اليوم ـ ، حتى وصلت جحافل المسلمين إلى : «**طرابلس**» بقيادة عبد الله أبي السّرح ، وانضمّ أيضًا إلى الجيش الإسلامي عددٌ لا بأس به من البربر الذين دخلوا في الإسلام وحسن إسلامهم ، وكانوا أداة قوةٍ مع بقية الجيش الإسلامي الذي استطاع إعادة فتح طرابلس للمرة الثانية في العام السادس والعشرين للهجرة المباركة .

دخل المسلمون **إفريقية** ، لتطهيرها من الاحتلال الرّوماني البغيض ، الذي أنهك الأهالي بالضّرائب وسوء المعاملة ، إضافةً إلى إذلاله وإرهاقه ! فبدأ القائد عبد الله بن أبي السّرح بالتحرّك نحو مدينة : «**سبيطلة**» ، حيث يتحصّن فيها الحاكم البيزنطي : (جرجيوس –جرجير–) وجنوده ! فأرسل قائد المسلمين : عبد الله بن أبي السّرح رسالةً إلى قائد الرّوم : جرجير ، قبل محاربته ، وخيّره بين ثلاثة أمور : إمّا أن يدخل في الإسلام ، أو يدفع الجزية ويبقى على دينه ، أو أن يكون القتال بين الطّرفين .. فأبى جرجير إلا قتال المسلمين ، وقد بلغ عدد جيشه ١٢٠ ألف مقاتل من «البربر» المغلوب على أمرهم !

واشتدّ القتال بين الطرفين ، فكان القتال يبدأ كلّ يومٍ بكرةً حتى وقت الظّهر ، فإذا أذن بالظهر عاد كل فريقٍ إلى خيامه، ثمّ إنّ عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أشار على عبد الله بن أبي السّرح وقال له: تأمر منادياً ينادي: من أتاني برأس «جرجير» نفَلتُه مائة ألف ،

وزوّجته ابنته ،واستعملته على بلاده ، ففعل ذلك، فصار جرجير يخاف خوفاً شديدًا ! ثمّ إن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال لعبد الله بن سعد : إنّ أمرنا يطول مع هؤلاء وهم في أمدادٌ متصلةٌ ، وبلادٌ هي لهم ، ونحن منقطعون عن المسلمين وبلادهم، وقد رأيت أن نترك غداً جماعة صالحة من أبطال المسلمين في خيامهم متأهبين ، ونقاتل نحن الروم في باقي العسكر إلى أن يضجروا ويملوا، فإذا رجعوا إلى خيامهم ورجع المسلمون ركب من كان في الخيام من المسلمين ولم يشهدوا القتال وهم مستريحون ، ونقصدهم على غرّة ! فلعل الله ينصرنا عليهم .

فأحضر عبد الله بن أبي السّرح جماعةً من أعيان الصحابة واستشارهم فوافقوه على ذلك ، فعل عبد الله ما اتفقوا عليه ، فقد أخذ عبد الله بن الزبير من كان مستريحاً من شجعان المسلمين وقصد الرّوم ، فلم يشعروا بهم حتى خالطوهم وحملوا حملة رجل واحد ، وكبروا ، فلم يتمكن الروم من لبس سلاحهم حتى غشيهم المسلمون ، وقُتل جرجير ! قتله عبد الله بن الزبير رضي الله عنه .

وانهزم الجيش الرّومي ، وقُتِل منهم مقتلةً عظيمة ، ونازل عبد الله بن أبي السّرح المدينة، فحصرها حتى فتحها ورأى فيها من الأموال ما لم يكن في غيرها، فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار وسهم الراجل ألف دينار [1]، وقد قدم المسلمون الغالي والرَّخيص في فتوحات أفريقيا ، واستشهد منهم الكثير ، وبعد هذا الانتصار الكبير للمسلمين ، على أعدائهم الرّومانِ المحتلين الغاصبين ، اتجه الحسن والحسين رضي الله عنهما

(١) انظر في معركة سبيطلة : الكامل في التاريخ : (٢/ ٤٨٣)، والبداية والنهاية : (٨/ ٥٩) وغيرهما.

ومعها ثلةٌ مباركةٌ من المسلمين إلى عاصمة الخلافة ، وقلوبهم مفعمةٌ بالسرور والارتياح ، لتوسع النفوذ الإسلامي ، وانتشار دين رب العالمين .

ب- **فتح طبرستان** : كما أنّ الخليفة عثمان بن عفّان جهّز جيشًا لغزو «**طبرستان**»[1]، فيهم: الحسن والحسين وعبد الله بن عباس، وغيرهم من أعيان المهاجرين والأنصار، وتمّ لهم فتحُ تلك المناطق، والتغلّبُ على أهلها ، ففي سنة ثلاثين للهجرة تحرّك الجيش المسلم من الكوفة ، بقيادة الصّحابي : « سعيد بن العاص » رضي الله عنه[2]، ومعه جمعٌ من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم منهم : حذيفة بن اليمان والحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير ... رضي الله عنهم .

وأثناء توجّههم لفتح طبرستان ، نزلوا منطقة : « **قُومِس** » وكان بين أهلها وبين المسلمين صلحٌ سابق[3] ، ثمّ توجّه الجيش إلى منطقة : « **جَرجَان** » فصالح أهلها المسلمين على مائتي ألفٍ ، ثم أتوا إلى مدينة : « **طَمِيسة** » .. وكلّ تلك المناطق تابعةٌ لإقليم « طبرستان » ، و« طميسة » مدينةٌ على ساحل البحر[4] ، وهي آخر حدود طبرستان، وقد جرت بين المسلمين وبين أهل « طميسة » معارك شديدةٌ جدًا ! حتى اضطرّ المسلمون إلى أن يصلّوا صلاة الخوف[5] ! وبعد اشتداد القتال ، لاح النّصر ..

(١) "طبرستان" : بلاد كثيرة عامرة ، كثيرة المياه والثمار والأشجار ... والمدخل إلى طبرستان من الرّي ـ طهران ـ . انظر نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ٦٧٨ .

(٢) وقبل خروجه بسير خرج الصّحابي الجليل عبد الله بن عامر رضي الله عنه من البصرة لفتح خراسان .

(٣) وهو صلح صالحهم حذيفة بعد نهاوند .

(٤) طميسة تطل على (بحر الخزر) ، والذي سمّي باسم قبائل (الخزر) التي تسكن حوله ، ويعرف الآن باسم : بحر القزوين ، وهو بحر داخليٌ يفصل بين أوروبا وآسيا ، وتشترك فيه روسيا وإيران.

(٥) ومعلومٌ أنّ صلاة الخوف إنّما تصلى عند اشتداد القتال ، وقد سأل قائد الجيش سعيدٌ حذيفة بن

وتقدّم المسلمون ، واضطرّوهم إلى اللجوء إلى حصنٍ لهم ، وحاصروهم حصارًا شديدًا ، و بعدها فتح الله على المسلمين واقتحموا الحصن وفتحوه ، وقتلوا مَن به مِن الكفّار المعاندين .. وكان نصرًا مؤزّرًا ! [1] .. وبعد تحقيق هذه الفتوحات والانتصارات الإسلاميّة في إقليم «**طبرستان**»، رجع هذا الجيش الإسلاميّ بقيادة سعيد بن العاص إلى مدينة الكوفة .

وتؤكّد أكثر الرّوايات التاريخية، أنّ الحسن والحسين، قد اشتركا في كثيرٍ من الفتوحات الإسلامية في عهد عثمان، وكان لهما دورٌ بارزٌ في سير تلك المعارك التي كانت تدور رحاها بين المسلمين وغيرهم، وليس بغريبٍ على علي بن أبي طالبٍ وبنيه أن يجنّدوا كل إمكانياتهم وطاقاتهم في سبيل نشر الإسلام وإعلاء كلمته، إنّها البطولات، والتربية على التضحيات، إنّه حبّ الشهادة أوّل أمارات السّيادة.

ج- غزو القسطنطينية : ولا ننسى الدور الذي قام به الحسين في عهد معاوية رضي الله عنهما ، فلقد شارك بروحه وجسمه ، في إعلاء كلمة لا إله إلا الله، يصل الحسين إلى القسطنطينية مجاهداً مقاتلاً، سنة خمسين للهجرة، مع الجيوش المسلمة المجاهدة لفتح أوربا، وأدى دوره في إيمان وشجاعة، ثم عاد إلى المدينة المنورة.

د- وقعة كربلاء : أما بطولاته على أرض كربلاء، فحدّث ولا حرج! كيف وقف بكل شجاعةٍ وبسالة، هو مع نفرٍ قليل بلغ عددهم اثنين وسبعين فارساً، في وجه

اليمان عن كيفية هذه الصلاة ، فقال له : كيف صلى رسول الله ﷺ ؟ فأخبره حذيفة ، فصلى بها سعيد صلاة الخوف وهم يقتتلون . انظر تاريخ الأمم والملوك ٥/ ٥٧ .

(١) انظر تاريخ الأمم والملوك ٥/ ٥٧ ، الفتوحات الإسلامية ١/ ١٧٥ .

جيش الظلم والضّلال، جيشِ الكوفة الذي بلغ خمسةَ آلاف مقاتل، فما ضَعُف ولا خار، ولا جَبُن ولا خاف! بل قاتل وحارب، حتى قتل مظلومًا على أرض كربلاء! ومضى شهيدًا إلى ربّه، فرضي الله عنه وأرضاه .

أخرج الإمام أحمد عن عائشة وأم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قال لإحداهما: (لقد دخل عليَّ البيت ملَكٌ لم يدخل عليَّ قبلها، قال: إن ابنك هذا حسيناً مقتول، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يُقتل بها، قال: فأخرج تربة حمراء)[1] ، وقد وقع الأمر كما أخبر به النبي ﷺ ، فقُتل الحسين بالعراق سنة إحدى وستين من الهجرة، حيث تآمر عليه الملأ، ولم يستحيوا من الله -تعالى-، ولا من رسوله ﷺ ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون!! إنّ قاتلي الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الذين فتكوا به وغدروا ظلماً وعدواناً، قتلوه بعد أن حاصروه، ثم لما رأى الحسين تخلّف أهل الكوفة عما دعوه إليه، من مناصرته والوقوف بجانب دعوته، طلب ممّن حاصره: أن يدعوه ليرجع، أو يلحق ببعض ثغور الجهاد، أو يلحق بيزيد في الشّام، فمنعوه من ذلك كلّه، وأبوا إلا أن يأسِرُوه، فقاتلوه فقاتلهم، فقتلوه وطائفةً ممّن معه من أهل البيت الكرام.

وبعد قتله، قام قاتله بحزّ رأسه!! فلما وصل الرأس المبارك إلى المجرم: عبيد الله بن زياد، جعل ينكت به ـ أي يضربه ـ ، ومعه قضيب يدخله في فم الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ويقول: إن كان لحَسَن الثغر، فكان أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جالساً، فأخذ يبكي بكاءاً شديداً .. فقال له عبيد الله بن زياد: مالك ؟ فقام أنس بن مالك، وكان شيخًا كبيراً، ثمّ قال: والله

(١) رواه أحمد في مسنده : (١٥١١٣) وقال الحافظ الهيثمي في المجمع : رجاله رجال الصحيح .

لأسوأنّك، ارفع قضيبك، لقد رأيت رسول الله ﷺ يقبّل موضع قضيبك هذا [(١)]، وقال غيره [(٢)] : «ارفع قضيبك، لقد رأيت رسول الله ﷺ فاه على فيه».

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: (كنت عند عبيد الله، فأُتِي برأس الحسين، فأخذ قضيبًا، فجعل يفتر به عن شفتيه، فلم أر ثغراً كان أحسن منه كأنه الدر، فلم أملك أن رفعت صوتي بالبكاء، فقال: ما يبكيك أيها الشيخ؟ قلت: يبكيني ما رأيت من رسول الله ﷺ ، رأيته يمصّ موضع هذا القضيب، ويلثمه، ويقول: «اللهم إني أحبه فأحبه») [(٣)].

ارفع يمينك والقضيبَ المجرما * وكفاك إجرامًا وكُفّ تأثّما

إني دخلتُ على الحسين بليلةٍ * فرأيت سيّدكم يقبّل ذا الفما

وهكذا العظماءُ يقتلون بالسيف أعزاء، والظلمةُ يموتون على فُرشهم أذلاءَ جبناء. لقد كان مقتله رضي الله عنه ويوم الجمعة يوم عاشوراء من المحرم، سنة إحدى وستين للهجرة بكربلاء من أرض العراق، وله من العمر ثمان وخمسون سنة، فرضي الله عنه وأرضاه.

---

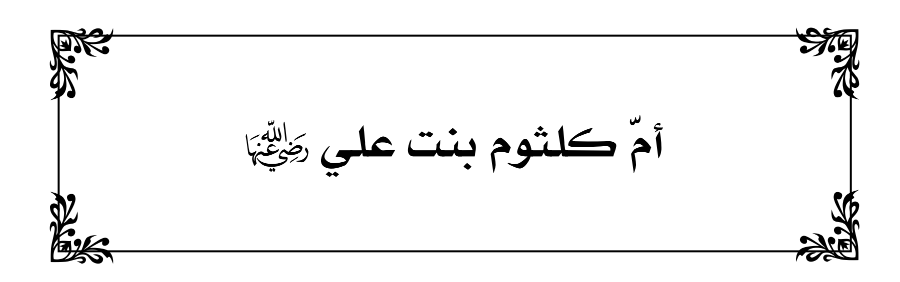
(١) رواه بهذا اللفظ : الطبراني في الكبير (٢٨٧٨) وأبو يعلى في المسند (٣٩٨١) وابن عدي في الكامل (٥/ ١٩٨) ، وأصل الحديث عند البخاري في الصحيح (٣٥٣٨) ولفظه : (أتي عبيد الله بن زياد برأس الحسين بن علي عليه السلام فجعل في طست فجعل ينكت وقال: في حسنه شيئاً فقال أنس: كان أشبههم برسول الله ﷺ وكان مخصوباً بالوسمة) وقد ورد بهذا اللفظ عند غير البخاري كذلك.

(٢) هو أبو برزة الأسلمي رضي الله عنه ، وانظر تاريخ الطبري (٣/ ٢٩٨) وورد عن أبي برزة بألفاظ أخرى كما عند ابن عساكر وغيره .

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣١٥) و مختصر تاريخ دمشق (١/ ٩٤٦) .

ولئن كان قتل الحسين ﵁ شرًّا عظيماً، وجرماً كبيراً؛ فإنّه بالنسبة إليه خيرٌ وإكرام، فقد كتب الله له الشهادة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ : « .. فَإِنَّهُ وَأَخُوهُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَكَانَا قَدْ تَرَبَّيَا فِي عِزِّ الْإِسْلَامِ، لَمْ يَنَالَا مِنْ الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْأَذَى فِي الله ، مَا نَالَهُ أَهْلُ بَيْتِهِ، فَأَكْرَمَهُمَا اللهُ تَعَالَى بِالشَّهَادَةِ، تَكْمِيلًا لِكَرَامَتِهِمَا وَرَفْعًا لِدَرَجَاتِهِمَا .. » [(١)].

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية: (٤ / ٥١١-٥١٢).



أمّ كلثوم بنت علي رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

أيها الإخوة الأعزاء: مازال حديثنا متواصلاً عن العظماء، عن عظماء بيت النبوة، ومعنا هنا سيدةٌ هاشميّة، شَهِد أبوها وجدُّها وزوجُها « بَدْرًا » ! أمّا أبوها فعليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وجدّها رسول الله ﷺ ، وزوجها عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ! إنّها : أمّ كلثوم بنتُ عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، شقيقةُ الرّيحانتين: الحسنِ والحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، ابنةُ فاطمةَ الزّهراء بنتِ محمد ﷺ ، وُلدت في عهد النبي ﷺ في حدود سنةِ ستٍّ من الهجرة، وقال أبو عمر ابن عبد البر: ولدت قبل وفاة النبي ﷺ ، رأت النبي ﷺ ولو ترو عنه شيئًا لصغرها.

أورد الطبريّ في تاريخه : خطبَ عمر الفاروق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أمَّ كلثوم بنت أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهي صغيرةٌ ، وأرسلَ فيها إلى السيّدة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، فقالت عائشة لأختها أمّ كلثوم : الأمرُ إليكِ ، فقالت أمُّ كلثوم : ولا حاجة لي فيه ، فقالت لها عائشة : ترغبين عن أمير المؤمنين ؟ قالت أمُّ كلثوم : نعم ، إنه خشنُ العيش [1]، شديدٌ على النساء . فأرسلت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا إلى عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فأخبرته ، فقال لها : أنا أكفيك ، فأتى إلى عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فقال له : يا أمير المؤمنين بلغَني خبرٌ أعيذك بالله منه ، قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : وما هو ؟ قال عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : خطبتَ أمَّ كلثوم بنت أبي بكر ؟ قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : نعم ، أفرغبتَ بي عنها ، أم رغبتَ بها عنِّي ؟ قال عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : لا واحدة ، ولكنها

---

(١) الخُشُونَة : ضد اللين . مختار الصحاح (٢/ ٧٤) .

حَدَثةٌ[(١)]، نشأت تحت كنف أمِّ المؤمنين في لينٍ ورفقٍ ، وفيك غلظةٌ[(٢)]، ونحن نهابُك وما نقدر أن نردَّك عن خُلُقٍ من أخلاقك ، فكيف بها إن خالفَتْك في شيءٍ فسطوتَ بها ؟ كنتَ قد خلفت أبا بكرٍ في ولدِهِ بغير ما يحقُّ عليك ، قال عمر رضي الله عنه : فكيف بعائشة وقد كلَّمتها ؟ قال عمرو بن العاص رضي الله عنه : أنا لك بها ، وأدلّك على خيرٍ منها : أمّ كلثوم بنتِ عليِّ بن أبي طالب ، تعلق منها بنسبٍ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[(٣)].

حقيقةً .. إنّ الكلامَ عن أمِّ كلثوم بنت علي، يذكّرنا بحديثٍ نبويٍّ عظيم، فيه الإشارة إلى علوِّ النسب النّبوي، وأفضليّته على كل نسب! حيث يقول المصطفى سيّد الأنام صلى الله عليه وآله وسلم : (يَنقطعُ يوم القيامة كلُّ سببٍ ونسبٍ، إلاَّ سبَبِي ونسبِي)[(٤)]، ولهذا الحديث قصّةٌ مرتبطةٌ بأمّ كلثوم بنتِ علي بن أبي طالب !

وهذه القصّة تتلخّص في الآتي: أنّ أمير المؤمنين عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه ، خطب «أمَّ كلثوم» من أبيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأكثر تردُّده إليه، ثمّ قال له عمر في أحد

---

(١) أي صغيرة السِّنّ ، قال ابن منظور : « شابٌّ حَدَث : فَتِيُّ السِّن ، ورجلٌ حدَثٌ أي : شابٌّ ، والأنثى حَدَثةٌ » . لسان العرب (٢/ ١٣٢) .

(٢) أخرج الإمام مسلم في صحيحه (٢٣٩٧) : عن سعد بن أبي وقاص قال : « استأذن عمر على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعنده نساء من قريش ، يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن ، فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يضحك ، فقال عمر : أضحك الله سنَّك يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : عجبت من هؤلاء اللاتي كنَّ عندي ، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب ، قال عمر : فأنت يا رسول الله أحقُّ أن يهبن ، ثم قال عمر : أي عدوات أنفسهنَّ أتهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قلن : نعم ، أنت أغلظ وأفظّ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : والذي نفسي بيده ما لقِيَك الشيطان قط سالكًا فجًّا إلا سلك فجًّا غير فجِّك » .

(٣) تاريخ الطبري : (٢/ ٥٦٤) .

(٤) سيأتي تخريجه بعد قليل .

الأيام: يا أبا الحسن! ما يحملني على كثرة تردّدي إليك إلا حديثٌ سمعتُه من رسول الله ﷺ يقول: (يَنقطعُ يوم القيامة كلُّ سببٍ ونسبٍ، إلاَّ سبَبِي ونسبِي) فأحببتُ أن يكون لي منكم أهل البيت سببٌ وصهرٌ! فاعتذر إليه عليٌ رضي الله عنه قائلاً: إنّها صغيرة، وإنّي أرصُدها لابن أخي عبدِ الله بن جعفر، فقال عمر رضي الله عنه : زوّجنيها يا أبا الحسن، فوالله إنّي أرصد من كرامتها، ما لا يرصده أحدٌ! وفي رواية أنّه قال: «انكِحْنيها يا عليّ! فوالله ما على وجه الأرض رجلٌ يرصد من حسن صحابتها ما أرصد!»، فقال له علي: أنا أبعثها إليك، فإن رضيتها فقد زوّجتكها.

فقام عليٌ رضي الله عنه فأمر بابنته «أم كلثوم» فزُيِّنَت، ثم بعَثها إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب ببردة، وقال لها: قولي له: هذه البردة التي قلت لك، فقالت ذلك لعمر، فلما رآها عمر قال لها: «قولي لأبيك قد رضيتُ، قد رضيتُ ، قد رضيتُ، رضي الله عنك»، فلما جاءت الجارية إلى أبيها، قال لها علي: ما قال لك أمير المؤمنين؟ قالت: قال قولي لأبيك قد رضيت، فأنكحها عليٌ إياه، فأتى عمر إلى مجلس المهاجرين في الرّوضة، وكان يجلس فيها المهاجرون الأوّلون، فجلس إليهم فقال: ألا تهنّوني؟ فقال المهاجرون: بمن يا أمير المؤمنين؟ فقال: أمِ كلثوم بنتِ عليٍّ وابنةِ فاطمة، بنتِ رسول الله ﷺ ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (يَنقطعُ يوم القيامة كلُّ سببٍ ونسبٍ، إلاَّ سبَبِي ونسبِي) [1] ،

(١) قال الحافظ الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار ورجالهما رجال الصحيح غير الحسن بن سهل وهو ثقة، وصحّحه الألباني في السلسلة الصحيحة : (٢٠٣٦) بمجموع طرقه .

وفي رواية : (إلاَّ سببَي ونسبِي وصِهْري) ثمّ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «فكان لي به صلى الله عليه وسلم النّسب والسّبب، فأردتُ أن أجمع إليه الصّهر» [1].

وهكذا تمّ هذا الزّواج المبارك، وقد أمهرها عمر الفاروق رضي الله عنه أربعين ألفاً، إكراماً لها ولأمّها وأبيها! بل إكرامًا لهذا النسب العظيم ! قال الحافظ ابن كثير : « تزوّج عمر بن الخطاب في أيام ولايته بأم كلثوم بنت علي بن أبي طالب من فاطمة ، وأكرمها إكرامًا زائدًا ، أصدقها أربعين ألف درهم لأجل نسبها من رسول الله صلى الله عليه وسلم » [2] .

وانظـرْ إلى الفـاروقِ يطـرقُ بابهـا * شوقًا إلى النسبِ الـذي لا يُغلـبُ
فرِحَت به الكلثومُ زوجًا طاهرًا * والطيبـاتُ لهـن بَـرٌّ طيّـبُ

هذا .. وقد ذكر ابن سعدٍ في «الطبقات الكبرى»، حادثةً لطيفـةً جـرت بـين هـذين الزّوجين المباركين، حيث دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على زوجه أمّ كلثوم بنت علي مرةً، فوجدها تبكي! فسألها عن سبب بكائها، فقالت: يـا أمـير المؤمنين هـذا اليهـودي -تعنـي كعب الأحبار- يقول إنك على بابٍ من أبواب جهنم! طبعًا .. كعب الأحبار، كان حبراً من أحبار اليهود ومن علمائهم، أسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وحسن إسلامه، وقـدم المدينـة من اليمن في أيام عمـر رضي الله عنه ، فكـان يجـالس أصـحاب النبـي صلى الله عليه وسلم ويحـدّثهم عـن الكتـب الإسرائيليّة، وممّا أخبرهم به: ذِكْرُ تلك الكتب بعـض أوصـاف الـصّحابة رضي الله عنهم ، قـال الله تعـالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ

(١) أسد الغابة (٥/ ٦١٥) .

(٢) البداية والنهاية : (٥/ ٣٣٠) .

﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح:٢٩]
وقد جاء في تلك الكتب أيضًا ذكر بعض صفات خليفة المسلمين عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه .

الشّاهد : وصل إلى سمع أمّ كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، أنّ «كعب الأحبار» يذكر للنّاس أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقفُ على بابٍ من أبواب جهنّم! فوجمت أمُّ كلثوم لذلك، وحزنت حزناً شديداً، حتى أبكاها هذا الأمر .. كلّ ذلك لمحبّتها الشديدة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فلمّا سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذا الكلام من زوجه ضحك! وقال: ما شاء الله، والله إني لأرجو أن يكون ربي خلقني سعيداً! ثم أرسل إلى كعب الأحبار فدعاه، فلما جاءه كعب، سأله عمر عن هذا، فقال كعب: يا أمير المؤمنين، لا ينسلخ ذو الحجَّة حتى تدخل الجنة! فقال عمر رضي الله عنه : أي شيء هذا؟ مرةً في الجنة، ومرةً في النار! فقال كعب: يا أمير المؤمنين، والذي نفسي بيده إنا لنجدك في كتاب الله على بابٍ من أبواب جهنّم، تمنع الناس أن يقعوا فيها! فإذا متَّ لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يومِ القيامة [1] !

وبعدما سمعت أم كلثوم هذا الكلام استبشرت، وعاد إليها أنسُها وفرحُها! عندما علمت بأنّ مقصود كعب الأحبار هو: أنّ عمر رضي الله عنه ممّن يقف على باب نار جهنّم؛ ليمنع النّاس من دخولها.

وولدت «أمّ كلثوم» لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ولدين: زيدٌ ورقيّة، أمّا «زيدٌ» فقد كان من سادة قريشٍ -كما ذكر الذّهبي في سيره-، وقد وَفَد زيدٌ على معاوية رضي الله عنه، فأكرمه

(١) الطبقات الكبرى : (٣/ ٣٣٢) .

وأحسن جائزته، وأمر له بمائة ألف درهم كلّ عام، وكان زيدٌ يفتخر أمام النّاس ويقول : «أنا ابن الخليفتين» (١)، نعم .. فوالده: الخليفة الرّاشد عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه ، ووالد أمّه: الخليفة الراشد عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، جمع بين النّسَبَين : النّسبِ العمري، والنّسبِ العلويّ، فهنيئًا له ، وحقّ له الافتخار بأن يقول: «أنا ابن الخليفتين».

وممّا يؤسف له أنّ «زيدَ بن عمرَ بن الخطاب» توفّي شاباً، بسب حصول فتنةٍ بين بني عديّ بن كعب، حيث اقتتلوا بالبقيع ليلاً، وخرج «زيد بن عمر» ليصلح بينهم، ويمنعهم من الاقتتال، فأتته ضربةٌ على رأسه خطأً، فشُجَّ وصُرِع عن دابّته، وتنادى القوم: زيد زيد! فتفرّقوا وسقط في أيديهم! ثمّ حُمل إلى منزله مجروحًا بدمائه، ولم يزل منها مريضاً حتى مات في حدود سنة الخمسين للهجرة! وقيل إنّه وأمّه مرضا جميعاً، وقُبضا في ساعةٍ واحدةٍ، ولم يُدْرَ أيّهما قُبض قبل الآخر، ووضعا معاً في موضع الجنائز، فأُخّرت أمّه وقُدّم هو مما يلي الإمام، والذي صلّى عليهما هو: «عبد الله بن عمر»، قدّمه الحسين رضي الله عنه قائلاً: «تقدّمْ فصلِّ على أمّك وأخيك» (٢)، لأنّ زيدًا أخوه من أبيه، وأمّ كلثوم زوج أبيه عمر، منزلة أمّه . وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة يرثي زيداً بأبياتٍ قال فيها (٣) :

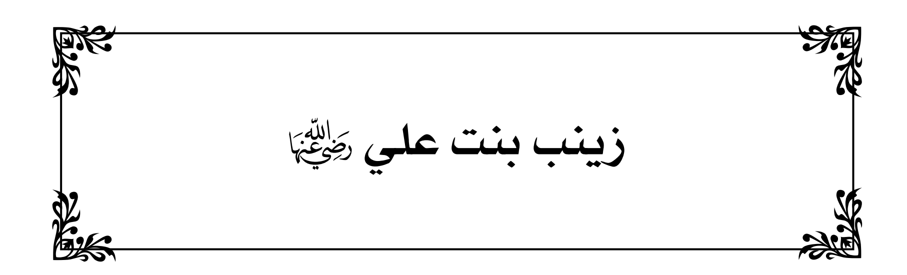
إنّ عديا ليلةَ البقيع * تكشفوا عن رجلٍ صريعِ
مقاتلٍ في الحسَبِ الرفيع * أدرَكه شُؤم بني مطيعِ

---

(١) تاريخ دمشق : (١٩/ ٤٨٥) .

(٢) تاريخ دمشق (١٩/ ٤٨٩) والوافي بالوفيات (١٥/ ٢٤). ولكن يعكّر على ذلك ما رواه سعيد بن منصور عن الشعبي من أن الذي صلى عليهما هو أمير المدينة، وعند البيهقي: والإمام يومئذ سعيد بن العاص، وممن ذكر ذلك أيضاً: صاحب العلل ومعرفة الرجال، فليراجع ، والله أعلم بالصواب.

(٣) الاستيعاب لابن عبد البرّ : (٣/ ٩٣١) . تاريخ دمشق (١٩/ ٤٨٧) .



زينب بنت علي رضي الله عنها

نعيش في هذه الصفحات، مع امرأةٍ هاشمية، كريمة كاملة، عابدة فاضلة، عاقلة لبيبة، إنّها زينب بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنها سبطةُ رسول الله ﷺ ، وعقيلةُ بني هاشم، سليلة الفخر والمجد، كريمة الأب والجد. **فجدها**: سيد البشر، وخير الخلق، وإمام المتقين، وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ ، **وجدتها**: الكاملة العاقلة، الجليلة المصونة، المجاهدة الصابرة، صدّيقة المؤمنات الأولى، وأول الناس إسلاماً، أم المؤمنين، وأحب أزواج النبي الأمين، خديجة الكبرى رضي الله عنها ، **وأمها**: الطاهرة الزكية، الصابرة الجليلة، سيدة نساء العالمين، وبَضعة المصطفى الأمين، وأحبّ بناته إليه، فاطمة الزهراء، النبيلة الحوراء، رضي الله عنها وأرضاها.

وأبوها: أمير المؤمنين، وفارس النبي الكريم ﷺ وابن عمه، وأول من آمن به من الصبيان، أبو السِّبْطين، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، سيدنا علي بن أبي طالب - عليه سحائب الرضوان من الله رب العالمين، **وجدتها لأبيها**: فاطمة بنت أسد الهاشمية، إحدى المهاجرات الأُوَل، وأول هاشمية وَلَدت هاشمياً. **وأخَواها الشقيقان هما**: السيد الإمام ريحانة رسول الله ﷺ وسِبْطه، وسيد شباب أهل الجنة، الحسن بن علي رضي الله عنه ، والإمام الشريف، الكامل الشهيد، ريحانة رسول الله ﷺ الحسين بن علي رضي الله عنه .

استقبلت مدينةُ رسول الله ﷺ في العام الخامس من الهجرة النبوية، هذه الوليدةَ المباركة، التي اختار رسول الله ﷺ أن يسمّيها: «زينب»، فنشأت العقيلة في حضن النبوة، وترعرعت في ساحة البيت الشريف، ودرجت في بيت الرسالة، محوطةً برعاية جدها سيدنا رسول الله ﷺ وعطفه وحبّه، رضعت الحياء والعفاف من ثديِ الزهراء البتول، وعلى يدِيها صُنعت، وعنها تلقت أمور الحياة، وغُذّيت بغذاء الكرامة من كفّ أبيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه .. لاقت الأحزان، وهي لا تزال غضَّة صغيرة، في مرحلة الطفولة الأولى: توفي جدّها رسولُ الله ﷺ ، ثم بعد أشهر قليلة، توفّيت والدتها الزهراء، رضي الله عنها فوجدت أباها أمير البيان، وعالم الصحابةِ وفقيهَهُم، فتلقَّت عنه علماً جمّاً، جعلها إحدى فرائد الدهر، أدباً ومعرفةً، رضي الله عنها.

كان سيِّدنا علي رضي الله عنه قد أوقف بناته على أبناء أخيه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، ولما بلغت زينبُ مبلغ النساء، اختار لها أبوها علي رضي الله عنه : ابن أخيه عبدَ الله بن جعفر رضي الله عنهما وعبدُ الله بن جعفر الطيار، هو أبو جعفرٍ القرشيُّ الهاشمي، الجوادُ بن الجواد ذي الجناحين، وقطبُ الجود والسخاء والكرم، وهو آخر من رأى النبي ﷺ وصحبه من بني هاشم ... وكان عبد الله بن جعفر، شبيهَ النبي ﷺ ، وفيه يقول: (وأما عبدُ الله فيشبه خُلُقي وخَلقي)[1] .. فمع هذا الزوج الكريم عاشت زينب رضي الله عنها ، فأنجبت له أربعة بنين وهم: علي، وعون الأكبر، وعباس، ومحمد، وولدت له بنتاً واحدة اسمها: أم كلثوم.

---

(١) رواه أحمد في المسند (١٧٥٠) قال الشيخ الأرنؤوط: إسناده صحيح على شروط مسلم، والنسائي في الكبري (٨١٦٠) وأبو بكر الشيباني في الآحاد والمثاني (٤٣٤) مختصراً، وقال الهيثمي في المجمع (١٠٢١٨) رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح .

عُرفت زينب بنت علي رضي الله عنهما بأنها امرأةٌ جزلةُ الرأي، حازمةٌ ذاتُ عقلٍ راجح، وبلاغةٍ نادرةٍ بين النساء، وكانت ثابتةَ الجَنان، رفيعةَ القدر، خطيبةً فصيحةً، وكانت مع أخيها الحسين بن علي رضي الله عنهما ، حين توجّه إلى كربلاء، مصطحبةً معها بعض أولادها، وفي أرض كربلاء، اقتربت زينب بنت علي رضي الله عنه من خيمة أخيها الحسين رضي الله عنه ، فسمعته يرتجز:

يـا دهـرُ أفٍ لـك مـن خليـلِ * كـم لـك بالإشـراقِ والأصـيلِ
مـن صاحـبٍ أو طـالبٍ قتيـلِ * والدهـرُ لا يَقنـعُ بالبـديلِ
وإنـما الأمـرُ إلـى الجليـلِ * وكـل حـيٍّ سالـكُ السبيلِ

قال الحسين هذه الأبيات، ثمّ أعادها مرتين أو ثلاثاً، فلم تملك زينب نفسها، فوثبت تجرّ ثوبها، حتى انتهت إلى الحسين رضي الله عنه ، وتوقعت حدثاً جللاً، فنادت زينب: «واثكلاه .. ليت الموتُ أعدمني الحياة اليوم ! ماتت فاطمةُ أمي، وعليٌ أبي، والحسنُ أخي، يا خليفةَ الماضي وثمال الباقي! فالتفت إليها الحسين قائلاً: يا أخية، لا يذهبنّ بحلمك الشيطان ! قالت زينب : بأبي أنت وأمي، نفسي لنفسك الفدا ! فردّد الحسين غصّته، وترقرقت عيناه، ثم قال: لو تُرِك القَطَا ليلاً لنام [1] ! فخرّت مغشياً عليها؛ لأنها شَعرت رضي الله عنها بأنّه موقف الفراق، وبأنّها لن ترى أخاها الحسين بعد هذا اليوم!

---

(١) القطا : جمع قطاة وهي طائر في حجم الحمام صوته : قطاقطا ، وهذا مثل ، قال الميداني : نزل عمرو بن مامة على قوم من مراد ، فطرقوه ليلا ، فأثاروا القطا من أماكنها فرأتها امرأته طائرة ، فنبهت المرأة زوجها ، فقال الرجل : إنما هي القطا ، فقالت : لو ترك القطا ليلا لنام . يضرب لمن حمل على مكروه من غير ارادته ، وقيل غير ذلك . راجع مجمع الأمثال ج ٢ ص ١٧٤ .

فقام إليها الحسين فصبّ الماء على وجهها، وقال: اتقي الله، وتعزّي بعزاء الله، واعلمي أنّ أهلَ الأرض يموتون، وأهلَ السماء لا يَبقُون، وأن كل شيء هالكٌ إلا وجهَ الله، أبي خير مني، وأمي خير مني، وأخي خير مني، وليْ ولهم ولكلِّ مسلم برسول الله أسوةٌ ... فعزّاها الحسين بهذا، ثمّ أوصاها قائلاً: يا أخية إني أقسم عليك .. ألا تشقّي عليّ جيباً، ولا تخمشي عليّ وجهاً، ولا تدعي عليّ بالويل والثبور، إن أنا هلكتُ » [1] . واستشهد الحسين رضي الله عنه في فاجعةٍ عظيمة، ومصيبةٍ جليلةٍ غيرَ أنّ «زينب» مع عِظَمِ تلك الفاجعة، وشدةِ وقعِها عليها، قد نفّذت وصية أخيها، صابرةً محتسبة، ولما قُدم بها مع أهلها على «يزيد» في الشّام، كانت بطلة الموقف، إذ تكلمت أحسنت وأوجزت، وَوَصَفَتها أختها فاطمة بنت علي يومَ ذاك، فقالت: «كانت أختي زينب أكبر مني، وأعقل» [2].

وتروي المصادر أن محاورةً طويلة جرت بين زينب وبين «يزيد»، تدل على فطنتها وبلاغتها وقوة حجّتها، وانتهت هذه المحاورة بأن استحيا «يزيد» منها وسكت، وأحسن مثواها ومن معها، وردّهم إلى المدينة ردّاً جميلاً، وقال لمن معه: «جهّزهم بما يصلح لهم، وابعث معهم رجلاً من أهل الشام أميناً صالحاً، وابعث معهم خيلاً وأعواناً فيسير بهم إلى المدينة ..».

---

(١) الكامل (٤/ ٥٨ – ٥٩) بتصرف. وتاريخ الطبري (٣/ ٣١٦) ، وهذه الوصيّة الأخيرة للحسين لأخته زينب وردت في المصادر الشيعية ، فقد جاء في مستدرك الوسائل عن علي بن الحسين رضي الله عنه قال : إنَّ الحسين قال لأخته زينب : (يَا أُخْتَاهْ إِنِّي أَقْسَمْتُ عَلَيْكِ فَأَبِرِّي قَسَمِي ، لَا تَشُقِّي عَلَيَّ جَيْباً ، وَلَا تَخْمِشِي عَلَيَّ وَجْهاً ، وَ لَا تَدْعِي عَلَيَّ بِالْوَيْلِ والثُّبُورِ إِذَا أَنَا هَلَكْتُ) مستدرك الوسائل ٢/ ٤٥١ .

(٢) تاريخ دمشق (٦٩/ ١٧٧) .

ثم أمر بالنسوة أن ينزلن في داره، معهن أخوهنّ علي بن الحسين، فخرجن حتى دخلن دار يزيد، فلم يبق من آل معاوية بن أبي سفيان امرأة إلا استقبلتهُن تبكي، على الحسين وعلى من قتل معه، وخاصةً أولاد زينب بنت علي رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فقد كان ابناها عون الأكبر ومحمد، قد استشهدا مع الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وكذلك بقية الشهداء من آل جعفر ومن بني عبد المطلب، ثم إن يزيدَ بن معاوية كساهم جميعاً، وأوصى بهم ذلك الرسول الشامي، وكان بهم مستوصياً، فخرج بهم، فكان يسايرهم بالليل، فيكونون أمامه حيث لا يفوتون طرفه، فإذا نزلوا تنحى عنهم وتفرق هو وأصحابه حولهم كهيئة الحرس لهم، وينزل منهم بحيث إذا أراد إنسان منهم وضوءاً أو قضاء حاجة لم يحتشم، فلم يزل ينازلهم في الطريق هكذا ويسألهم عن حوائجهم ويلطفهم ويبرّ بهم حتى دخلوا المدينة المنورة [(١)].

على الرغم من المصيبة ومن الحزن الذي كان يخيّم على الرّكب العائد إلى المدينة المنورة، لم تنس زينب بنت علي رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن تُحسن لمن أحسن إليها، وتجود كعادتها بما تستطيع، ولعلَّ جودها وجود أختها فاطمة في هذا الموقف الحزين من أروع أخبار الجود في عالم النساء، فقد أورد الطبري وابن الأثير أن فاطمة بنت علي رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قلت لأختي زينب: يا أُخيَّة لقد أحسن هذا الرجل الشامي إلينا في صحبتنا فهل لكِ أن نصله؟ فقالت: والله ما معنا شيء نصله به إلا حُليّنا. قالت لها: فنعطيه حُليّنا. وأخذت كل واحدة منهما سوارها ودُملجها فبعثتا بذلك، واعتذرتا إليه ثم قالتا له: هذا جزاؤك بصحبتك إيانا بالحَسنِ من الفعل، فقال: لو كان الذي صنعت إنما هو للدنيا لكان في

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٣٣٩ – ٣٤٠) بتصرف.

حليكنّ ما يرضيني ودونه، ولكن والله ما فعلته إلا لله -عز وجل- ولقرابتكم من رسول الله ﷺ [١].

لقد سُمّيت زينب بنتُ علي بـ «أم المصائب»، وحق لها أن تسمى بذلك، لكثرة ما مرّ بها من المحن والشدائد، والكروب والمصائب! فقد شاهدت وفاةَ جدها النبيِّ ﷺ ، وأمِها الزهراء، وشهادةَ أبيها أمير المؤمنين، ومصيبةَ موت أخيها الحسن مسموماً، وأخيراً المصيبة العظمى وهي شهادة أخيها الحسين، واثنين من أبنائها، وجمعاً كبيراً من أقاربها في واقعة الطف! لم تعِشْ زينب بعد مقتل أخيها وولدَيْها أكثر من سنة، حيث لبَّت نداء الله - عزّ وجلّ- في سنة ٦٢هـ على الأرجح.

أما عن مكان وفاتها، فلم تشر المصادر إشارةً يقينيةً إلى هذا، لكنّ بعض المصادر أشارت إلى أن زينب دفنت بمصر، أو بالشام! غير أنه لا يوجد في كتب التاريخ المعتمدة ما يصحّح ذلك، أو يشير إليه [٢] . وأغلب الظنّ أن زينب بنتُ علي رضي الله عنها قد توفيت في المدينة المنورة، والله أعلم، رحم الله زينب ورضي عنها، وأدخلها الجنة مع الصابرين.

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٣٤٠) والكامل (٤/ ٨٨) بتصرف يسير .
(٢) الأعلام (٣/ ٦٧) .



محمّد بن الحنفيّة رحمه الله

إنّه السيّد الشريف، الإمام اللبيب، ذو اللسان الخطيب، الشّهاب الثاقب، والقويّ العاقب، أحد الأبطال الأشداء، والشجعان الأقوياء، محمّد بن الحنفية ..فهو أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب، الهاشميّ القرشيّ من آل البيت، أمّه: خولة بنتُ جعفر الحنفية، نُسب إليها تمييزاً عن أخويه الحسن والحسين، ولد في خلافة عمر بن الخطاب سنة إحدى وعشرين للهجرة، وهو أحد الأبطال الأشداء، والشجعان الأقوياء، كان ورعاً واسع العلم، وقائداً كبيراً من قوّاد المعارك التي خاضها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في الجمل وصفين، حيث حمل الراية وأبلى بلاءً حسناً، وكان أبوه يعتمد عليه كثيراً في هذه الحروب، رغم صغر سنه؛ لذا ساعدته هذه المرحلة كثيراً على صقل شخصيته [1] .

ولد محمد بن الحنفيّة سنة ٢٠ للهجرة النبوية، وقد أرّخ سنة ولادته فيمن أرّخها ابن خلكان في كتابه «وفيات الأعيان» بقوله: لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وروى ابن سعد عن محمد بن الحنفية قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : «يا رسول الله أرأيت إنْ وُلِدَ لي وَلَدٌ بعدك، أسَميّه باسمك وأكنّيه بكنيتك؟ قال: نعم، فكانت رخصةً من رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه » [2] . كان اتصال علي رضي الله عنه بخولة الحنفية أم محمد:

---

(١) انظر طبقات ابن سعد (٥/ ٩٢) فما بعدها، والنجوم العوالي للعصامي (١/ ٤٩٠) .

(٢) رواه أبو داود في سننه : (٤٩٦٧) ، والترمذي في سننه : (٢٨٤٣) ، وأحمد في مسنده : (٧٣٠) ، والبخاري في الأدب المفرد (٨٤٣) وغيرهم ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود : (٤٩٦٧)

أن علياً رضي الله عنه أخذها من سبي بني حنيفة، أيام ردة بني حنيفة في خلافة الصديق، فصارت لعلي بن أبي طالب فولدت له محمدًا هذا [١].

كان محمد بن الحنفية رحمه الله مع عثمان رضي الله عنه في محنته، ولقد دافع عنه ضد ما أثاره السبئيون الجفاة، وروى عن أبيه عليّ رضي الله عنه ما يتضمن ذلك ويؤيده: فقد روى ابن شبة في تاريخ المدينة عن محمد بن الحنفية، عن أبيه قال: «لو سيّرني عثمان رضي الله عنه إلى صرار لسمعته وأطعت الأمر». وصرار موضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق [٢]، وقال أيضاً: سمعت أبي ورفع يديه حتى يرى بياض إبطيه، وقال: «اللهم العن قتلة عثمان في البر والبحر، والسهل والجبل – ثلاثاً يردّدها» [٣].

وقد كان الإمام علي رضي الله عنه يُلقِي ابنَه محمد بن الحنفية في الوقائع، ويتّقي به العظائم، وهو شديد البأس، ثابت الجنان، قيل له يوماً: «ما بال أبيك يُقحمك في الحروب دون الحسن والحسين؟ فقال: لأنهما كانا عينيه، وكنت أنا يده، فكان يتقي عينيه بيده» [٤] فما أحسن هذا الجواب !

وذكر ابن المبرد في الكامل: أن ملك الروم في أيام معاوية، وجّه إليه أنّ الملوك قبلك كانت تراسل الملوك منّا، ويجهد بعضهم أن يغرب على بعض، أفتأذن لي في ذلك، فأذن له، فوجه إليه برجلين أحدهما طويل الجسم والآخر آيد، ثم وجّه معاوية إلى محمد

وغيره، وانظر طبقات ابن سعد (٥/ ٩١).

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٣٦٨)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨/ ٥٥٤).

(٢) تاريخ المدينة لابن شبة النميري (٤/ ١٢٠١).

(٣) المصدر السابق (٤/ ١٢٦٧).

(٤) المستطرف في كل فن مستظرف (باب ذكر أسماء الشجعان).

بن الحنفية فحضر، فخبر ما دعي له فقال: قولوا له: إن شاء فليجلس وليعطني يده حتى أقيمه ويقعدني، وإن شاء فليكن هو القائم وأنا القاعد، فاختار الرومي الجلوس فأقامه محمد، وعجز الرومي عن إقعاده! ثم اختار أن يكون محمد القاعد فجذبه محمد فأقعده وعجز الرومي عن إقامته فانصرفا مغلوبين [1]!

ولقد كان محمد نعم الأخ للحسن والحسين، وكانا نعم الأخوان له، وقد أوصاهما الإمام عليّ رضي الله عنه به خيراً، وقال لهما: قد علمتما أن أباكما كان يحبه! ولما توفي الحسن أدخله قبره الحسين ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم ثم وقف محمد على قبره وقد اغرورقت عيناه بالدموع، وقال:

«رحمك الله أبا محمد! فلئن عزّت حياتك، لقد هدت وفاتك، ولنعم الروح روح تضمنه بدنك، ولنعم الجسد جسد تضمنه كفنك، ولنعم الكفن كفن تضمنه لحدك، وكيف لا تكون كذلك، وأنت سليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، وخلف أهل التقى؟ جدك النبي المصطفى، وأبوك علي المرتضى، وأمك فاطمة الزهراء، وعمك جعفر الطيار في جنة المأوى، وغذتك أكف الحق، وربيت في حجر الإسلام، ورضعت ثدي الإيمان، فطبت حياً وميتاً، فلئن كانت النفس غير طيبة لفراقك، إنها غير شاكة أنه خير لك، وإنك وأخاك لَسَيدًا شباب أهل الجنة، فعليك يا أبا محمد منا السلام» [2].

---

(١) الكامل لابن المبرد (بتصرف).

(٢) تاريخ دمشق (١٣/ ٢٩٦) وتهذيب الكمال (٦/ ٢٥٥) وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٥٥) وذكره أحمد زكي صفوت في " جمهرة خطب العرب " (٢/ ٣١).

ولما اختار الحسين رضي الله عنه الذهاب إلى الكوفة، نصحه أخوه محمد بعدم الذهاب، فقال له: «والله يا أخي لأنت أعزُّ أهل الأرض عليّ، وإني ناصح لك، لا تدخلن مصرًا من هذه الأمصار، ولكن اسكن البوادي والرمال، وابعث إلى الناس فإذا بايعوك واجتمعوا عليك فادخل المصر، وإن أبيت إلا سكنى المصر، فاذهب إلى مكة، فإن رأيت ما تحبّ وإلا ترفعت إلى الرمال والجبال، فقال له: جزاك الله خيرًا فقد نصحت وأشفقت» [(١)].

وبالنسبة لفتنة المختار ، فقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : «كان أول أمر المختار أن ابن الزبير أرسله إلى الكوفة؛ ليؤكد له أمر بيعته، فأظهر المختار أن ابن الزبير دعا في السر للطلب بدم الحسين، ثم أراد تأكيد أمره، فادّعى أن محمد بن الحنفية هو المهدي الذي سيخرج في آخر الزمان، وأنه أمره أن يدعو الناس إلى بيعته، وزوّر على لسانه كتاباً، فدخل في طاعته جمعٌ جمٌّ، فتقوى بهم، وتتبّع قتلة الحسين، فقتلهم، فقوّى أمره بمن يحبُّ أهل البيت» [(٢)] .

وذكر الشّهرستاني أن المختار بن أبي عبيد قال بإمامة محمد بن الحنفية بعد علي، ولما وقف محمد بن الحنفية على ذلك تبرأ منه، وقال عبد القاهر البغدادي: (ثم رفع خبر المختار إلى ابن الحنفية، وخاف من جهته الفتنة في الدين، فأراد قدوم العراق ليصير إليه الذين اعتقدوا إمامته، وسمع المختار ذلك، فخاف من قدومه العراق ذهاب رياسته وولايته، فقال لجنده: «إنا على بيعة المهدي، ولكن للمهدي علامة، وهو أن يُضرب

(١) البداية والنهاية لابن كثير : (٨/ ١٤٨) .

(٢) الإصابة لابن حجر : (٦/ ٣٥١) .

بالسيف ضربةً، فإن لم يَقطع السيف جلده فهو المهدي»، وانتهى قوله هذا إلى ابن الحنفية، فأقام بمكة خوفاً من أن يقتله المختار بالكوفة)[١].

فنشأت من ذلك فرقة الكَيسانيّة، وهي إحدى الفرق الباطنيّة الغلاة، وقد اتفقت فِرَقُ الكَيْسانية كلُّها على إمامة ابن الحنفية في حياته، ولكن بعد ما مات أقرّ قوم منهم بموته، وحوّلوا الإمامة إلى غيره على خلاف كثير فيهم، وقال قوم آخرون: إنه حي ولم يمت، وإنه في جبل رَضْوى، وعنده عينٌ من الماء، وعينٌ من العسل، يأتيه رزقه غدواً وعشياً، تُحدّثه الملائكة، وعن يمينه أسد! وعن يساره نمر! يحفظانه من أعدائه إلى وقت خروجه، وأنه صاحب الزمان، سيخرج ويقتل الدجال، ويهدي الناس من الضلالة، ويُصلح الأرض بعد فسادها، ولم يمُت، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً!

قال الحميري ـ وكان ممن ينتظرون رجعة محمد بن الحنفية ـ :

يا شِعب رضوى قاطنٌ بك لا يُرى * حتى متى تخفى وأنت قريبُ

يا بن الوصيّ ويا سميّ محمد * وكنيّهُ نفسي عليك تذُوبُ

لو غاب عنّا عمر نوحٍ أيقنت * منّا النفوسُ بأنّه سيئوب

توفي رحمه الله في أول محرم سنة ٨١ للهجرة في المدينة المنورة، وقال الواقدي: أنبأنا زيد ابن السائب، قال سألت عبد الله بن الحنفية: أين دفن أبوك؟ قال: بالبقيع، سنة إحدى وثمانين في المحرم، وله خمس وستون سنة [٢]. تلك شذرات عبقة .. ونفحاتٌ

(١) الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي (١/ ٣٣-٣٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ١٨٢).

عطرة، من حياة الرّجل العظيم محمد بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فرحمه الله رحمة واسعة، وأدخله فسيح جناته.



الحسن المثنّى وابنه عبد الله المحض

إنّ في أمة الإسلام رجالاً وأبطالاً لا نعرف من سيرتهم إلا القليل، ولا من أخبارهم إلا النزر اليسير، وسبب ذلك هو بُعدنا عن مصادرنا، وإعراضنا عن تاريخنا، وفي هذه الحلقة -بإذن الله- سنتحدث عن رجل وُصِفَ بمعالي المحاسن والأخلاق.. رجلٍ مَثّل الإسلام في أبهى صُوَرِهِ وأرقى مُثُلِهِ ، فكان العالِمَ العامل، العابدَ الفاضل! إنّه السيّد الشريف: «الحسنُ المثنّى» بنُ الحسنِ بنِ علي بنِ أبي طالب، كبير الطالبيّين في عهده! الذي يُعتبر -بحقٍ- إمامًا من أئمة أهل البيت رضي الله عنهم .

جاء في تاريخ دمشق: عن أبي الحسن علي بن محمد النيسابوري عن الأصمعي قال: دخلت في الطواف عند السحر، فإذا أنا بغلام شابٍ حسنِ الوجه، حسنِ القامة، عليه شملة -أي كساءٌ يشتمل به- وله ذؤابتان، وهو متعلق بأستار الكعبة يقول:

ألا أيها المأمولُ في كل ساعةٍ * شكوتُ إليك الضُّرَّ فارحم شكايتي

ألا يا رجائي أنت كاشف كُربتي * فهَب لي ذنوبي كلّها واقضِ حاجتي

فزادي قليلٌ ما أراه مبلّغي * أللزّاد أبكي ؟ أم لبُعدِ مسافتي ؟

أتيتُ بأعمالٍ قباحٍ رديّةٍ * فما في الورى خلقٌ جنى كجِنايتي

أتُحرقني بالنارِ يا غاية المُنى * فأين رجائي ؟ ثم أين مخافتي ؟

يقول الأصمعيّ : فتقدّمتُ إليه، وكشفتُ عن وجهِه، فإذا به الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، فقلت: يا سيّدي! مثلك من يقول هذه المقالة! وأنت من أهل بيتِ النبوة، ومعدنِ الرسالة؟! فقال الحسن بن الحسن: هيهات! يا أصمعي، إن الله خلق الجنة لمن أطاعه وإن كان عبداً حبشياً ! وخلق النار لمن عصاه وإن كان ولداً قرشياً ! يا أصمعي! أما سمعت قول الله عزّ وجلّ: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١-١٠٣] [(١)] .

سبحان الله! ما هذا الفقه؟ وما هذا الفهم؟ إنّه تفسير عمليٌّ لقول جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم : (يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ .. اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللهِ شَيْئاً، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللهِ شَيْئاً، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ لا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ، سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللهِ شَيْئًا) [(٢)]، إنّها قيمة عظيمة -أيّها الإخوة والأخوات- من قيم ديننا العظيم .. ألا وهي: عدم الرّكون إلى الأنساب، بل العمل العمل.

يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (من بطّأ به عمله، لم يُسرع به نسبه) [(٣)]، فليس بين الخالق والمخلوقين رابطةٌ إلا التّقوى والعمل الصالح، هذا ما فهمه الإمام حسن المثنى، وهذا ما حقّقه في جانب العبوديّة لله -تعالى- حتى قال الحسن المثنّى : «أحبّونا، فإن عصينا الله

---

(١) تاريخ دمشق : (٤١/ ٣٥٩) .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) رواه مسلم في صحيحه : (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

فأبغضونا..» [(١)]، جاءه رجلٌ مرّةً فغلا في آل البيت رضي الله عنهم ، فغضب الحسن المثنى ، وقال له : « ويحكم أحبونا لله ، فإن أطعنا الله فأحبونا ، وإن عصينا الله فأبغضونا ، فقال له رجل : إنكم قرابة رسول الله ﷺ وأهل بيته ، فقال الحسن المثنّى : ويحك لو كان الله مانعاً بقرابةٍ من رسول الله أحداً بغير طاعة الله ، لنفع بذلك من هو أقرب إليه منا أباً وأماً ، والله إني لأخاف أن يضاعف للعاصي منا العذاب ضعفين ! وإني لأرجو أن يؤتيَ المحسن منا أجره مرتين ، ويلكم ! اتقوا الله وقولوا فينا الحق ، فإنه أبلغ فيما تريدون ، ونحن نرضى به منكم » [(٢)].

سبحان الله!! هؤلاء السّادة من أهل البيت كانوا فعلاً سادة! كانوا غيارَى أشدّ الغيرة في الرحم التي كانت تصلهم برسول الله ﷺ ، فما كانوا يستغلون هذه النسبة لمصالح دنيوية، شأن أبناء أسر الزعماء الدينيين، من البراهمة والكهنة في الديانات والملل الأخرى، ممن ينالون تقديساً زائداً، وتعتبر ذواتهم قدسية، ويعامَلون من قبل أتباعهم كشخصيات تفوق البشر، ويفرضون على من تحتهم التّفاني في خدمتهم، والسّعي في قضاء حوائجهم، أما هؤلاء السّادة من أهل البيت] فقدكانوا فعلاً سادة، سادةً بأقوالهم، وسادةً بفعالهم، كانوا بعيدين عن كسب حطام الدنيا بأنسابهم، بل كانوا يبنون قصور الفخر، باستغنائِهم عن النّاس ، وعزّةِ أنفسهم [(٣)].

ومن زوجات الحسن المثنّى: «فاطمةُ بنت الحسين»، ولمّا أراد الحسن بن الحسن أن يخطب إلى عمّه الحسين رضي الله عنه إحدى ابنتَيه، قال له الحسين: «اختر يا بني أحبهما إليك،

(١) تاريخ الإسلام (١/ ٧٤٤) وبنحوه في طبقات ابن سعد (٥/ ٣١٩) ، وتاريخ دمشق (١٣/ ٧٠) .
(٢) طبقات ابن سعد (٥/ ٣١٩ ، ٣٢٠) .
(٣) المرتضى للندوي (٢٢٨) بتصرف .

فاستحيى الحسن ولم يحر جوابا، فقال له الحسين: فإنّي قد اخترت لك ابنتي فاطمة، فهي أكثرهما شبهًا بأمي فاطمةَ بنتِ رسول الله ﷺ»[1]، فتزوّجها الحسن بن الحسن في السّنة التي استشهد فيها الحسين رضي الله عنه سنة إحدى وستين للهجرة، وكان الحسن بن الحسن ممّن شهد معركة الطفّ المأساويّة، وشاهد مقتل عمّه الحسين رضي الله عنه مع كوكبةٍ شريفةٍ من أهل البيت رضي الله عنهم، لكنّه نجى لأنّه استُصغِر، وقيل: تُرك لمرضه!

وممّا تعرّض له الحسن المثنّى من المحن، ما ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق: «أنّ عبد الملك بن مروان كتب إلى عامله بالمدينة هشام بن إسماعيل: «أنّه بلغني أن الحسن بن الحسن يُكاتب أهل العراق -أي بالبيعة له-، فإذا جاءك كتابي هذا فابعث إليه، فليؤت به»، فلمّا علم بذلك ابنُ عمّه: علي بن الحسين، قام إليه وقال له: يا بن عم، قل كلمات الفرج: «لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلي العظيم، سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين»، وفعلاً لمّا جيء به إلى هشام بن إسماعيل، قال هذا الدّعاء، فلمّا نظر إليه قال له: أرى وجهاً قد قُشب بكذبة -أي افتري عليه-، خلوا سبيله وليراجَع فيه أمير المؤمنين»[2] ثمّ كتب للخليفة يبرّئه، هكذا أنجى الله تعالى هذا العبد الصّالح، بصدق التجائه إلى الله تعالى، وكانت وفاته رضي الله عنه سنة ٩٧ للهجرة.

علماً بأنّ ابن الحسن المثنّى «عبد الله» أيضاً: كان من العبّاد والزّهاد، وكان له شرفٌ وهيبةٌ ولسان، لقّب بـ «عبدِ الله المحض» أي الخالص، سمّي بذلك لأنّه أول من

---

(١) عمدة الطالب (١٦٥)، والأصيلي في أنساب الطالبيين (٦٢) وذكره -أيضا- صاحب الأغاني بإسناده (١٦/ ١٥٠).

(٢) تاريخ دمشق (١٣/ ٦٧) وشعب الإيمان (٦٢٤).

جمع ولادةَ الحسن والحسين؛ فأمّه فاطمة بنت الحسين ، وكان شيخَ بني هاشم ورئيسهم ، وله رضي الله عنه روايةٌ في كتب الحديث المعتمدة، قال مصعب بن عبد الله: «ما رأيتُ أحدًا من علمائنا يُكرمون أحداً، ما يُكرمون عبد الله بن الحسن بن الحسن»، وقد كان هذا السيّد المبجّل، على قدرٍ وافرٍ من الحلم، رَوى يحيى بن معين أنّ رجلاً شتم عبد الله بن الحسن ، فردّ عليه عبد الله المحض: «ما أنت كفؤٌ لي فأسبّ، ولا أنت عبدي فأشحّ» (١) !.. ومن دُرر أقواله: ما قاله عبد الله بن الحسن لابنه : «يا بني استعن على السّلامة بطول الصّمت، في المواطن التي تدعوك نفسُك إلى الكلام فيها، فإنّ الصّمت حسنٌ على كلّ حال، وللمرء ساعاتٌ يَضرّ فيها الخطأ، ولا ينفع فيها الصواب» (٢) .

إنّها رسالةٌ إلى أصحاب الهمم العالية؛ ليربّوا أنفسهم على مثل هذه الأخلاق العظيمة، أو يستشعروا حجم المسؤولية فيُنشئوا أبناءهم على مثل هذه القيم والمُثُل، التي نتمنّاها في أحلامنا، إنّ هذه السيرة ليست أسطورة، بل هي حياةٌ عاشها أولئك العظماء .

(١) تاريخ دمشق (٢٧/ ٣٧٨) .
(٢) المصدر السابق بتصرف يسير .



نفيسة بنت الحسن

إنّها السيدة الصالحة، التقية الزكية، سلالة العترة الطاهرة، والشجرة النبوية الفاخرة، العلوية الحسنية، المشهورة بالتقوى والولاية .. **فمن هي؟**

هي السيّدة الجليلة نفيسة بنت الأمير الحسن بن زيد بن السبط الحسن بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، القرشيّة الهاشمّية، **أبوها**: السيد الأمير حسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسني، وكان فاضلاً أديباً عالماً، ولي المدينة للمنصور، وأقام في الولاية مدة خمس سنين، ثم صارت عليه وشاية فغضب عليه المنصور فعزله، واستصفى أمواله وكل ما كان يملكه، وحبسه ببغداد، ولم يزل محبوساً إلى أن مات المنصور، وولي المهدي، فأخرجه من حبسه، وأكرمه، وردَّ عليه ما أُخِذ منه، وحجَّ معه، ولم يزل معه، حتى مات سنة ثمان وستين ومائة، وهو ابن خمس وثمانين سنة، وصلى عليه علي بن المهدي [١].

وأما جدها: فهو زيد بن الحسن بن عليّ، روى عن أبيه وعن جابر وابن عباس، وروى عنه ابنه، وكان يأتي الجمعة من ثمانية أميال، وكان إذا ركب نظر الناس إليه وعجبوا من عظم خلقه، وقالوا: جده رسول الله ﷺ ، **وزوجها**: إسحاق بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، كان من

(١) العبر في خبر من غبر للذهبي (١/ ٦٦)، والوافي بالوفيات للصفدي (٢٧/ ١٠١) .

أهل الصلاح والخير والفضل والدين، وولدت نفيسة من إسحاق ولدين هما: القاسم وأمّ كلثوم لم يعقّبا [1].

ولدت السيدة نفيسة رضي الله عنها بمكة المكرمة في يوم الأربعاء الحادي عشر من شهر ربيع الأول سنه خمس وأربعين ومائة من الهجرة النبوية، وقد فرح بها أبوها أبو محمد الحسن بن زيد فرحاً شديداً، ولم تمكث في مكة كثيراً، فقد توجّهت بعد ذلك إلى المدينة النبوية عند أن صار أبوها والياً عليها.

سار الموكب من مكة ومعهم السيدة نفيسة، برفقة أبيها الحسن الأنور نحو المدينة، ودخلوا المدينة، وكان يوم جمعة، فعلم أهل المدينة بقدوم الموكب، فخفّ أبناء المهاجرين والأنصار وسلالة الصحابة والتابعين إلى لقاء حفيد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فرحين بولايته عليهم، وبذلك عاشت نفيسة وترعرعت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أكناف العلم والمعرفة والعبادة .. عاشت نفيسة مع أحفاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتأثرت بهم، وسارت على منهجهم؛ فحفظت القرآن الكريم، وأقبلت على فهم آياته وكلماته، كما حفظت كثيرًا من أحاديث جدها.. ولما بلغت نفيسة مبلغ الشابات؛ تقدم لخطبتها ابن عمها إسحق المؤتمن بن الإمام جعفر الصادق، فرضيته زوجاً لها.

وتزوّجت السيدة في العشر الأولى من رجب سنة ١٦١هـ من السيّد إسحاق المؤتمن بن جعفر الصادق، ورُزق منها القاسم وأم كلثوم.. ولما ترك الإمام الحسن الأنور

(١) المواعظ والاعتبار (٣/ ٢٠٨).

والد السيدة نفيسة ولاية المدينة، خلفه عليها زوجها إسحاق المؤتمن والياً للعباسين؛ فهي تعدّ: بنت أمير وزوجة أمير من أهل البيت رضي الله عنهم.

عاشت السيدة نفيسة في المدينة النبوية تنهل من العلم وتعلّمه الناس، وفتحت بيتها لطلاب العلم، تروي لهم أحاديث رسول الله ﷺ ، وتفتيهم في أمور دينهم ودنياهم، حتى أطلقوا عليها اسم: «نفيسة العلم والمعرفة».. إلى أن خرجت منها.

وفى عام ١٩٣هـ ، وصلت السيدة نفيسة إلى مصر بصحبة والدها وزوجها، واستقرت في الفسطاط بدار ابن الجصاص، وهو من أعيان مصر، ثم انتقلت إلى دار أم هانئ بجهة المراغة المشهورة الآن بالقرافة، وقد استُقبلت استقبالاً حافلاً، وسُرّ أهل البلاد بقدوم حفيدة رسول الله سروراً بالغاً، قال ابن كثير: «نفيسة دخلت الدّيار المصرية مع زوجها المؤتمن إسحاق بن جعفر، فأقامت بها، وكانت ذات مال، فأحسنت إلى الناس والجذمى والزمنى والمرضى وعموم الناس، وكانت عابدةً زاهدةً كثيرةَ الخير» [(١)].

فكانت عظيمة القدر والمكانة عند أهل مصر، فكانوا يذهبون إليها، يلتمسون عندها العلم والمعرفة، بل كان يقصد دارها كبار العلماء، فقد تردّد عليها الإمام الشافعي رحمه الله وأحسنت إليه، وكان ربما صلّى بها في شهر رمضان، وأوصى أن تصلي على جنازته، قال الصفدي: ويُروى أنّ الإمام الشافعي لما دخل مصر حضر إليها وسمع عليها الحديث، ولما توفي الشّافعي أُدخلت جنازته إليها وصلّت عليه في دارها [(٢)]. وقال ابن كثير: «وحين مات -أي الشافعي- أمرت بجنازته فأدخلت إليها المنزل فصلَّت عليه»

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١٠/ ٢٨٦) .

(٢) الوافي بالوفيات للصفدي (٢٧/ ١٠١) .

[1]. وذكر ابن العماد الحنبلي عن ابن الأهدل قوله: وسلسلتها في النَّسب، وسماع الشَّافعي منها وعليها، وحمله ميتاً إلى بيتها أعظم منقبةٍ؛ فلم يكن ذلك إلا عن قبولٍ وإقبال، وصيتٍ وإجلال [2].

ولقد اشتهرت نفيسة بعبادتها وزهدها، شهرةً واسعةً حتى صارت رمزاً للمؤمنة التقيّة الصالحة، جاء في المواعظ والاعتبار: وكانت نفيسة من الصلاح والزهد على الحدّ الذي لا مزيد عليه، فيقال إنها حجّت ثلاثين حجة، وكانت كثيرة البكاء، تديم قيام الليل وصيام النهار، فقيل لها: ألا ترفقين بنفسك؟ فقالت: «كيف أرفق بنفسي وأمامي عقبة لا يقطعها إلا الفائزون» [3].

ومن دعائها : «اللهم إني أعوذ بك من كلام السوء، وفعل السوء، ومُراد السوء، وجار السوء، اللهم لا تكلني إلى نفسي فأعجز، ولا إلى أحدٍ من خلقك فأضيع، اللهم ألهمني رشدي، وأحسِنْ رِفْدي، وأصْلِحْ عشرتي، واغفر زلَّتي، وقني شرَّ وساوس الشيطان، وأجرني منه يا رحمن، حتى لا يكون عليَّ سلطان، وصلى الله على سيدنا محمد صاحب الشريعة والبرهان آمين» .

وبعد سبع سنوات من الإقامة في مصر، مرضت السيدة نفيسة، فصبرت ورضيت، وكانت تقول: «الصبر يلازم المؤمن بقدر ما في قلبه من إيمان، وحسب الصابر

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١٠/ ٢٨٦) .
(٢) شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (٢/ ٢١) .
(٣) المواعظ والاعتبار (٣/ ٢٠٨) .

أن الله معه، وعلى المؤمن أن يستبشر بالمشاقّ التي تعترضه، فإنها سبيل لرفع درجته عند الله، وقد جعل الأجر على قدر المشقة، والله يضاعف لمن يشاء، والله واسع عليم» .

ولما أحسّت السيدة نفيسة أن النهاية قد اقتربت، أرسلت إلى زوجها إسحاق المؤتمن، تطلب منه الحضور وكان بعيداً عنها، وقد كانت السيدة نفيسة في يوم موتها صائمة ، فألحّوا عليها أن تفطر رفقًا بها، وهي في لحظاتها الأخيرة، لكنها أصرّت على مواصلة الصوم إذ إنها كانت على وشك لقاء الله، وقالت: واعجبًا، منذ ثلاثين سنة أسأل الله تعالى أن ألقاه وأنا صائمة، أأفطر الآن؟!.. ثم ذهبت ترتّل بخشوع من سورة الأنعام حتى وصلت إلى قوله تعالى : ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٧] .

ففارقت الحياة، وفاضت روحها إلى الله في شهر رمضان سنة ثمان ومئتين، فبكاها أهل مصر، وحزنوا لموتها حزناً شديداً، وحينما حضر زوجها أراد أن ينقل جثمانها إلى المدينة المنوّرة ، لكن أهل مصر منعوه من ذلك، وسألوه أن يدفنها عندهم، فدفنت في مصر، دفنت في المنزل الذي كانت تسكنه، بمحلة كانت تعرف قديماً بدرب السباع بين مصر والقاهرة، فرحمة الله عليها [(١)]، قال الذهبي: «ولم يبلُغنا كبيرُ شيءٍ من أخبارها» [(٢)].

وأما فيما يتعلق بقبرها ومشهدها: فلقد كان للعبيديّين فترةَ توليّهم حكم مصر وغيرها من البلاد، الأثر الكبير في نشر الخرافات الزائفة، والبدع الشركية المارقة، فنال السيدة العلوية نفيسة بنت الحسن قسط كبير من ذلك، بدءًا بالبناء العظيم على قبرها

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١٠/ ٢٨٦) .

(٢) سير أعلام النبلاء : (١٠/ ١٠٦) .

وزخرفته، ثم نسْجُ جملةٍ من الحكايات الباطلة، والشائعات المزيّفة، والقصص المناميّة، التي تدعو إلى الغلو في قبرها، وتعظيمه، بل أحياناً والسجود له، ودعاء السيدة نفيسة والالتجاء إليها في الملمّات والضائقات، حتى اعتقد فيها العوام عقائد غريبة عن الدين والشرع !

ولقد تصدّى كثيرٌ من أهل العلم والفضل لإنكار ذلك، وتنبيه الناس على خطورته، وتحذيرهم من ضلالات أهل البدع والقبوريّين :

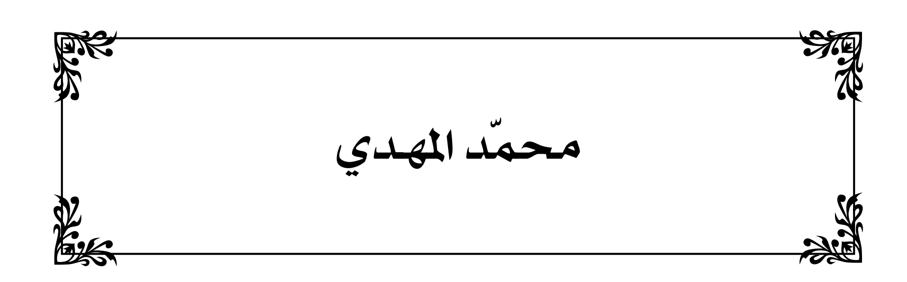
حتى قال **الإمام الذهبي** رحمه الله : « ولجَهَلَة المصريّين فيها اعتقادٌ يتجاوز الوصف ولا يجوز ! ممّا فيه من الشرك، ويسجدون لها، ويلتمسون منها المغفرة، وكان ذلك من دسائس دعاة العبيديّة »[1].

وقال **الحافظ ابن كثير** رحمه الله : «وإلى الآن قد بالغ العامة في اعتقادهم فيها وفي غيرها كثيراً جدًا، ولا سيما عوام مصر، فإنهم يطلقون فيها عبارات بشعة مجازفة تؤدي إلى الكفر والشرك! وألفاظاً ينبغي أن يعرفوا أنها لا تجوز! وربما نسبها بعضهم إلى زين العابدين وليست من سلالته، والذي ينبغي أن يعتقد فيها ما يليق بمثلها من النساء الصالحات، وأصل عبادة الأصنام من المغالاة في القبور وأصحابها، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتسوية القبور وطمسها، والمغالاة في البشر حرام، ومن زعم أنها تفك من الخشب، أو أنها تنفع أو تضر بغير مشيئة الله فهو مشرك، رحمها الله وأكرمها»[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٠٦) .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (١٠/ ٢٨٦) .



محمّد المهدي

إنّ من أفضل الأزمنة في هذه الدنيا زمن النبوة والرسالة، الذي تتصل فيه الأرض بالسماء، وتتلقى فيه البشرية الهداية من الوحي، وتبلغ الأمة فيه مبلغ الكمال البشري، إلا أن النقص سرعان ما يداهم الأمم بعد موت أنبيائها، وانقطاع وحيها، وقد أتى على هذه الأمة ما أتى على الأمم قبلها، بعد موت النبي ﷺ ، وما زال هذا النقص يتّسع ويزداد، وقد أخبرنا النبي ﷺ بهذه السنة الكونية، فيما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إنه لا يأتي عليكم زمانٌ إلا الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم)[1].

إلا أنَّ رحمة الله عزّ وجل بعباده، ورأفته بهم اقتضت أن يكون للناس أوقات يؤوبون فيها إلى الهدى والرشاد، وأزمنةً يتذكرون فيها عهد الأمة الأول، ومن تلك الأزمنة زمن خروج المهدي رضي الله عنه ، المهدي الذي يخرج على الأمة مصلحاً وهادياً، بعد أن يعم الشر، وينتشر الباطل، وتملأ الأرض ظلماً وجوراً ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال: (يخرجُ في أمتي المهديُّ، يَسقيهِ اللهُ الغيثَ، وتُخرِج الأرضُ نباتَها، ويُعطِي المالَ صِحاحاً، وتكثرُ الماشيةُ، وتَعظمُ الأمَّةُ، يَعيشُ سبعًا أو ثمانياً)[2] يعني حِجَجاً، إنّ الحديث عن قضايا الغيب وما سيكون في آخر الزمان مما يزيد الإيمان، ويدعو

---

(١) رواه البخاري في صحيحه : (٦٦٥٧) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٨٦٧٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصحّحه الألباني، انظر السلسلة الصحيحة (٧١١) .

المسلم إلى الاستعداد لهذه الأحوال، ولنعلم أيّها الإخوة بأنّه إذا ظهرت علامةٌ من علامات الساعة الكبرى، فإن أخواتها تتبعها كتتابع الخَرَز في النظام يتبع بعضها بعضاً، ومما سيظهر في آخر الزمان: «رجلٌ صالحٌ». والأحاديث في ظهوره مستفيضة ومتواترة، تواتراً معنويّاً لكثرة طرقها واختلاف مخارجها، فما أخبار هذا الرّجل الصالح؟ سنعرف في هذا الفصل بعض أخباره، ونعرف نسبه واسمه، وبعض صفاتِه الخَلقية، والزّمن الذي سيظهر فيه.

نبدأ بذكر نسبه واسمه: فاسمه محمّد بن عبد الله، يُعرف بـ :« المهدي»! وهو من أهل بيت النبي ﷺ ، من ذرّية فاطمة بنت رسول الله ﷺ من ولد الحسن بن علي، رضي الله عنهما، فهو محمّد بن عبد الله العلوي الحسَني الهاشميّ وفي سنن الترمذي: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تذهب الدنيا حتى يملك العربَ رجلٌ من أهل بيتي يواطئ اسمُه اسمي) [1]، وفي سنن أبي داود عن ابن مسعود رضي الله عنه أيضاً مرفوعاً: (لو لم يبق من الدنيا إلا يومٌ، لطوَّل الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً منّي، أو من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، واسمُ أبيه اسمُ أبي، يملأ الأرض قسطًا وعدلاً، كما ملئت

(١) رواه الترمذي في سننه : (٢٢٣٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح ، وحسّنه الألباني في مشكاة المصابيح : (٥٤٥٢) ، وفضائل الشام ص (١٦) .

ظلماً وجوراً) [١]، وروى الإمام أحمد وابن ماجه عن علي مرفوعاً: (المهدي منّا أهل البيت، يُصلِحهُ الله في ليلة) [٢].

وأما ما يتعلّق بصفاته الخَلْقية: فقد اهتم النبي ﷺ بتجلية أمر هذا المصلح، وبيان صفاته وخصائصه، حتى إذا ظهر كانت الأمة معه على موعد، فتنصره ولا تخذله، لاسيما أن وقت ظهوره وقت فتنٍ وبلاء، فقد ذكر النبي ﷺ : أنّ اسمه مثل اسمه، واسم أبيه مثل اسم أبي النبيّ، وأنه من بيت النبوّة الطاهر، وذكر النبي ﷺ صفاته الخَلْقية فقال: (المهدي منّي أجلى الجبهة، أقنى الأنف) [٣]. ومعنى «أجلى الجبهة»: أي: أنه عريض الجبهة؛ لانحسار الشعر عن مقدم رأسه، ومعنى «أقنى الأنف» أي: طويل الأنف، مع دقَّةٍ في أرنبته، وحَدبٍ في وسطه، هذا عن اسمه وصفاته الخَلقية.

زمن خروجه: أما عن زمن خروجه فقد أخبرنا النبي ﷺ ، أنّ المهدي سيخرج في زمن مُلئت فيه الأرض ظلماً وجوراً، يظهر بعد فشو الفساد وكثرة المنكرات، واستفحال الظلم وقلة العدل، فيصلح الله على يديه أحوال هذه الأمة، ويؤيّد به الدّين.

---

(١) رواه أبو داود في سننه : (٤٢٨٢) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة : (١٥٢٩) ، و ممن صححه شيخ الإسلام ابن تيمية ، فقال في " منهاج السنة " (٤ / ٢١١) : " إن الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة ، رواها أبو داود والترمذي وأحمد و غيرهم من من حديث ابن مسعود و غيره " . و كذا في " المنتقى من منهاج الاعتدال " للذهبي ص ٥٣٤ .

(٢) رواه أحمد في مسنده : (٦٤٥) ، وابن ماجه في سننه : (٤٠٨٥) من حديث علي رضي الله عنه ، وصححه الألباني انظر: السلسلة الصحيحة: (٢٣٧١) .

(٣) رواه أبو داود في سننه : (٤٢٨٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع : (١١٦٨٢).

وأما عن مدّة بقائه في الأرض: فيقول النبي ﷺ : (يخرجُ في أمتي المهديُّ، يَسقيهِ اللهُ الغيثَ، وتخرج الأرضُ نباتها، ويُعطِي المال صحاحاً، وتكثرُ الماشيةُ، وتَعظمُ الأمَّةُ، يَعيشُ سبعاً أو ثمانياً) [١] أي تكون مدّة بقائه سبعٌ أو ثمانُ سنين، يملأ الأرض خلالها عدلاً، كما ملئت جَوْراً وظلماً، وبعد موته يظهر الشرّ والفتن العظيمة مرةً أخرى، فظهور هذا الإمام من رحمة الله عزّ وجل بالأمة في آخر الزمان، نسأل الله تعالى أن يعصمنا جميعًا من الفتن، ما ظهر منها وما بطن.

وأما مكان خروجه: فقد دلت الأحاديث على أنه يخرج من جهة المشرق، وعند خروجه لا يكون لوحده، بل يؤيده الله بأناس من أهل المشرق يحملون معه الدين، ويجاهدون في سبيله، بعد أن يبايعوه عند الكعبة، يقول ابن كثير: (ويؤيَّد بناس من أهل المشرق ينصرونه، ويقيمون سلطانه، ويُشيِّدون أركانه، وتكون راياتهم سوداء أيضاً، وهو زيّ عليه الوقار؛ لأن راية رسول الله ﷺ كانت سوداء، يقال لها العقاب) [٢]، فالمسلمون سيبايعونه، ويخوض بهم المهديّ حروباً ينتصر فيها، ويستقرّ الأمر له، ويحكم بالإسلام فينتشر العدل، وتشهد الأمة مرحلةً من الرخاء الاقتصادي لم تشهد له مثيلٌ من قبل، حتى يُطلب من يَقبل المال فلا يوجد، وتُخرج الأرض بركتها، وتُنزل السماء ماءها، ويُعطَى المال بغير عدد، قال ابن كثير رحمه الله : « في زمانه تكون الثمار كثيرة ، والزّروع غزيرة، والمال وافراً، والسلطان قاهراً، والدين قائماً، والعدو راغماً، والخير في أيامه دائماً» [٣].

(١) سبق تخريجه .

(٢) النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير .

(٣) المرجع السابق .

هذا هو المهديُّ الذي يكون خروجه في زمن كثرت فتنه، وعمّ فساده، وغلب شره، وما ذكرناه لك -أخي الكريم- من تفصيلات حياته هو مما أخبر به النبي ﷺ وثَبَتَ في أحاديث كثيرة منها الصحيح ومنها الحسن، وهي بمجموعها تشكّل تواتراً معنوياً، يُثْبِت خروجَ المهديَّ ﷺ . لكن عليك أن تعلم -أخي الكريم- أن إيماننا بخروج المهديِّ لا يدفعنا إلى ترك العمل اتكالاً عليه، وانتظاراً لخروجه، فإن النبي ﷺ ما أخبرنا به لنترك العمل، وإنما كان إخباره به من أجل أن يبعث الأمل في نفوس الصالحين، عند اشتداد الكرب وظهور الكفر وأهله؛ لئلا يلحَقهم من جراء ذلك يأسٌ أو قنوط.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله : «أمر المهدي معلومٌ، والأحاديث فيه مستفيضةٌ بل متواترةٌ متعاضدةٌ، وقد حكى غير واحد من أهل العلم تواترها، وتواترُها تواتر معنويٌ ، لكثرة طرقها واختلاف مخارجها وصحابتها ، ورواتها وألفاظها، فهي بحقٍ تدلّ على أن هذا الشخص الموعود به أمره ثابت وخروجه حق، وهو محمد بن عبد الله العلوي الحَسَني من ذريّة الحسن بن علي رضي الله عنه ، وهذا الإمام من رحمة الله عزّ وجل بالأمة في آخر الزمان، يخرج فيقيم العدل والحق، ويمنع الظلم والجور، وينشر الله به لواء الخير على الأمة، عدلاً وهدايةً وتوفيقاً وإرشاداً للناس» [1].

وقال المحدّث محمد ناصر الدّين الألباني رحمه الله : « النبي ﷺ بشّر المسلمين برجلٍ من أهل بيته ، ووصفه بصفات بارزةٍ أهمها : أنّه يحكم بالإسلام ، وينشر العدل بين الأنام

---

(١) ارجع إلى الموقع الرّسميّ للشيخ ابن باز رحمه الله ، وكان ذلك من الشيخ تعليقاً على محاضرة بعنوان : عقيدة أهل السُّنة والأثر في المهديّ المنتظر للشيخ عبد المحسن العباد .

، فهو في الحقيقة من المجدّدين الذين يبعثهم الله في رأس كل مائة سنةٍ كما صحّ عنه ﷺ ، فكما أنّ ذلك لا يستلزم ترك السعي وراء طلب العلم والعمل به لتجديد الدين ، فكذلك خروج المهدي لا يستلزم التواكل عليه وترك الاستعداد والعمل لإقامة حكم الله في الأرض ، بل على العكس هو الصَّواب !

فإنّ المهدي لن يكون أعظم سعيًا من نبينا محمد ﷺ الذي ظلّ ثلاثة وعشرين عامًا وهو يعمل لتوطيد دعائم الإسلام وإقامة دولته ، فماذا عسى أن يفعل المهدي لو خرج اليوم ، فوجد المسلمين شِيعًا وأحزابا ؟ وعلماءهم – إلا القليل منهم – اتخذهم الناس رؤوسًا ! لما استطاع أن يقيم دولة الإسلام إلا بعد أن يوحّد كلمتهم ويجمعهم في صفٍّ واحد ، وتحت رايةٍ واحدة ، وهذا بلا شك يحتاج إلى زمنٍ مديد الله أعلم به . فالشّرعُ والعقلُ معا يقتضيان أن يقوم بهذا الواجب المخلصون من المسلمين ، حتى إذا خرج المهدي ، لم يكن بحاجةٍ إلا أن يقودهم إلى النصر .. » [1] .

---

(١) انظر السلسلة الصحيحة للألباني ، في تعليقه على حديث : (١٥٢٩) .



فاطمة بنت الحسين

قد اخترتُ في هذا الفصل شخصيةً قلّما يتعرّض لها الكتّاب بالتفصيل، فأحببتُ تعطير الأذهان، بأريجٍ من عطر العظمة والقدوة، وشذى بَضعةٍ من أهل بيت النبوّة، إنّها: فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، التّابعيّة الجليلة، العالِمةُ المحدّثة، المربّية الفاضلة، الصّابرة المحتسبة؛ إنّها ابنة المجاهد، الشهيدِ السّعيد، الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (حسينٌ مني وأنا منه، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط) [1] .

أمّ عبد الله فاطمة بنت الحسين، هي دُرّةُ الفواطم بعد جدّتها فاطمةَ الزّهراء عليها السلام، بنتِ سيّد البشر صلى الله عليه وآله وسلم ، وبضعةِ رسول الله وريحانته الحسين الشهيد رضي الله عنه ، إنّها نفحةٌ طيّبةٌ من طلحة الخير والجود، ووارثةُ الحُسن والعلم والأدب من أمّهاتها وجدّاتها، سليلة النّسب الكريم، من أهل بيت النبوّة، آباءً وأمّهاتٍ، وأعماماً وأخوالاً، وأزواجاً وأبناءً وأحماءً، جمعت بين عُلوّ النسب، وشرفِ العلم، رضي الله عنها وأرضاها.

كما أنّها اتّصلت ببني تيمٍ من جهةِ أمّها، **فأمُّها**: أم إسحاق بنت طلحة بن عُبيد الله التَّيْمي أحدُ العشرة المبشّرين بالجنّة، **وإخوتها**: الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين، وعليّ الأكبر شهيد كربلاء، وعليّ الأصغر وغيرهم، **أمّا عمّها**: فهو الحسن بن علي سيّد شباب أهل الجنّة سلام الله عليه، **وأمّا عمّاتها** فـ: زينبُ عقيلة بني هاشم، وأمّ كلثوم وغيرهما، **أمّا زوجها**: فالحسن المثنّى بن الإمام الحسن السِّبط المجتبى بن علي أمير

(١) سبق تخريجه .

المؤمنين رضي الله عنهم، وأولادها هم: عبد الله المحض، وإبراهيم الغَمْر، والحسن المثلّث، وزينب، وأمّ كلثوم، وبعد موت زوجها «الحسنِ المثنّى بنِ الحسنِ بن علي»، تزوّجها عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان، وبعد موته، أبت الزواج من بعده إلى أن توفيت رضي الله عنها.

ذكر ابن عَنبة وغيره: أنّ الحسن بن الحسن لمّا أراد أن يخطب إلى عمّه الحسين رضي الله عنه إحدى ابنتَيه، قال له الحسين: «اختر يا بني أحبهما إليك، فاستحيى الحسن ولم يحر جواباً، فقال له الحسين: فإنّي قد اخترت لك ابنتي فاطمة، فهي أكثرهما شبهًا بأمي فاطمةَ بنتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم »[1]، سبحان الله! هذا الوصف الذي وصفها به أبوها: دليلٌ على مكانة فاطمة بنت الحسين في نفس أبيها، وطبعاً لا يُراد بالشّبه هنا المظهر فحسب! بل المظهَرُ والمخبَرُ: أمّا المظهر، فقد كانت فاطمة بنت الحسين من أجمل النّساء! حتى وُصفت بأنّها أشبه بالحور العين، وأمّا المَخبر: فقد تميّزت بعظيم الأخلاق، وكريم السّجايا، حتى وُصِفت بأنها: دُرّةُ فواطم بني هاشم!

وكان هذا التّزويج في السَّنة التي استشهد فيها الحسين رضي الله عنه وهي إحدى وستين للهجرة، وقد رحلت فاطمة بنت الحسين رضي الله عنها مع أبيها إلى كربلاء، وعاشت معه وقائع يوم مقتله الأليمة، وشاهدت ما جرى من الفجائعِ العظمية، التي أذهلت الدّهر وأوجمت التاريخ، فما غَرَبتْ شمسُ ذلك اليوم الرّهيب حتّى نظرت فاطمة إلى صعيد كربلاء، وإذا عليه أبوها وإخوتُها وأعمامُها وبنو عمّها، والخيرةُ الأوفياء من ذويها وأصحاب أبيها صَرْعى مُرَمَّلين! فما كان منها إلا الصّبرَ والاحتساب.

(١) سبق تخريجه.

طلع فجر الحادي عشر من المحرّم، فجاء أعوان عبيد الله بن زياد بالإبل؛ ليحملوا عليها كرائم أهل البيت إلى الكوفة، فسار بهنّ الحادي على ساحة المعركة، حيثُ الأبدان المقطّعة، والمشاهد المروِّعة، وألقت فاطمة بنت الحسين ببصرها، ووَدَّعت أباها الحسين وهي على ظهر الناقة! بعيونٍ عَبرى، وقلبٍ كئيب، فاتّجهت قافلةُ الحزن إلى الكوفة، فاستقبلها أهلها رجالاً ونساءً متفرّجين، غيرَ مكترثين بما صدر منهم نحو العترة الطاهرة! وهنا ألقت فاطمة بنت الحسين تلك الكلمات الرّنانة، التي هزّت كيان أهل الكوفة، وممّا قالته : «... يا أهل الكوفة! يا أهل المَكْرِ والغَدر والخُيَلاء، فإنّا أهلُ بيتٍ ابتلانا اللهُ بكم وابتلاكم بنا، فجعَلَ بلاءنا حَسَناً ... ألا لعنةُ الله على الظالمين! وَيْلكم! أتَدرون أيّةُ يدٍ طاعَنَتْنا منكم، وأيّةُ نَفْس نَزَعَتْ إلى قتالنا، أم بأيّة رِجْلٍ مَشَيتُم إلينا تَبغُون مُحاربتَنا ؟! والله قَسَتْ قلوبُكم، وغَلظتْ أكبادُكم، وطُبع على أفئدتكم، وخُتم على سمعكم وبصركم، وسَوّلَ لكمُ الشيطانُ وأملى لكم، وجعل على أبصاركم غِشاوةً فأنتم لا تهتدون، فتَبّاً لكم أهلَ الكوفة! ...» [1].

وبعدها حُملت فاطمةُ إلى الشام مع أختها سكينة، وعمتِها أمِّ كلثوم بنت علي، وزينب العقيليّة، فأدخِلن على يزيد، فقالت فاطمة لـ «يزيد»: يا يزيد أبناتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبايا؟ كلامٌ قويٌ، وجرأةٌ شديدة، فقال يزيد: «بل حرائرٌ كرام، أدخُلِي على بنات عمّك»، فدخلت على أهل بيته، فما وُجِدت فيهنّ سُفيانية إلا نادبةٌ تبكي [2]! ثمّ أمر بإرسالهنّ إلى المدينة المنوّرة .

---

(١) اللهوف ٦٥ -٦٧ .

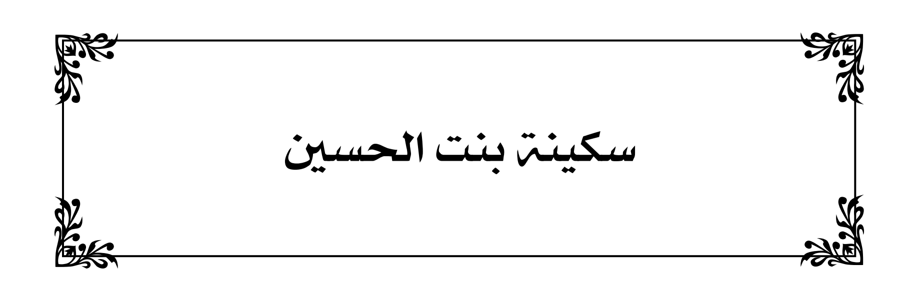
(٢) وقد مرّت .

ومن المواقف النبيلة في حياة هذه المرأة العظيمة، أنّه لمّا جهّز يزيدُ أهلَ البيت إلى المدينة، أرسل معهم رجلاً أميناً مِن أهل الشام في خيلٍ سَيّرها، صَحِبَتْهم إلى أن دخلوا المدينة.. فما كان من فاطمة بنت الحسين، المجبولة على كريمِ الأخلاق، وحُسن الأعراق، إلا أن قالت لأختها سكينة: لقد أحسَنَ إلينا هذا الرجلُ، فهل لكِ أن نَصِلَه بشيء؟

سبحان الله! مع ما مرّت به فاطمة بنت الحسين من مصيبة وبليّة، وكارثةٍ ورزيّة، إلا أنّها كانت تفكّرُ في إكرام من أحسن إليها، مع أنّه من رجال «يزيد» !.. إنّ هذا لأمر عجيبٌ! لكنّه ليس بعجيب على أهل الفضل والكرم!. قالت فاطمة لأختها سكينة : لقد أحسَنَ إلينا هذا الرجلُ، فهل لكِ أن نَصِلَه بشيء؟ فقالت: واللهِ ما معنا إلا حُلِيُّنا! فأخرَجَتَ فاطمةُ له سِوارَين ودُمْلُجيَن، وبَعَثتْ إليه بهما! فردّهما الرّجل وقال: « لو كان الذي صَنَعْتُه رغبةً في الدنيا لكان في هذا ما يرضيني؛ وإنما صنعته للهّ، ولقرابتكم من رسول الله ﷺ »[1]!

وهكذا عادت فاطمة بنت الحسين إلى المدينة، مدينة جدّها ﷺ ، وأقبلت على العبادة والذّكر ورواية الحديث، فروت عن جدّتها فاطمة الزّهراء مرسلًا، وعن أبيها الحسين رضي الله عنه وغيرهما، تُوفّيتْ رضي الله عنها سنة ١١٧ هجريّة عن عمرٍ يربو على السبعين سنة .. فسلامٌ على سليلة المصطفى، وحفيدة عليٍّ المرتضى، وعلى ابنة حسينٍ سيّد شباب أهل الجنة، وعلى المرأة الطاهرة العالمة، مِن أهل بيت النبوّة والرسالة.

(١) الدرّ المنثور في طبقات ربّات الخدور لزينب بنت عليّ الفوّاز العامليّ ٣٦١ .



سكينة بنت الحسين

سنقف في هذا الفصل -بمشيئة الله تعالى- على حياة الشريفةِ الطاهرة، والزهرةِ الناضرة، والزاهدةِ العابدة، ذاتِ الجمالِ الباهر، والعقلِ الوافر، سيدةِ نساء عصرها، وأحسنِهنّ أخلاقاً، وأنبلِهنّ فِعالاً، وأجملِهن خصالاً، وأطيبِهن شمائل، إنّها: سُكينةُ بنت الحسين. قال الإمام النووي عنها: كانت سكينة من سيدات النساء، وأهل الجود والفضل، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وعن آبائها [(١)] .

وُلدت السيّدة سُكينة سنة سبع وأربعين من الهجرة، وسُمِّيت «آمنة» على اسم جدتها آمنة بنت وهب، وفي رحاب البيت النبوي نشأت آمنة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، ولما كانت في مراحل طفولتها الأولى، لقَّبَتْها أمُّها باسم سُكينة، وغلب عليها هذا اللقب، وغَدت لا تُعرَف إلا به [(٢)]. وفي الثلث الأخير من حياتها اشتغلت بتعليم المسلمين، حيثُ شربت من بيت النبوة أفضل الأخلاق، فوُصِفَتْ بالكرم والجود، وأحبَّت سماع الشعر، فكان لها في ميادين العلم والفقه والمعرفة والأدب شأنٌ كبير!

وكانت أم سُكينة، واسمها: الرَّباب بنتُ امرىء القيس الكلبيّة، وقد تزوّجها الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لأنها كانت من خيارِ النساء وأفضلِهنّ، وقد ولدت للحسين بن علي: عبد الله، وبه كان يُكنى الحسين، وسُكينة التي نتحدث عنها الآن، وكان سيدنا الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١/ ١٦٧) .

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/ ٣٩٤) .

يأنس إلى طفلته سُكينة، التي كانت مبعث الأُنس له، ومنبع الحنان، كما يسكن إلى أمّها الرّباب التي كانت تُعِيره كلّ رعاية واهتمام، ولما عُوتِب الحسين من أقاربه في اهتمامه المفرط بسُكينة والرَّباب، قال [1]:

لعَمـــرك إننـــي لأُحـــب داراً * تكـــون بهـــا سُـــكينة والرَّبـــابُ
أحـــبُّهما وأبـــذل جُـــلَّ مـــالي * ولـــيس للائمـــي فيهـــا عتـــابُ
ولـــست لهـــم وإن عَتَبـــوا مُطيعـــاً * حيـــاتي أو يُغيِّبنـــي التـــرابُ

ولما شبَّت سُكينة، أضحت في المجتمع القرشي من سيّدات النساء، وحظيت بالشهرة العالية التي لم تلحق بها امرأة في عصرها؛ لِما اشتهرت به من حُسْنٍ وأدبٍ وعلمٍ، فملأت الدنيا وشغلت الناس، وفوق هذا وذاك، كانت من التابعيات اللواتي حفظن حديث رسول الله ﷺ ورويته، وكيف لا؟ وهي حفيدة الزَّهراء، وسليلة بيت النبوة الطاهر الكريم. وقد خرجت سكينة مع أبيها الحسين ﵁ إلى العراق، وعمرها آنذاك أربعة عشر عامًا، وعلى بُعد ثلاثة أميال من كربلاء، ظهر جيش عدده خمسة آلاف مقاتل! أمر بتجهيزه عبيد اللهَّ بن زياد، وكان الحسين ﵁ قد خرج متوجهًا إلى العراق في ركبٍ قليلٍ، وكانت معه ابنته، فجمع أهله وأمرهنّ ألا تشقق إحداهن عليه جيبًا، ولا تخمش وجهًا، ولا تَقولَ هجرًا، فبكت سكينة، وعندها التفت الحسين إلى ابنته سكينة وقال :

سيطولُ بعدي يا سكينةُ فاعلمي * منـك البكـاءُ إذا الحِـمام دهـاني
لا تحرقـي قلبـي بـدمعك حسـرةً * مـا دام منـي الـرُّوحُ في جـثماني
فـإذا قُتِلـتُ فأنـتِ أولى بالـذي * تأتـينَه يـا خـيرة النـسوان

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ٢٠٩ -٢١٠).

ولما اشتد القتال بين قافلة الحسين التي تجاوزت السبعين بقليل، وبين ذلك الجيش الذي كان عدده خمسة آلاف مقاتل، وسرعان ما طوّق الجيش قافلة الحسين وفتك بها، ومعها قتل الحسين ..!! وفي ذهولٍ وقفت سكينة تنظر إلى البقايا والأشلاء، ثم ألقت بنفسها على ما بقي من جسد أبيها، لتلقي عليه النظرة الأخيرة، وعانقته عناقَ وداعٍ أخير، ثم رثته قائلةً :

إنّ الحسينَ غداةَ الطفِّ يرشقه * ريبُ المنون فما أن يُخطِئَ الحَدَقة

يا عين فاحتفلي طولَ الحياة دماً * لا تبكِ وُلْداً ولا أهلاً ولا رفَقَة

لكن على ابن رسول الله فانسكبي * قيحاً ودمعاً وفي إِثْرَيهما العَلَقة

وقد كانت سكينة امرأةً صالحة، ذات خُلُق قويم كريم، يزيّنها أدبٌ وحياءٌ وعلم، ويحلّيها ذكاء وفهم وحسن، قال عنها الذهبي: «كانت شَهْمةً مهِيبة» [1]. وجمعت ـ كذلك ـ المجد من جميع جوانبه: خَلْقاً وخُلقاً، حسباً ونسباً، علمًا وديناً، تزوجها ابن عمها عبد الله بن الحسن الأكبر، فقُتل مع أبيها في كربلاء، قبل الدخول بها، فخطبها مصعب بن الزبير [2]. الذي وصفه ابن كثير بأنه كان من أحسن الناس وجهاً، وأشجعهم قلباً، وأسخاهم كفاً [3].

وقد كانت لمصعب بن الزّبير مكانةٌ عظيمةٌ في نفس سكينة بنت الحسين، فلما دخل في حربٍ مع عبد الملك بن مروان شعرت سكينة بقرب فراقه، فبكته قبل ذَهابه،

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٥/ ٢٦٣) .
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (٥/ ٢٦٢) .
(٣) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ٣١٧) .

وذكر ابن كثير نقلاً عن الخطيب البغدادي أنّ سُكينة كانت مع مصعب في الوقعة التي قتل فيها، فلما قُتل زوجها مصعب، طلبته في القتلى، فما عرفته إلا بشامةٍ في خده، فقالت: نِعم بعلُ المرأة المسلمة كُنتَ، أدركك والله ما قال عنترة (١):

وخليــلُ غانيــةٍ تركــتُ مجــندلاً * بـالقـاع لم يعــهـد ولم يتثلَّمِ ليـس

فهَـتَكْتُ بالرُّمـح الطويـل إهابَـه * الكـــريمُ عـــلى القنـــا بمـــحرمِ

وقد رثت زوجها مصعباً أحرّ رثاء فقالت :

فـإن تقتلـوه تقتلـوا الماجـدَ الـذي * يرى الموتَ إلا بالـسُّيوفِ حـراما

وقبلـك مـا خــاضَ الحسين منيَّة * إلــى القـوم حتـى أوردوه حِمــاما

وبعد ما قتل زوجها مصعب بن الزّبير، خرجت تريد المدينة المنورة، فأطـاف بهـا أهل الكوفة فقالوا: أحسن الله صحابتك يا بنت رسول الله ﷺ ، فقالـت سُـكينة: «والله لقد قتلتم جدي – تقصد علياً رضي الله عنه – وأبي وعمي وزوجي مصعباً.. أيـتمتموني صـغيرة، وأرملتموني كبيرةً، فلا عافـاكم الله مـن أهـل بلـد، ولا أحـسن علـيكم الخلافـة» (٢) . ثـم خرجت ويمّمت وجهها تلقاء المدينة المنورة.

وقد كانت سُكينة بنت الحسين، تعتَزُّ كثيراً بنسبها العالي وشرفها الرفيع، وتستطيع بما أوتيت من فصاحة وبلاغة وبيان أن تؤكد ذلك، ومن الأخبار التي تشير إلى هذا: أن سُكينة كانت مرةً مع ابنةٍ لسيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه في أحد المجالس،

(١) البداية والنهاية (٨/ ٣٢٥) .

(٢) كتاب الأغاني (١٦/ ١٦٧) .

فافتخرت ابنة عثمان قائلة: أنا ابنة الشهيد! فسكتت سُكينة، ولم تُعلِّق على قولها، وبعد قليل نادى المنادي للصلاة من المسجد النبوي الشريف، ولما بلغ المؤذن إلى قوله: «أشهد أن محمداً رسول الله»، عندئذ التفتت سُكينة إلى ابنة عثمان وقالت : هذا أبي أو أبوك؟ فقالت ابنة عثمان: لا أفخر عليكم أبداً!

ويبدو من الأخبار التي وصلتنا عن سكينة أنّ الفخر كان من أخلاقها، التي لا تستطيع أن تتخلى عنه لحظة من اللحظات؛ إذ كانت تقابل مَن تفاخرها بذكر رسول الله ﷺ ، وتقيم عليها الحجة دون أن تُقلِّلَ من مكانته، رُويَ أنها حجت مرةً مع ضَرَّتها عائشة بنت طلحة، وكان مع عائشة ستون بغلاً، عليها الهوادج والرَّحائل، فقال حادي عائشة مفتخراً:

عائـش يا ذات البِغال الستِّين * لا زلـتِ ما عشت كذا تحجِّين

فما كان من سكينة -رحمها الله- إلا أن أمرت حاديها أن يردَّ على هذا فقال:

عائـش هذه ضرةٌ تشكـوكِ * لـولا أبوهـا مـا اهتدى أبوكِ

عندئذ أمرت عائشة بنت طلحة أن يكفّ عما يقول، فكفّ وامتنع! وكفت عائشة أدباً وإذعاناً لسيدنا رسول الله ﷺ ، وإحقاقاً للحق والصدق، ولم يكن فخر سكينة بنسبها بالأمر الذي يجعلها متكبّرةً على غيرها، ولا متكلةً في ترك العمل والعبادة على ذلك النسب أبدًا، فلقد وصفت سُكينةُ بالعبادة والزهد، والطاعة والاجتهاد فيها؛ لعلمها أنّ من بطّأ به عملُه لم يُسرِعْ به نسبُه! وإنّما افتخارها بنسبها الشّريف، كان دائماً يأتي جواباً وردًّا على من يحاول الافتخار عليها.

وقد امتدَّ بها العمر حتى أطلت على الثمانين، وفي مدينة رسول الله ﷺ وافاها الأجل، ويُحَدِّد ابن خلكان تاريخ وفاتها بدقةٍ فيقول: كانت وفاة سكينة بالمدينة يوم الخميس، لخمس خَلَوْن من شهر ربيع الأول سنة ١١٨هـ رضي الله عنها [١].

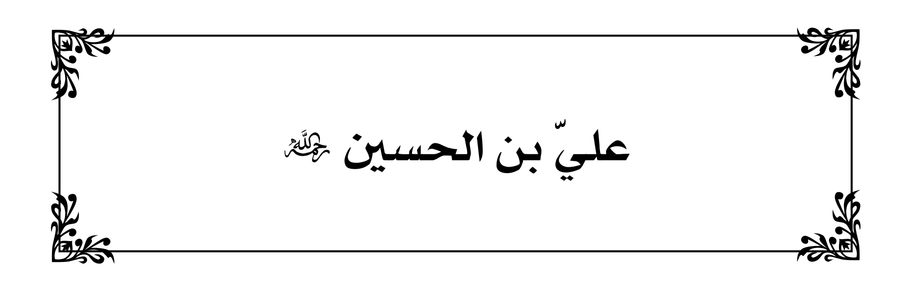
توفيت سكينة بنت الحسين، وعلى المدينة خالد بن عبد الله بن الحارث بن الحكم، فقال: انتظروني حتى أصليَ عليها، وخرج إلى البقيع فلم يدخل حتى الظهر، وخشوا أن تتغير فاشتروا لها كافوراً بثلاثين ديناراً، فلما دخل أمر شيبةَ بن نصَّاح [٢] فصلّى عليها، قُدِّم لفضله [٣].

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/ ٣٩٦-٣٩٧) .

(٢) شيبة بن نصاح مولى أم سلمة قاضي المدينة، ترجمته في تهذيب الكمال (١٢/ ٦٠٨) .

(٣) الطبقات لابن سعد (٨/ ٤٧٥)، وتاريخ دمشق (٦٩/ ٢١٧) .



عليّ بن الحسين رحمه الله

وقفتنا اليوم .. مع رجلٍ كان من أعبد أهلِ زمانه، حباه الله جملة من الأخلاق لا يجتمع مثلها إلا لعظماء الرجال، عَبَدَ الله فأخلص العبادة، حتى لقَّبه أهل زمانه بـ «زين العابدين» سيد الهاشميين في عصره ، وإمام الطالبيّين في زمنه ، أبوه شهيد، أمه بنت ملك كسرى ! وجدّه خليفة ! وجدّته أفضل النّساء ! ووالد جدّته نبيّ ! أظنّكم عرفتموه ؟ إنه أبو الحسين زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، هو البقية الباقية، وفيه البيت والعدد والخلافة .

قُتل جميعُ إخوته في كربلاء وبقي هو، وكان يومئذٍ مَوعُوكاً، فلم يقاتل ولا تعرّضوا له، بل أحضروه مع آله إلى دمشق، فدخل على يزيد وحاوره، فما كان من يزيد إلا أن ردّه مع آله إلى المدينة ، سئل مرّةً عن كثرة بكائه، فقال : « لا تلوموني ، فإنّ يعقوب فقد سبطًا من ولده فبكى حتى ابيضت عيناه ولم يعلم أنه مات، وقد نظرتُ إلى أربعة عشر رجلاً من أهل بيتي في غزاةٍ واحدة ! أفترون حزنهم يذهب من قلبي ؟ »[(١)]، وكان عمره يوم كربلاء ثلاثاً وعشرين سنة، وعاش بعد ذلك خمساً وثلاثين سنة، كلها مليئةٌ بالبذلِ والإحسان، والجودِ والإكرام .

---

(١) حلية الأولياء : (٣/ ١٣٦) .

فقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ من العلماء العاملين، ومن الفضلاء التابعين، حتى قال عنه الزّهري: «ما رأيت قرشيًّا أفضل من علي بن الحسين، وما رأيت أحداً كان أفقه منه» [(١)]، وقال عنه الذّهبي في سير أعلام النبلاء: «وكان علي بن الحسين ثقةً، مأمونًا، كثير الحديث عاليًا، رفيعاً، ورعاً»، جاء رجلٌ إلى سعيد بن المسيِّب فقال له: ما رأيت أورع من فلان، قال: هل رأيت علي بن الحسين؟ قال: لا، فقال سعيد بن المسيِّب: ما رأيت أورع منه! [(٢)].

وكان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ شديد الحرص على التعلّم، يُصاحب العلماءَ، ويجالسُ الموالي ممن له سبقٌ في الإسلام، وهو يقول: «إنما يجلس العاقل حيثُ ينتفع»، حتى قيل له -مرة وهو يجلس في حلقة زيد بن أسلم وكان من الموالي-: «أتجالسُ هذا العبد؟ فقال: العلم يُطلَب حيثُ كان» [(٣)]، ومن تواضعه في جانب روايةِ العلم: ما ذكره الزّهري، أنّه حدّث عليَّ بن الحسين بحديثٍ، فلما فرغ الزّهري قال له علي زين العابدين: أحسنت! هكذا حدَّثناه، قال الزّهري: ما أراني إلا حدثتك بحديثٍ أنت أعلم به مني، قال زين العابدين: «لا تقل ذاك، فليس ما لا يُعرف من العلم، إنّما العلم ما عُرِف، وتواطأت عليه الألسُن» [(٤)].

وذكر ابن الجوزي في كتابه: «صِفةِ الصَّفْوة» عن عبد الرحمن بن حفص القُرشي، قال: «كان علي بن الحسين إذا توضأ يَصْفَرُّ لونه، فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فيقول: أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟» سبحان الله! إنّها الخشية والمراقبة واستشعار عظمة الله، سبحانه وتعالى. واسمعوا إلى قول عبد الله بن أبي سالم حيث يقول:

---

(١) تاريخ دمشق: (٤١/ ٣٦٦)، تهذيب الكمال: (٢٠/ ٣٨٤).
(٢) حلية الأولياء: (٣/ ١٤١).
(٣) ذكره ابن سعد في الطبقات الكبرى: (٥/ ٢١٦) وابن عساكر في تاريخ دمشق: (٤١/ ٣٦٩).
(٤) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٧٦).

«كان علي بن الحسين إذا قام إلى الصلاة أخذته رِعْدة!» سبحان الله! خشيةٌ عظيمة من الباري، واستحضارٌ للوقوف بين يديه في الصّلاة، نعم. العبادة على هذه الهيئة هي التي تترك أثرًا على العبد وتصرّفاته، وتلك هي الصّلاة التي تَنهى صاحبَها عن الفحشاء والمنكر.

ووقع مرَّة حريقٌ في بيتٍ فيه علي بن الحسين وهو ساجدٌ، فجعلوا يقولون: يا ابن رسول الله ! النّار. يا ابن رسول الله ! النار. فما رفع زينُ العابدين رأسَه حتى أُطفِئت، فقيل له: «ما الذي دهاك عنها؟ قال : ألهتني عنها النارُ الأخرى» [1] الله أكبر! الله أكبر!.

مَناقبٌ كنجومِ اللَّيلِ ظاهرةٌ * قَد زَانها الدِّينُ والأَخلاقُ والشِّيَمُ

أما عِنايته بالفقراء والمحتاجين فهي لا تكاد تُوصَف، كان إذا أتاه السائل رَحَّب به، وقال: «مرحباً بمن يحمل زادي إلى الدار الآخرة» [2]، ودخل «علي بن الحسين» على «محمد بن أسامة بن زيد» في مرضه، فجعل محمد يبكي، فقال: «ما شأنك؟ قال: عليَّ دين قال: كم هو؟ قال: خمسة عشر ألف دينار. قال: فهو عليَّ» [3]، سبحان الله! هكذا كانت حياته : بذلٌ وإحسان، كرمٌ وعطاءٌ، فزينُ العابدين ما لُقِّب بهذا اللقب إلا وهو قد بلغ منزلةً عاليةً، ومكانة ساميةً في بساتين العبادة وميادين الخير، فيا مسلم! أرأيت رجلاً يقوم بالسؤال عن الفقراء والمساكين وإيصال ما يحتاجونه إليهم كما كان يفعل زين العابدين؟!

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (١/٢٣٤٨) .

(٢) صفة الصفوة (٢/ ٩٥) .

(٣) حلية الأولياء (٣/ ١٤١) .

قال محمد بن إسحاق: «كان ناسٌ من أهل المدينة يعيشون، لا يدرون من أين معايِشُهم ومآكلُهم، فلما مات علي بن الحسين، فقدوا ما كانوا يُؤتَون به ليلاً إلى منازلهم»[(١)]، حتى قال بعض أهل المدينة: «ما فقدنا صدقة السر إلا بعد موت زين العابدين»[(٢)]، وقد أُحصي بعد موته عددُ من كان يقوتهم سرًا، فكانوا نحو مئة بيت! ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ٨-١١] .

ومن مواقفه العظيمة ، الدّالة على فطنته وحُسن جوابه : أنه سأله رجلٌ قائلاً : ما كان منزلة أبي بكر وعمر من النبي ﷺ ؟ فقال زين العابدين : كمنزلتهما الساعة ، وأشار بيده إلى القبر[(٣)].

وأما جانب عفوه عمّن أساء إليه، فله القدح المعلّى، كلَّمه رجلٌ يومًا فافترى عليه، فما كان من عليٍّ زين العابدين إلا أن قال: «إن كنا كما قلتَ فنستغفرُ الله، وإن لم نكن كما قلتَ فغفر الله لك، فقام إليه الرجل، فقبَّل رأسه، وقال: جُعِلتُ فداك! لستَ كما قلتُ أنا، فاغفر لي، فقال علي: غفر الله لك، فقال الرجل: الله أعلم حيثُ يجعل رسالته»[(٤)].

---

(١) رواه الإمام أحمد في الزهد (١/ ١٦٦)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ١٣٦) ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤١/ ٣٨٣) .
(٢) حلية الأولياء (٣/ ١٣٦) .
(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ٢/ ٢٦٧ .
(٤) صفة الصفوة (٢/ ٩٥) .

وكان الزّاهدُ زينُ العابدين كثيرَ الدعاء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكان يقول في بعض أدعيته: «اللهمَّ لا تكِلني إلى نفسي فأعجز عنها، ولا تكِلني إلى المخلوقين فيضيِّعوني» [(١)]، وقد بلغ زين العابدين مبلغًا عظيمًا في برّه بأمّه، حتى أنّه كان لا يأكل معها في إناءٍ واحدٍ، فقيل له: «إنك من أبرِّ الناس بأمك، ولسنا نراك تأكل معها في صحفة! فقال زين العابدين علي: أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبَقَت إليه عينها، فأكون قد عقَقْتُها» [(٢)]. سبحان الله! بِرٌّ ما بعده بِرٌّ ! قال الشاعر الأديب الفرزدق :

هذا الذي تَعرفُ البطحاءُ وطأتَهُ * والبيتُ يعرفُه والحِلُّ والحَرَمُ
إذا رَأتـه قُريشٌ قال قائلها: * إلى مكَارم هذا يَنتهي الكَرمُ
هذا ابنُ فاطمةٍ إنْ كُنتَ جَاهِلَهُ * بجدِّه أنبياءُ الله قَد خُتِمُوا
إنْ عُدَّ أهلُ التقى كانوا أئمتَهم * أو قيلَ من خيرُ أهلِ الأرض قيلَ هُمُ
هذا ابنُ خيرِ عبادِ الله كلِّهِمُ * هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العَلَمُ هذا
يُنمى إلى ذروةِ العزِّ التي قَصُرتْ * عن نَيلِهَا عَربُ الإسلامِ والعَجَمُ
من معشَرٍ حبُّهم دينٌ وبغضُهم * كفرٌ وقربُهم مَنجَى ومُعتَصَمُ
وليسَ قولُك من هذا بضائِرِه * العُرْب تعرفُ من أنكَرْتَ والعَجَمُ

قال الفرزدق هذه القصيدة يوم أن حجَّ عليُ بن الحسين زينُ العابدين، فما أن سمع الناس باسمه، ورأوا هيئته وصورته، حتى وسّعوا له الطريق، فقال يومها هشام بن عبد الملك: **من هذا ؟** فكانت هذه القصيدةُ الشّعرية، والمقطوعةُ الأدبية جوابًا لكلّ من جهل

(١) تاريخ دمشق (٤١/ ٣٨٢).
(٢) وفيات الأعيان (٣/ ٢٦٨).

أمثالَ هؤلاء الرجالِ العظام، والعلماءِ الأعلام، التي أعْرب بها الفرزدق عن مدى حبِّ الناس لآل بيت رسول الله ﷺ .

تَرى المحبّين صَرْعَى في ديارِهمُ * والحبُّ يقتلُ أحياناً بِلا قَوَد

من أولاده : الحسن ، ومحمد الباقر، وعبد الله الباهر، وعمر الأشرف، وزيد الإمام الشهيد ، والحسين الأصغر، وعلي بن علي بن الحسين، وعبد الرحمن. ومحمد الأصغر ، والقاسم ، وعيسى ، وسليمان ، وعبد الله الأصغر ، وداود، وله من البنات ثمان : خديجة كانت عند محمد بن عمر الأطرف، وأم الحسين، وعبدة، وفاطمة، وأم كلثوم، وعلية ،وزينب [(١)].

(١) الشجرة المباركة للرازي ص٢٠ .



زيد بن علي بن الحسين رحمه الله

إن من أفضلَ القربِ : رِعايةُ حقوقِ أهل الرُّتَب، ومن الرُّتَبِ العاليةِ الكريمةِ: رتبةُ أهل البيت الأصفياء، فإن أهلَ بيت المصطفى ﷺ قد ندب الشّرعُ الحنيفُ إلى ذكرِ فضلهم، ورعايةِ حقوقهم من وجوهٍ ليس بها خفاء، لكن ما يُحزننا الآن أنّ بعض المسلمين -اليوم- يعرفون عن رموز الغرب، أكثرَ ممّا يعرفونه عن عظماء المسلمين، الذين شادوا بدمائهم الأمّة الإسلامية، ورفعوا على أجسادهم قوائمها؛ ولأجل تصحيحِ هذا الخلل، وإبطالِ هذا الدَّغل كانت هذه الفصول المتسلسلة عن عظماء أهل البيت رضي الله عنهم ، وفي هذا الفصل ـ بإذن الله ـ سنقف معكم أمام علم من الأعلام، من أئمة الآل الكرام، وألا وهو زيد بن علي رضي الله عنه .

والإمامُ « **زيدٌ** » هو أحد أبناء عليٍّ زينِ العابدين بنِ الحسينِ بنِ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، أبو الحسين العلويُّ الهاشميُ القرشيُ، وهو أخو محمّد الباقر، وُلد سنة ثمانين للهجرة تقريبًا، ونشأ «زيدُ بن عليٍّ» في أحضان الأسرة الهاشمية، فأبوه كما لا يخفى هو «زينُ العابدين»، وارث علمِ أبيه الحسين، وعمّه الحسن، وعمّه محمدِ بنِ الحنفيّة، ومن حوله مِن أولاد عمّه، الذين يقصدهم النّاس، ويتلقّون منهم حقائق العلمِ، وآداب الدّين، فالبيت العلويّ بيتُ علمٍ ودين، وفيه نشأ «زيدُ بن علي».

روى الحديث عن أبيه عليٍّ زين العابدين، وأخيه محمدٍ الباقر، وعروة بن الزبير، أمّا الذين تلقّوا العلم عن زيد بن علي، فهم كثُر، منهم: ابن أخيه جعفر الصّادق، وشعبة،

وفضيل بن مرزوق، والمطّلب بن زياد، وسعيد بن خثيم، وابن أبي الزناد، وغيرهم كثير، وقد برز «زيد بن علي» في العلم بروزًا، حتى قيل : إن أبا حنيفة النّعمان أثنى عليه، فقال: «ما رأيت في زمانه أفقه منه، ولا أسرعَ جوابًا ، ولا أبينَ قولاً» [١]، وناهيكم بشهادة فقيه العراق هذه! فهي تدلُّ دلالةً قاطعةً على مدى ما وصل إليه الإمام «زيدُ بن علي»، من منزلةٍ علميّةٍ عالية، ومقدرةٍ فقهيةٍ بالغةٍ.

تُوفِّي والد «زيدٍ» عام أربعٍ وتسعين، ولزيدٍ من العمر أربعة عشر عامًا، فظلّ زيدٌ في رعاية أخيه محمدِ الباقر، فأكرمه واعتنى به، وأحبّه حبًّا شديدًا، وكان ينظر إليه على أنّه عمادٌ من أعمدةِ أهل البيت، ولم يقتصر تلقّي الإمام زيدٍ العلمَ على يدِ علماء أهل البيت الذين عاصروه، ولكنّه كان يطلب العلم من مظانّه وأماكنه، ويرحلُ إليه في نواحيه، فهو لم يكتفِ بعلم أهل المدينة، مع أنّ المدينة كانت مقصودةً من جميع الجهات، لكنّه أثرى بلقاء العلماء ثراءً فكريًّا عميقاً، وأخذ يتنقّل بفكره وعلمه في أقاليم العراق والحجاز، ويذاكر العلماء فيما درسه وتلقّاه، قال عنه الحافظ الذّهبي في سيره: «كان ذا علمٍ وجلالةٍ وصلاحٍ، هفا وخرج، فاستُشهد» [٢] ، ومسألة خروجه واستشهاده، سنتعرّض لها بعد قليلٍ، بإذن الله تعالى.

وإليكم شهادةَ رجلٍ من أهل البيت رضي الله عنهم مشهودٍ له بالعلم، ألا وهو تلميذُه جعفرُ الصّادق بنُ محمدِ الباقر، حيث قال في الثّناء على الإمام زيدِ بن علي: «... كان – والله– أقرأَنا لكتاب الله، وأفقهنا في دين الله، وأوصلَنا للرحم، ما تَرَكَنا وفينا مثله»

(١) الأعلام للزركلي (٣/ ٥٩) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٨٩) .

(١)فرحمه الله ورضي عنه، وكانت له آراءٌ في السّياسة والفقه، ولا ضير في ذلك، فقد كان الإمام زيدٌ فقيهًا عالمًا، من أئمة الدّين والهدى، ولذلك قال الشيخ أبو زهرة: «إنّ الإمام زيدًا أولُ إمامٍ من أهل البيت بعد الإمام الحسين، يخرج إلى النّاس حاملاً رأيًا يدعو إليه، منتهجاً لنفسه سبيلاً في الدّعوة» (٢).

وأثناء مطالعتي لسيرة هذا الإمام العظيم، شدّ انتباهي صفةٌ قد طغت على كثيرٍ من أفعاله وأقواله، ألا وهي صفةُ الإخلاص والصّدق: إخلاصٌ في العقيدة، وإخلاصٌ في القول، وإخلاصٌ في العمل، وإخلاصٌ في الموقف! أكسبه هذا الإخلاصُ نورًا في وجهه، حتى قال بعض معاصريه: «كنت إذا رأيت زيدَ بنَ عليّ، رأيت أساريرَ النّورِ في وجهه» (٣)، ومن تقواه أنّه كان ملازمًا للقرآن الكريم ، لا يكفُّ عن تلاوته والتدبّر في معانيه، كما قال عنه جعفرُ الصّادق : «... كان والله أقرأنا لكتاب الله، وأفقهنا في دين الله».

ومن إخلاصه رَحِمَهُ اللهُ : أنّه كان يضعُ أمّةَ محمدٍ ﷺ في المرتبة الأولى، وكان في كلّ أموره يُراعي ذلك! فقد كان الإمام زيدٌ يعمل لمصلحة المسلمين، وجمعِ شملهم وإصلاح ما بينهم! وأقواله شاهدةٌ على ذلك، حيث كان رَحِمَهُ اللهُ يقول لأنصاره: «اخرُجُوا من الذّلِ إلى العزِّ، ومن الشّقاء إلى السّعادة، ومن الضّعة إلى الرفعة ..» ، هذا هو منهج أهل البيت رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ : الحرصُ على وحدة المسلمين، وجمع كلمتهم، وممّا يجسّد هذا المعنى في حياته : ما ذكره البابكي – وهو أحد أصحابه – واسمه عبد الله بن مسلم بن بابك، قال: « خرجنا

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٩٠) .

(٢) انظر كتاب : (الإمام زيد) لمحمد أبي زهرة رَحِمَهُ اللهُ .

(٣) صاحب هذه المقولة هو خصيب الوابشي على ما ذكره أبو الفرج في مقاتل الطالبيين ص ٣٦ .

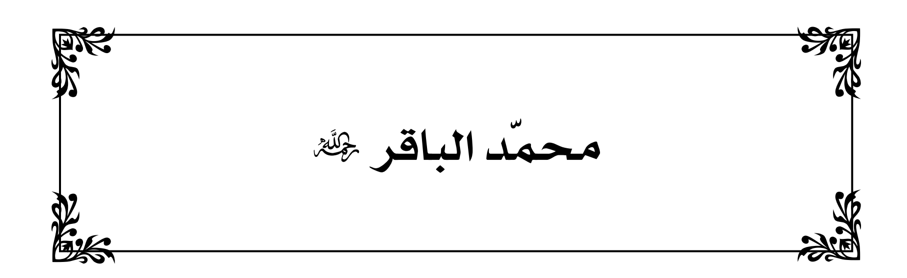
مع زيدِ بن عليٍّ إلى مكة ، فلما كان نصف الليل واستوت الثُّريا ، فقال: يا بابكي .. أما ترى هذه الثّريا؟ أترى أحدًا ينالها؟ قلتُ : لا .. قال : والله لوددتُ أنّ يدي ملتصقةٌ بها، فأقعُ إلى الأرض، أو حيث أقعُ، فأقطّعُ قطعةً قطعةً، وأنّ الله يجمعُ أمّةَ محمد ﷺ »[1] !

هذا الثَّناءُ الَّذي ما صَاغَه كَلِمٌ * وهَا هُو المجْدُ عندَ البابِ يزدحمُ

سبحان الله! هل سمعتم بأمنيةٍ أغلى من هذه الأمنية؟ وهل لامسَ أسماعَكم حُلْمٌ أرقى من هذا الحُلْم؟ إنّهم أهل البيت رضي الله عنهم، وهذه مدرستهم، وتلك أمنيتُهُم، وهذه غايتهم: جمعُ أمة محمد ﷺ ، ولمُّ شملهم ، وتوحيدُ صفوفهم ! ... فالله الله ... يا محبّي أهل البيت في الحرصِ على وحدة المسلمين، والسّيرِ على نهج أئمةِ أهل البيت رضي الله عنهم .

هذا .. وإنّ أشدّ مرحلةٍ من مراحل حياة هذا الإمام، هي مرحلةُ استشهاده رضي الله عنه ، ويتلخّص هذا الأمر في أنّ جماعةً وشوا بالإمام زيدٍ إلى هشام بن عبد الملك، أنّه يريد الخروج عليه، فدعاه هشام، وقال له: قد بلغني عنك كذا؟ فقال زيدٌ: ليس بصحيح، قال هشام: قد صحّ عندي، قال زيدٌ: أحلف لك؟ قال هشام بن عبد الملك: لا أصدقك، وهنا قال الإمام زيدٌ: إن الله لن يرفعَ من قدرِ من حُلِف له بالله فلم يصدِّق، فغضب هشام بن عبد الملك، وقال له: اخرج عني، فقال زيدٌ: إذًا لا تراني إلا حيثُ تكره ! فأتاه قومٌ من الكوفة، فقالوا له: «ارجع نبايعُك»، وللأسف أنّه أصغى إليهم وعسكر، فبرز لحربه عسكر يوسف والي العراق، فقُتل في المعركة، ثم صلب أربع سنين! علّق الحافظ الذهبي قائلاً: «خرج متأوّلاً، وقُتل شهيداً، وليته لم يخرج»[2]!

(١) انظر المرتضى للندوي ص ٢٢٩ ، نقلاً عن مقاتل الطالبيين ص ١٢٩ .
(٢) سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٩١) .



محمّد الباقر رحمه الله

حديثنا في هذا الفصل عن علمٍ عظيمٍ من أعلام العِترة النبوية، من ذرية رسول الله ﷺ خير البرية.. فمن شَجرة آل البيت الباسِقة الأغصان، الوارِفَة الظِلال، نُسَلِّط الضوء في هذه الحلقةِ -إن شاء الله- على غُصنٍ من أغصانها، شَذا عِطرُه يفوح، ونور عِلمه يغدو ويروح ألا وهو السيّد محمد الباقر، ابنُ شامةِ الزاهدين زينِ العابدين عليِ بنِ الحسين بنِ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، فأرْعُوني قلوبكم قبل أسماعكم؛ لأنكم أمام إمامٍ جليلٍ، ليس له مكانٌ من القلبِ إلا في سُويدائه، ولا من الفؤادِ إلا في أعماقه.

وُلد الإمام محمّد الباقر سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِيْنَ من الهجرة، وكانت ولادته بالمدينة، وتوفي بالحميمة ودفن بالمدينة، كان ناسكاً عابداً، له في العلم وتفسير القرآن آراء وأقوال، وهو من كبار علماء التابعين، كان إماماً مجتهداً، تالياً لكتاب الله، كبير الشأن، جليل القدر، عظيم المنزلة، اتّفق الحفّاظ والعلماء على الاحتجاج به، وعَدَّه المحدثون من فقهاءِ التابعين العظام، وأئمتِهم الكرام، وقد بلغ في العلم درجةً عاليةً سامية، حتى إن كثيراً من العلماء كانوا يرون في أنفسهم فضلاً وتحصيلاً، فإذا جلسوا إليه، أحسُّوا أنهم عِيالٌ عليه! وتلاميذٌ بين يديه! ولذلك لُقِّب بالباقر: من بَقَر العلم أي شَقَّه، واستخرج خفاياه ! وفيه يقول القرطي [(١)] :

يا باقرَ العلم لأهل التقى ❋ وخيرُ من لبّى على الأجبل

(١) تاريخ دمشق (٥٤/ ٢٧١) .

كما كان الباقر رضي الله عنه إضافةً إلى سَعةِ علمه، كان زاهداً عابداً، من سادات الموحِّدين، ومن أئمَّة العبَّاد الزّاهدين، فقد روي عنه أنه «كان يصلي في اليوم والليلة مائة وخمسين ركعة» [(١)].. لم يركن إلى نسبه، ولا خَلَدَ إلى حَسبِه، بل شمَّر واجتهد، وتعبَّد وزهِد .. وكان يقول: «هل الدنيا إلا مركبٌ ركبتُه، وثوبٌ لبستُه» [(٢)]، قال عنه الحافظ الذّهبي: «كَانَ أَحَدَ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ العِلْمِ وَالعَمَلِ، وَالسُّؤْدُدِ وَالشَّرَفِ، وَالثِّقَةِ وَالرَّزَانَةِ، وَكَانَ أَهْلاً لِلْخِلاَفَةِ» [(٣)]، وقد تزوج محمّد الباقر من ذريّة الخليفة الرّاشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، تزوّج أمّ فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وقال وهو يعاني سكرات الموت رحمه الله: « اللهم إني أتولّى أبا بكر وعمر، اللهم إن كان في نفسي غير هذا، فلا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم » [(٤)].

وقد تواتر عنه تعظيمه للخليفتين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، على خلاف ما أشاع عنه أهل العراق، فقد قال لجابر: « يا جابر بلغَني أنّ قوماً بالعراق يزعمون أنهم يحبُّوننا ويتناولون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، ويزعمون أني أمرتهم بذلك ! فأبلغهم أني إلى الله منهم بريء، والذي نفسُ محمدٍ بيده، لو ولّيت لتقربّتُ إلى الله تعالى بدمائهم، لا نالتني شفاعة

(١) تاريخ الإسلام (٧/ ٤٦٤).
(٢) رواه أبو نعيم في الحلية بإسناده (٣/ ١٨٢) وابن أبي الدنيا في ذم الدنيا (٣٨٥) وانظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٠٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٠٢).
(٤) تاريخ دمشق (٥٤/ ٢٨٦).

محمدٍ إن لم أكن أستغفر لهما وأترحّم عليهما، إن أعداء الله لغافلون عنهما » [١]، وقال أيضًا : « أبلغ أهلَ الكوفةِ أني بريءٌ ممن تبرّأ من أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وأرضاهما » [٢].

أيها الإخوة الكرام: ولقد كان الإمام الباقر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في غاية التواضع، مع علو شأنه، ورفعة مكانه، وكان يحتقِر المتكبرين، ويقول: «ما دخل قلب امرئٍ شيءٌ من الكبر إلا نَقص عَقْلُه مقدار ذلك» [٣]،كما كان الإمام الباقر -رفع الله درجته وأعلى مكانته- آيةً في الصبر، وقدوةً في الرضا، بما قدره الله وقضى، فلقد مرض ولدٌ له يوماً، فجزع عليه وهو مريض، فلما توفي الابن كفَّ عن الجزع وصبر، فلما سئل عن ذلك قال: «كنت في مرضه أدعو الله له، فلما توفي لم أخالفِ الله فيما أَحَبَّ، فصبرتُ ورضيت» .. فعلاً إنّ سيرة محمّد الباقر وأهلِ البيت الكريم .. سيرةٌ عَطِرة، فيها العظةُ والعِبرة، فيها كل السموِّ والأخلاق، والرفعةِ والآداب، والعزّةِ والأمجاد! إنّ من لم يعرف محمدَ الباقر فقد خَفِي عليه رجل عظيم! كيف لا يَعرِفُ رجلاً أطبقت على حسن سيرته كتبُ التاريخ، ودواوينُ أهل الإسلام.. فهو سميرُ الزهاد، ونبراسُ المتهجّدين، وقدوةُ التالين.

وقال فيه مالك بن أعين [٤]:

إذا طَلَبَ الناسُ علمَ القران * كانت قريشٌ عليه عِيالا
وإنْ قيل: إنَّ ابنَ بنت الرَّسول * نِلتَ بذلك فرعًا طِوالا
نجوم تهلل للمُدلجين * جبال تُورث علما جبالا

---

(١) حلية الأولياء (٣/ ١٨٥) .
(٢) المصدر السابق .
(٣) المصدر السابق (٣/ ١٨٠)، ورواه ابن أبي الدنيا في التواضع والخمول (٢٢٦) .
(٤) تاريخ دمشق (٥٤/ ٢٧١) .

ولقد كان الباقر رضي الله عنه يعي جيداً أهمية الدعاء والتضرّع إلى الله تعالى وحده، فقد حفظ عن أبيه الإمام زين العابدين قوله في مناجاته لربه: « وقلتَ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، وقلت: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]. فسميتَ دعاءك عبادة وتركه استكباراً، وتوعدت على تركه دخول جهنم داخرين»[1] فأين المسلمون؟ أين هم عن دعاء الله، تعالى؟ أين المرضى؟ أين الثكلى؟ أين أصحاب الهموم والغموم؟ أين هم عن مناجاة الله، تعالى؟

ولهذا نُقل عن الباقر رضي الله عنه تصريحه بأن: « أفضل العبادة الدعاء »[2]، بل سُئل مرة: «أي العبادة أفضل؟ فقال الباقر: «ما من شيء أفضل عند الله من أن يُسأل ما عندَه ويُطلب منه، وما أحدٌ أبغض إلى الله ممّن يستكبر عن عبادته ولا يَسأل ما عنده»[3].. الله أكبر! لماذا نحن لا نسأل الله، تعالى؟ كثيرٌ منّا يشتكي همومه للمخلوقين، ولا يرفع يديه لله وحده، يتوجّه إلى الأحياء والأموات، ويتمسّح بالأضرحة والعتبات، ولا يتوجّه بقلبه وجوارحه إلى خالق الأرض والسّماوات، الذي يستحي من عبده إذا مدّ يديه، أن يردّهما صفرًا خاويتين! وتأمّلوا جيّداً قول الباقر: «ما من شيء أفضل عند الله من أن يُسأل ويُطلب منه».

---

(١) الصحيفة السجادية: (٢٩٤).

(٢) الوسائل للحر العاملي، باب استحباب اختيار الدعاء على غيره من العبادات المستحبة: (٧/ ٣٠).

(٣) عوالي اللئالي ابن أبي جمهور الأحسائي (٤/ ١٩)، وانظر أيضاً: الكافي (٢/ ٤٦٦)، كتاب الدعاء- باب القول عند الإصباح والإمساء.

فلا عجب -حينئذ- أن يُخلص الإمام الباقر الدعاء لخالقه -عز وجل- لعلمه بأنّ الدعاء عبادة، والعبادة لا تُصرف إلَّا لله عزّ وجل ، ولذا نراه في الثلث الأخير من الليل، يصلّي لله القيام، والنّاس في غفلةٍ نيام، يركع ويسجد، ويدعو ربّه، ويناجيه بأعذب الكلمات، وأحسن العبارات، فيقول:

«اللهم لك الحمد يا رب، أنت نور السموات والأرض، فلك الحمد، وأنت قوّام السموات والأرض، فلك الحمد، وأنت جمّال السموات والأرض، فلك الحمد، وأنت زَيِّن السموات والأرض، فلك الحمد، وأنت صريخ المستصرخين، فلك الحمد، وأنت غيَّاث المستغيثين، فلك الحمد، وأنت مجيب دعوة المضطرين، فلك الحمد، وأنت أرحم الراحمين، الرحمن الرحيم، فلك الحمد، اللهم بك تُنزَل كلُّ حاجةٍ، فلك الحمد، وبك يا إلهي أنزلت حوائجي الليلة، فاقضها يا قاضي حوائج السائلين، اللهم أنت الحق، وقولك الحق، ووعدك الحق، وأنت مليك الحق، أشهد أن لقاءك حق، وأن الجنة حق، والنار حق، والساعة حق، آتية لا ريب فيها، وأنك تبعث من في القبور، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت، وما أخرت، وما أسررت، وما أعلنت، أنت الحي لا إله إلا أنت» [(١)] .

بهذا الدّعاء الخاشع، وبهذه الكلمات العذبة، والعبارات الحسنة، كان الإمام محمدُ الباقر يناجي ربّه، ويدعو الله وحده، وإذا أصبح قال: «أصبحت وربِّي محمودٌ، أصبحت لا أشرك بالله شيئاً، ولا أدعو معه إلهاً، ولا أتخذ من دونه ولياً» [(٢)].

(١) الكافي : (٢/ ٣٨٨) ، كتاب الدعاء- باب القول عند الإصباح والإمساء .

(٢) المصدر السابق .

تلكم بعض المكارم النبوية، والأخلاق المصْطَفَوِيَّة، والشمائل المحُمدِية، التي ورثها الإمام الباقر عن جدّه المصطفى النبي المرتضى ﷺ ، وما زال بها متحلياً، وإليها داعياً، حتى وَدَّع الدنيا سَنَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَمائَةٍ بِالمَدِيْنَةِ ، ولكن بعد أن صَبَغ بهذه الصفات الحميدة ابنه الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه .



جعفر الصّادق رحمه الله

لقد امتدح الله تعالى نبيَّنا محمداً ﷺ عندما قال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم:٤]، فكانت إشارةً رائعةً إلى أهمية الأخلاق الفاضلة، ويأتي في قمة هذه الأخلاق التي حثّ عليها الله تبارك وتعالى : **خلق الصدق،** فالله تعالى أمرنا أن نسلك سبيل الصّدق، **ونكون مع الصّادقين!** حين قال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة:١١٩] ، ومن هؤلاء الصّادقين، الذين نحن اليوم بصدد الحديث عنهم: أبو عبد الله جعفرُ الصادق القرشي، الهاشمي، العلويّ، النبوي، المدني، أحد الأعلام، بنُ محمد الباقر، ابنِ شامةِ الزاهدين زينِ العابدين علي بنِ الحسين، بنِ أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب، وابنِ الزهراء البتول، بنتِ المصطفى ﷺ .

نَسبٌ كأنَّ عليهِ من بدرِ الدُّجى * نُوراً ومِن فَلَقِ الصَّباح ضِياءً

جدّه الإمام عليٌّ زينُ العابدين بن الحسين، عندما رأى ابنَه محمد الباقرَ شاباً في مقتبل الشباب، وعلى بوابة الرّجولة، وجده مُنكبًا على العلم .. زاهدًا في الدنيا، فأراد له زوجةً صالحةً صادقةً من بيتٍ صادق، فقلّب نظره في البيوت، فوقعت عينه على «**أمّ فروة**» بنت القاسم بن محمد بن **أبي بكر الصديق،** لقد بحث عن بنت الصّدق في بيت الصدق، فهُدي إلى بيت الصّديق.

فكلّم زينُ العابدين ابنه محمّد الباقرَ في شأنها، ففَرح بهذا النسب، وسُرّ بذلك الحسب، ولما صارت إليه وَجَدها ذات علم وفقه، ورثته عن أبيها القاسم بن محمد أحد فقهاء المدينة السبعة، ربيبَ الصّديقة عائشة بنت الصديق، حيث تربى القاسم في كنفها ووَرِث علمَها، ووجدها ذات صدق، ورثتهُ عن جدّها أبي بكر الصّديق! فكان هذا الرحم المبارك، هو الذي حمل في أحشائه الإمامَ جعفرَ الصادق وريث الصدّيق! ولذلك نراه يقول: (ولدني أبو بكرٍ مرتين) [١]، يقولها الصّادق افتخارًا بالصدّيق ﷺ. يقولها الحفيد انتسابًا لجدّه المجيد!

ومن أمارات ذلك الافتخار، تشنيع جعفر الصّادق على من ينالون من جدّه أبي بكر الصّدّيق ﷺ، فعن سالم بن أبي حفصة قال: قال لي جعفر الصّادق: «يا سالم، أبو بكرٍ جدي! أيسبُّ الرجل جدَّه؟ لا نالتني شفاعة محمد ﷺ في القيامة، إن لم أكن أتولاَّهما، وأبرأ من عدوهما» [٢]، وهكذا جَمَع خلقُ «الصّدق» بين الخليفة أبي بكر الصدّيق ﷺ، الذي ما كذّب الرسول ﷺ في شيءٍ أبدًا، وبين السّيد الشريف: جعفر الصّادق ﷺ، الذي لُقِّب بالصادق لأنه لم يُعرَف عنه الكذب قط!

ولد الإمام الصادق سنةَ ثمانين بالمدينة المنورة، كما أنّ وفاته -أيضاً- بالمدينة، ورأى بعض الصحابة الكرام ﷺ أجمعين. كان ﷺ من أجلّ التّابعين، ومن علماء المدينة، وقد بلغ من العلم ذروته، ولذلك حدّث عنه الأئمة النجباء، ووثّقه فحول

(١) كشف الغمة لعلي الأربلي: ٢/ ٣٧٤، وانظر: تهذيب الكمال (٥/ ٧٥)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٦٦).

(٢) رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (١٧٦)، وهو في السُّنة لعبد الله بن الإمام أحمد (٢/ ٥٥٨) حديث (١٣٠٣) وأصول اعتقاد أهل السنة اللالكائي (٧/ ١٣٠١) حديث (٢٤٦٥) والسير للذهبي (٦/ ٢٥٨ – ٢٥٩) وقال في تاريخ الإسلام (١/ ١٠٥٤): وهذا إسناد صحيح.

العلماء، وسئل أبو حنيفة رضي الله عنه وهو الفقيه المشهور، الذي قيل فيه: الناس في الفقه عِيالٌ على أبي حنيفة. سئل: من أفقهُ من رأيتَ؟ فقال: «ما رأيتُ أحداً أفقهَ من جعفر بن محمد» [١] ! يا له من وسامٍ عالٍ كبير، من فقيهٍ متبحرٍ نحرير! وقد كان الإمام جعفر الصادق عليه هيبةُ العلماء ، وسِمةُ سُلالة الأنبياء، قال عمرو بن أبي المقدام : «كنتَ إذا نظرتَ إلى جعفر بن محمد ، عَلِمتَ أنه من سُلالة النبيين» [٢] .

أخذ الصّادقُ رضي الله عنه العلمَ عن أكابر عصره أمثال: والدِه محمد الباقر، وجدِّه القاسمِ بن محمد، وعبيد الله بن أبي رافع، وعطاء بن أبي رباح، ومحمد بن المنكدر، والزُّهري وغيرِهم. وكذلك أخذ العلم عن عروةَ بن الزبير، الذي روى العلم عن عائشة خالته رضي الله عنها ، وكان ملازمًا لها، وتكون هنا الصلةُ وثيقةً في أخذه العلم من بيت عائشة الصّديقة، ولا عجب في ذلك، فالصدّيقة عائشة هي شقيقة جدَّيْ الإمام جعفر الصادق: محمد بن أبي بكر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وبهذا تكون على مقربةٍ من الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه بالدّم!

ومن أبرز من أخذ عنه العلم : ابنه موسى الكاظم، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وأبو حنيفة، وأبان بن تغلب، وابن جريج، وسفيان، وشعبة، ومالك، وإسماعيل بن جعفر، وسفيان بن عيينة، ويحيى القطان، وآخرون، وقد روى الإمام جعفر الصّادق حديثًا مطولاً، أخرجه مسلم في صحيحه عن الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم وهو حديث

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي : (٦/ ٢٥٨) .
(٢) رواه ابن عدي في الكامل (٢/ ١٣٢)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ١٩٣) .

طويلٌ جداً، فيه وصْفُ جابر رضي الله عنه ما شاهده من أفعال النبي ﷺ وأقواله في حجة الوداع [١].

ومع ما كان عليه الإمام جعفر الصادق من العلمِ الغزير، والفقه الكثير، والفَهمِ الكبير؛ إلا أنه كان في غاية التواضع، ممتثلاً قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] ، وهذه عادة العلماء، وسجية النجباء، ووصية الأنبياء والحكماء، عن أيوبَ قال: سمعت جعفراً يقول: «إنَّا والله لا نعلم كلّ ما يسألوننا عنه، ولَغَيْرُنا أعلمُ منا» [٢]، سبحان الله! ولذلك ارتفعَ قدرُه، وعَظُمَ أمرُه، وانتشر في الأرض خبرُه، وكما قال جده ﷺ : (ما تواضعَ أحدٌ لله إلا رفعه) [٣]، وقد كان جعفر الصّادق رضي الله عنه كريمَ البذل، كثيرَ الإنفاق، واسعَ الجود : فعن هيَّاجِ بن بِسطام، قال: «كان جعفر بن محمد يُطْعِمُ حتى لا يَبْقَى لِعياله شيء» [٤].

وَلَو لَم يجدْ من مالِهِ غيرَ نفسِه * لَجَادَ بها ! فليتَّقِ اللهَ سائِلُه

حقاً ! لقد كان صافيَ النفس، واسعَ الأفق، كبيرَ القلب، بَرّاً طاهراً، صادقَ الوعدِ تقياً، ومع صدقه فقد كُذِب عليه كثيرًا، كما كذب على أبيه وجدّه .. حتى قال الإمام الصادق رضي الله عنه : «إنّ الناس أولِعُوا بالكذبِ علينا» [٥]... فكم من قولٍ نُسِب إليه وهو منه بريء! ولذلك لابدّ أن ننتبه لهذا، فليس كلّ ما نسب من أقوال إلى الإمام جعفر

(١) رواه مسلم في صحيحه : (١٢١٨) .
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي: (٦/ ٢٦١) .
(٣) رواه مسلم في صحيحه : (٤٦٨٩) .
(٤) حلية الأولياء (٣/ ١٩٤) .
(٥) بحار الأنوار للمجلسي: (٢/ ٢٤٦) .

الصّادق فهي أقواله قطعاً! ولا ما نُسب إليه من مذهبٍ فهو مذهبه كلّه! بل لا بد من التحرّي والتأكّد؛ لأن الوضّاعين أولعوا بالكذب عليه، كما صرّح بذلك جعفرُ الصّادق نفسه !

وعندما ظهر الغُلاة ، وأخذوا ينسبون إلى أهل البيت عليهم السلام أمورًا عظيمة ، لا يجوز نسبتها إلا لله تعالى ، كالخلق والإيجاد ، والإحياء والإماتة ، والضّر والنّفع ، والتصرّف في الكون ، وزعموا أنّ أهل البيت يعلمون الغيب ! وأنّهم يعلمون متى يموتون ! ولا يموتون إلا بإذنهم ! وغير ذلك من ألوان التطرّف والتعدّي ، وقَفَ في وجههم هذا الإمام العظيم ، ليضع حدًّا لهذا الضّلال المبين ، الذي غُلّف بحبّ أهل بيت رسول ربِّ العالمين ! فصرّح قائلاً : « فوالله ما نحن إلا عبيدُ الذي خَلقنا واصطفانا ، ما نقدِرُ على ضرٍ ولا نَفع ، وإنْ رُحمنا فبرحمته ، وإنْ عُذبنا فبذنوبنا ، والله مالنا على الله حُجةٍ ولا معنا من براءة ! وإنا لميّتون ومقبورون ، ومنشرون ومبعوثون ، وموقوفون ومسؤولون ... » إلى أن قال : « .. أشهدكم أني امرؤٌ ولدني رسول الله ﷺ ، وما معيَ براءةٌ من الله ، إن أطعته رحمني ، وإن عصيته عذبني عذابًا شديدًا ، أو أشدَّ عذابِه » [(١)].

وكان الصادق رحمه الله قويَّ الصلةِ بالله، عظيمَ الثقة بمولاه، دائمَ الدعاء والمناجاة، رُوي عنه أنّه قال : « إنّ الله تبارك وتعالى يعلم حاجة عبده وما يريد ، ولكنّه يحب أن تبث إليه الحوائج » [(٢)]، ومن دعائه الذي يحلو لنا أن نختم به حديثنا عن الصّادق قولُه : « اللهمَّ احْرُسني بعينك التي لا تنام، واكنُفْني بركنك الذي لا يُرام، واحفظْني بقدرتِك

(١) رجال الكشي (٢٢٥) ، بحار الأنوار للمجلسي : (٢٥/ ٢٨٩) ، معجم رجال الحديث للخوئي : (١٩/ ٣٠١) .

(٢) عوالي اللئالي لابن أبي جمهور الأحسائي (٤/ ٢٠) .

عليّ، ولا تُهلكني وأنت رجائي، ربِّ كم من نعمة أنعمتَ بها عليّ، قَلَّ لك عندها شكري! وكم من بَليةٍ ابتليتني بها، قَلَّ لك عندها صبري! ويا من رآني على المعاصي فلم يفضحني! ويا ذا النعمِ التي لا تُحصى أبداً! ويا ذا المعروفِ الذي لا ينقطعُ أبداً ! أَعِنِّي على ديني بدنيا، وعلى آخرتي بتقوى .. يا من لا تضرُّه الذنوب! ولا تُنقِصُه المغفرة! اغفر لي ما لا يضرك، وأَعطِني ما لا يُنقِصُك، يا وهاب! أسألك فرجاً قريباً، وصبراً جميلاً، والعافيةَ من جميع البلايا، وشكرَ العافية» [1] اللهم آمين.

ما أروع هذه الكلمات، عندما تكون وقت السّحر، وما أرقّ تلك العبارات عندما ينطق بها العبد افتقارًا إلى مولاه، هكذا يعلّمنا الإمام جعفر الصّادق، صدق المناجاة، وإخلاص الدّعاء لله الواحد الدّيان .

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتابه الفرج بعد الشدة (١/ ٤٥) وبنحوه في تاريخ دمشق لابن عساكر .



موسى الكاظم ﵀

يقول الله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٣٣] ، فقد طهّر الله أهل البيت تطهيراً، وجمّلهم بالأخلاق صغيراً وكبيراً، فكانوا للسّالكين إلى الله سراجاً منيراً، وقمراً مستنيراً.. فيا باغي الأخلاق هذا سمتهم، ويا طالبَ الآدابِ لا تَغِبْ عن هديهم، ويا قاصدَ المعرفةِ هذا علمهم، من أجل ذلك أحببتُ أن أتحفَكم في حلقة اليوم -بإذن الله- بشيءٍ من سيرة سيد من ساداتهم، وحبرٍ من أحبارهم، وإمام من أئمتهم .. هو اللَّقِنُ المعلَّم، والفَطِن المُفَهَّم: موسى الكاظم بنُ جعفر الصّادق بنِ محمد الباقر بنِ عليٍّ زين العابدين بنِ الحسين الشهيد بنِ علي بن أبي طالب، رضي الله عن الجميع .

أيّها الإخوة والأخوات: هل تعرفون لم لقّب هذا السيّد الشريف بـ « **الكاظم**»: ألأنّه كان يكظم غيظه، فقط؟ لا .. بل كان يُحسن إلى من أساء إليه، سبحان الله**!** واسمعوا معي إلى هذه القصة الرّائعة من تراث هذا الإمام العظيم، رُوي أنّ رجلاً من آل عمر كان بالمدينة يؤذّيه، وكان قد قال له بعض محبّيه : دعنا نقتله ونريحك منه، فنهاهم وزجرهم، وذكر لموسى الكاظم أنّ هذا الرّجل له أرضٌ يزرع بها، فركب إليه في مزرعته، فدخل بحماره إلى مزرعته، فصاح الرّجل: «لا توطئ زرعنا»، ومع ذلك دخل إلى مزرعته بالحمار حتى وصل إليه، فنزل عنده وضاحك الرّجل، ثمّ قال له: كم غرمتَ في زرعك

هذا ؟ قال: مئة دينار، فقال موسى: فكم ترجو أن أعطيك؟ قال الرّجل : لا أعلم الغيب، وأرجو أن يجبيئني مائتا دينار.

فأعطاه موسى الكاظم ثلاثَ مائة دينار! ثمّ قال له: هذا زرعك على حاله، لم يتضرّر! فتأثّر الرّجل، ووقف منبهرًا أمام هذا الرّجل العظيم، فقام إليه وقبّل رأس موسى الكاظم، وقال له: الله أعلم حيث يجعل رسالاته! وجعل يدعو لموسى الكاظم كل وقت! فقال موسى الكاظم لخاصّته الذين أرادوا قتل هذا الرّجل: أيّها هو خير ؟ ما أردتم، أو ما أردتُ أن أصلح أمره بهذا المقدار؟ سبحان الله! وهنا علّق الحافظ الذهبي على هذا الموقف بقوله: « إن صحَّت، فهذا غاية الحِلم والسَّماحة »[1].

من يفعلُ الخير لا يُعدم جوازيه ❋ لا يَذهب العُرف بين اللهِ والناسِ

وورد في سير أعلام النبلاء: عن يحيى بن الحسن بن عبيد الله قال: «كان موسى بنُ جعفر يُدعى العبدَ الصالح من عبادته واجتهاده»، وقال الذّهبي -أيضاً-: «روى أصحابنا أنّ موسى الكاظم دخل مسجد رسول الله ﷺ فسجد سجدةً في أول الليل، فسُمِع وهو يقول في سجوده: عَظم الذنبُ عندي، فليَحسُن العفوُ من عندك، يا أهل التقوى ، ويا أهل المغفرة.. فجعل يردّدها حتى أصبح»[2].. كان من ساداتِ بني هاشم، ومن أعبدِ أهلِ زمانه، وأحدِ العلماءِ الأجواد، ولد في الأبواء ـ قرب المدينة ـ وسكن المدينة.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٧٢) .

(٢) المصدر السابق (٦/ ٢٧١) .

لقد أمسك هذا الإمام النبيل، والسيّد الجليل .. المجدَ من أطرافه: فقد ظفر بمجد العلم؛ فقد روى أحاديث عن أبيه جعفر الصّادق، وعبدِ الله بن دينار، وعبدِ الملك بن قدامة، وله أحاديث عند الحافظ الترمذي، وابن ماجه، كما فاز بمجد التقى والورع؛ فقد كان قوَّام الليل صوَّام النهار، متضرعاً بكَّاءً من خشية الله الواحد القهار، وقبل ذلك كلّه: قد نال شرف منزلة القرابة؛ فهو حفيد النبي ﷺ ومن آل بيته الأطهار، ومن المواقف اللطيفة التي تنبئ عن اعتزازه بانتسابه إلى جدّه المصطفى ﷺ: أنّه لما حجّ هارون الرشيد، وأثناء حجّه أتى مدينة رسول الله ﷺ ، فمرّ على قبر النبي ﷺ ، وكان معه موسى الكاظم بنُ جعفرِ الصّادق، فلمّا أتى هارون الرّشيد جهة حجرة الرسول ﷺ وأراد السّلام عليه قال: «السلام عليك يا رسول الله، يا ابن عم »افتخارًا على من حوله! قال: «ابن عمّ» لأنّ هارون الرشيد من ذريّة العبّاس بن عبد المطلب، عمّ النبي ﷺ .. وهنا تقدّم موسى الكاظم، ودنا من الحجرة الشريفة، وقال: «السلام عليك يا أبت»! الله أكبر .. إن كنتَ يا هارون تريد الافتخار، فأنا أولى بهذا منك، فإن كنت ابن عمّ النبي ﷺ ، فأنا ابنه وحفيده، وهو بمنزلة أبي! ... وهنا تغيّر وجه هارون الرشيد، ولكنه لم يملك من أمره إلا أن أقرّ بهذا، وقال: «هذا الفخرُ حقًا يا أبا الحسن» [1]!

وهذا الإمام -أعني موسى الكاظم- مع جلالة قدره، ورفعة منزلته، حُبس في السّجن! حُبس لأنّ الوشايات كانت تُرفع إلى خُلفاء الدولة العبّاسيّة أنّ النّاس يُرسلون إليه بالبيعة، للخروج على الدّولة! وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يتبرّأ من كلّ هذا، ومع ذلك يَقع عليه الظّلم، فيُؤخذ إلى السّجن ويُحبس، قال عمّار بن أبان: حُبس موسى بن جعفر عند

(١) تاريخ الإسلام للذهبي (١/ ١٤١٦).

السّندي بن شاهك، فسألته أخته أن تتولى حبسه، فوافق السّندي، فكانت تقوم على خدمته، فحكتْ هذه المرأة أمراً عجيباً من أمور عبادته ومناجاته، حتى قالت:

«كان موسى الكاظم إذا صلى العَتَمة -أي صلاة العشاء-، حمد الله ومجّده ودعاه، فلم يزل كذلك حتى يزول الليل، فإذا زال الليل، قام يصلي حتى يصلي الصبح، ثم يذكر الله -تعالى- حتى تطلع الشمس، ثم يقعد إلى ارتفاع الضحى، ثم يتهيأ ويسْتاك، ويأكل، ثم يرقد إلى قبل الزوال، ثم يتوضّأ ويصلي العصر، ثم يذكر الله تعالى حتى يصلي المغرب، ثم يصلي ما بين المغرب إلى العتمة» سبحان الله! هكذا كان يومُه في الحبس صلاةٌ وعبادة، ذكرٌ ومناجاة، حتى تأثّرت هذه المرأة ممّا رأت، ثمّ قالت: «خاب قومٌ تعرّضوا لهذا الرجل»[1].

زهدَ الزَّاهدونَ والعابدونَ * إذْ لمولاهم أجَاعوا البُطونا
أَسْهروا الأَعينَ القريحةَ فيهِ * فمضى لَيلُهم وهُم سَاهِرونا

إنّ موسى الكاظم رضي الله عنه كان عالي الهمة في عبادته، الفعليّةِ والقوليةِ، كثيرَ الركوع والسجود، كثير الإنفاقِ في سبيل الله ... كيف لا؟ والعبادةُ على رءوس العُبَّاد والأولياء، أحلى من التيجان على رءوس الملوك والأمراء! إذا سَئِم البطَّالون من بَطَالتِهم، فلن يسأم العُبَّاد من عبادة ربهم، ومناجاة خالقهم .. بعث موسى الكاظم إلى الخليفة برسالةٍ من الحبس، رسالةٍ قويّةً! كتبها بدموعه، وخطّها بأنينه، قال فيها: «إنّه لن ينقضي عني يوم من

---

(١) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٧٣).

البلاء، إلا انقضى عنك معه يومٌ من الرخاء، حتى نُفضِيَ جميعاً إلى يـومٍ لـيس لـه انقـضاء، يخسر فيه المبطلون» [١] .

فرحم الله رجالاً نصبوا أبدانهم لخدمة مولاهم، وكابدوا العبادة حتى استمتعوا بها، إنّ الكاظم رَحِمَهُ اللهُ ضَربَ لنا أروع الأمثلة لمن أراد الإخلاص في العبادة، والصّدقَ في المناجاة، والتوكّلَ على المولى، وكفالةَ الأيتام وإطعام الفقراء .. فاللهم ارضَ عن الصحابة الأخيار، وآل البيت الأبرار، اللهم إنا نشهدك حب نبيك، وأهل بيت نبيك، وأصحاب نبيك، ومن سار على نهج نبيك صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) تاريخ بغداد للخطيب (١٣/ ٣١)، وتهذيب الكمال (٢٩/ ٥٠) .



محمد بن إدريس الشّافعي رحمه الله

حديثنا عن فقيهٍ شاعر، وعالِمٍ أديب، جمع بين فنونٍ عدّة، وعلوم جمّةٍ! كان ذا دراسةٍ متواصلة واطلاعٍ واسع في علوم الشريعة، مع فصاحةِ اللسان، وحجةٍ في لغة العرب والأدب والبيان ، عاش فترةً من الزمن في بني هذيل ، فكان لذلك أثره الواضح، على فصاحته وتضلعه في اللغة والشّعر ، حتى أضحى يُرجع إليه في علوم العربيّة، إنّه الإمام القرشيّ .. محمد بن إدريس الشّافعي، قال عنه أبو عبيد: كان الشافعي ممن تؤخذ عنه اللغة، وقال الأصمعي: صحّحت أشعار الهذليين على شابٍ من قريش يقال له: محمد بن إدريس، وقال أحمد بن حنبل: كان الشافعي من أفصح الناس، وكان الإمام مالك تعجبه قراءته؛ لأنه كان فصيحاً ! [1].

هو عالم العصر : محمد بنُ إدريسَ بنِ العباسِ بنِ عثمانَ بنِ شافعٍ ، بنِ السائبِ بنِ عبيدِ بنِ عبد يزيدَ ، بنِ هشامِ بن عبدِ المطَّلِبِ ، بنِ عبد مناف [2]، ناصر الحديث، فقيه الملة، أبو عبد الله القرشي ثم المطلبي المكي، نسيب رسول الله ﷺ ، وابن عمّه، فالمطلب هو أخو هاشم والد عبد المطلب، أُطلِق عليه الشّافعيّ: نسبةً إلى جدّه الأعلى: «شافع»، ولد الإمام بمدينة غزة بفلسطين سنة ١٥٠هـ، حيث خرج إليها والده إدريس من مكة في حاجةٍ له، فمات بها وأمّه حامل به، نعم .. توفي أبوه قبل أن يعرفه محمد، فولدتهُ أمُّه في

(١) رواه الإمام أحمد في العلل ومعرفة الرجال عن الإمام الشافعي : (١/ ٤٦٢)، ورواه ابن عساكر من طريق أحمد في تاريخ دمشق : (٥١/ ٢٩٦) .

(٢) انظر : آداب الشافعي ومناقبه ، لابن أبي حاتم الرازي ص ٣٨ .

غزّةَ بعيدًا عن موطن قومه بمكة والحجاز، فبدأ الإمام الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حياته وحليفاه: اليُتم والفقر، ورأت الأم أن تنتقل بولدها إلى مكة، فانتقلت به وهو صغير لا يجاوز السّنتين، قال الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «ولدتُ بغزة سنة خمسين ومائة ، وحُملت إلى مكة وأنا ابن سَنَتَين» [1].

فنشأ بمكة، وأقبل على الرّمي، حتى فاق فيه الأقران، وصار يصيب من عشرةِ أسهمٍ تسعة، ثم أقبل على العربية والشعر، فبرع في ذلك وتقدّم، ثم حُبِّب إليه الفقه، فساد أهل زمانه، وفي مكة المكرمة حفظ القرآن وهو ابن سبعِ سنين، وحفظ كتاب الموطأ وهو ابن عشر سنين! وانظروا -أيّها الإخوة- إلى أبنائنا في هذه الأعمار؟ كيف يضيّعون أوقاتهم في اللعب واللهو، وإن حفظوا شيئاً، فإنهم يحفظون كلمات الأغاني، أو أسماء اللاعبين والممثلين والمغنّين .. وغيرهم، ممّن هم ليسوا قدواتٍ لنا .. فالله المستعان .. ولا حول ولا قوة إلا بالله! أمّا إمامنا الشّافعي، فله شأنٌ آخر، وهمّةٌ عالية .. رحل من مكة إلى بني هذيل وبقي فيها أعواماً، وكانوا أفصح العرب، فأخذ عنهم فصاحةَ اللغة وقوتَها، ثم انصرفت همّته لطلب الحديث والفقه من شيوخها، فحفظ الموطأ، وقابل الإمام مالك فأعجب به وبقراءته، وقال له: «يا محمد اتقّ الله .. فسيكون لك شأنٌ» [2]!

وممّا يروى عنه: أنّه كان حادّ الذكاء، سريع الحفظ، حتى إنّه كان إذا أراد الحفظ، وضع يده على الصفحة المقابلة للتي يحفظها، حتى لا يختلط عليه الحفظ! حيث إنه كان يحفظ من أول نظرةٍ للصفحة .. هذا الحفظ وهذا الذّكاء وظّفه الإمام الشافعي في أشرف

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٩/ ٦٧) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢/ ٥٩) .

(٢) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة (ذكر من اسمه محمد)، ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥١/ ٢٨٦) .

العلوم، ألا وهي علوم الشّريعة! ولذا نراه أخذ العلم وتفقّه في مكة على يد شيخ الحرم ومفتيه: مسلم بن خالد الزنجى، وسفيان بن عيينة الهلالى .. وغيرهما من العلماء ، وقدِم على الإمام مالك في المدينة، وأخذ فقهه وقرأ عليه، ثم رحل إلى اليمن ليتولى منصباً جاءه به: مصعب بن عبد الله القرشى قاضي اليمن، ثم رحل إلى العراق سنة ١٨٤هـ واطّلع على ما عند علماء العراق، وأفادهم بما عليه علماء الحجاز.

وعَرَف محمدَ بن الحسن الشيبانى، صاحب أبى حنيفة، وتلقّى منه فقه أبى حنيفة، وناظره في مسائل كثيرة، ثم رحل الشافعي بعدها إلى مصر، والتقى بعلمائها وأعطاهم وأخذ منهم، ثم عاد مرةً أخرى إلى بغداد سنة ١٩٥هـ في خلافة الأمين، وأصبح الشافعي في هذه الفترة إماماً، له مذهبه المستقلّ وفقهه الخاص، واستمرّ بالعراق لمدة سنتين، عاد بعدها إلى الحجاز بعد أن ألف كتابه: «الحجة» .. وبعد رحلات متتالية ، رحل إلى مصر سنة ١٩٩هـ، وبعد أن خالط المصريِّين ، والتقى بأصحاب الليث بن سعد وغيرهم من فقهاء مصر ، وناظَرهم في مسائل ، فبدأ بإعادة النَّظر في مذهبه القديم المدوّن بكتابه «الحجة»، وأحدث بعض التغيير في مذهبه الجديد [(١)].

وقد صنّف الشافعي التصانيف، ودوّن العلم، وردّ على الأئمة متبعًا الأثر، وصنّف في أصول الفقه وفروعه، وبَعُد صيته، وتكاثر عليه الطلبة .. وممّا يميّز فقه الإمام الشّافعي أنّه دوّن مذهبه بنفسه رضي الله عنه ، كما أنّ الإمامَ الشافعي يُعدُّ أوّل من ألّف في: (علم

---

(١) ولم يُعد يُفتى عند السّادة الشّافعية بعدها بشيءٍ من القديم، إلا بنحو من عشر مسائل، نظمها السيوطي في آخر الأشباه والنظائر .

أصول الفقه) ويتّضح ذلك في كتابه المسمّى: «**الرسالة**»، وقد كتبها في مكة وأرسلها إلى عبد الرحمن بن مهدي.

حقيقةً أدعوكم إلى قراءة ترجمة هذا الإمام العظيم، فسيرته مليئة بالتضحية والانتقال من بلدٍ إلى بلدٍ في سبيل الحصول على العلم وبذله ، واسمعوا إلى مقولته التالية، التي يختصر فيها منهجه في طلب العلم، يقول المزني : « سمعت الشافعي يقول: من تعلم القرآن عظمتْ قيمته، ومن تكلّم في الفقه نما قدْره، ومن كتب الحديث قويت حُجَّته، ومن نظر في اللغة رقَّ طبعه، ومن نظر في الحساب جزُل رأيه، ومن لم يصُن نفسه، لم ينفعه علمُه ! » (١)، حكمةٌ بليغة، وقاعدةٌ فصيحةٌ، ومن شعره رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

نعيبُ زماننا و العيبُ فينا * وما لزماننا عيبٌ سِوانا
ونهجُو ذا الزَّمانِ بغير ذنبٍ * ولو نَطَقَ الزمانُ لنا هَجَانا
وليس الذئبُ يأكلُ لحم ذئبٍ * ويأكلُ بعضنا بعضًا عَيانَا

عن أبي بكر السبائي قال : سمعت بعض مشايخنا يحكي أن الشّافعي عابه بعض الناس، لفرط ميله إلى أهل البيت ، وشدّة محبته لهم ، إلى أن نسبه إلى الرّفض ! فأنشأ الشافعي في ذلك يقول (٢):

قِفْ بالمحصبِ من منى فاهتِفْ بها * واهتِفْ بقَاعِد خيفها والنَّاهضِ
إنْ كان رفضًا حُبُّ آلِ محمَّدٍ * فليَشهَدِ الثَّقلانِ أني رافضِ

---

(١) انظر: مناقب البيهقي : (١ / ٢٨٢) ، ومناقب الرازي : ٧٠، وطبقات الشافعية للعبادي : ٣٢ ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٤) .
(٢) انظر: حلية الأولياء : (٩/ ١٥٢) .

ولصدقِ هذا الإمام وصلاحه، شاء الله أن يُعرف فقهه، وينتشر مذهبه: في الحجاز والعراق ومصر والشام وفلسطين وعدن وحضر موت ... وغيرها من البلدان والأمصار، وقد استمر الإمام الشافعي في مصر يفتي ويعلّم حتى توفي رحمه الله سنة ٢٠٤ هـ، يقول المزني: دخلتُ على الشّافعي في علّته التي مات فيها، فقلت: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت من الدّنيا راحلاً، ولإخواني مفارقاً، ولكأس المنيّة شارباً، ولسوء أعمالي مُلاقياً، وعلى الله -تعالى- وارداً، فلا أدري : روحي تصير إلى الجنّة فأهنّئها، أو إلى النّار فأعزّيها؟ ثمّ بكى، وأنشأ يقول [(١)] :

ولما قَسَا قلبي وضَاقت مذَاهبي * جَعلتُ رجائي دون عفوك سُلَّما

تعَاظمني ذنبي فلما قَرنتُه * بعَفوك ربي كان عَفوك أعظما

فما زلتَ ذا عَفو عن الذَّنب لم تزل * تجودُ وتعفو مِنّةً وتكرُّما

وإني لآتي الذَّنب أعرفُ قدره * وأعلم أنَّ الله يعفو ترحُّما

وهكذا.. قضى الشّافعيّ حياةً حافلةً بالعلم والمآثر، والخير والمكارم، وبموته طويت صفحةٌ مشرقةٌ من صفحات تاريخ أمّتنا الخالدة، وقد صّنف كبار العلماء والمحدّثين كتبًا في بيان مناقب هذا الإمام قديماً وحديثاً، وهذا الفصل يضيق عن ذكر مناقب هذا السيد الشريف، فرضي الله عنه وأسكنه فسيح جنّاته .

(١) سير أعلام النبلاء : (١٠/ ٧٥، ٧٦) .



الخاتمة
دروسٌ من حياة العظماء

ما أجمل جمعنا، وما أحسن حديثنا في الصّفحات الماضية، والفصول السّابقة، وقد كنّا في كلِّ فصل من فصول هذا الكتاب، نتناول عظيمًا من عظماء أهل البيت عليهم السلام، ونتحدّث عن عَلَمٍ من هؤلاء الأعلام، هذه صفحاتٌ مضيئةٌ من صفحات تاريخنا العظيم، تصوّر بعض ملامح حقبة زمنية مضت، وما جرى فيها من الأحداث والوقائع، نأخذ منها العبر والدروس؛ لنستفيد من ماضينا ما ينفعنا في حاضرنا، ولنا مع سير هؤلاء العظماء وقفاتٌ وعظات:

أولها : أن المؤمن لابد أن يُظهر محبته للدين والشريعة؛ بالدّفاع عنها، وبذلِ نفسهِ رخيصةً في سبيل الله تعالى، ونصرة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم إذا دعا الداعي، واستُنفر المسلمون، كما فعل علي بن أبي طالب ليلة الهجرة، وكما فعل حمزة يوم بدرٍ وأحد ، وكما فعل جعفر الطيّار يوم مؤتة .. تلك هي حالُ الصادقين المخلصين، أما المنافقون فدجّالون وكذّابون، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم!

وثاني هذه الدروس والعبر : بيان أهمية الصبر في الإسلام، وأن شأنه عظيم، وهذا نتعلّمه من موقف صفيةَ أختِ حمزة، فإنها لما علمت بمقتل حمزة لم تَجزعْ ولم تَسخطْ، وإنما قالت: «لَأحتسبنَّ وَلأصبرنَّ إن شاء الله» [1].. ومن موقف زينب بنت علي، التي سُمّيت بـ «أم المصائب» ، لكثرة ما مرّ بها من المحن والشدائد، والكروب والمصائب! فقد

(١) سيرة ابن هشام (٣/ ٦١٢) .

شاهدت وفاةَ جدها النبيِّ ﷺ، وأمِها الزهراء، وشهادةَ أبيها أمير المؤمنين علي، ومصيبةَ موت أخيها الحسن مسموماً، وشهادة أخيها الحسين، واثنين من أبنائها، وجمعًا كبيرًا من أقاربها في واقعة الطف! .. فصبرت واحتسبت ذلك عند الله تعالى، وهذا ما يتميّز به العظماء عند الله ، من صبرٍ عند المصائب والأزمات .

ثالث هذه العبر : نرى عند أئمة أهل البيت الاهتمامَ بالجانب العلمي، من حفظ القرآن الكريم، ورواية حديث رسول الله ﷺ، والفقه في الدّين، وهذا ما نشاهده في سيرة أغلب عظماء أهل البيت، كعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ، والسيدة عائشة رضي الله عنها وزين العابدين وابنه زيد، ومحمد الباقر وابنه جعفر الصّادق، ورأس المذهب الشافعي الإمام محمد بن إدريس الشافعي، وغيرهم.

رابعها : أنّ عظماء أهل البيت رضي الله عنهم لم يكتفوا بالخطب الكلاميّةِ ، والتصريحات القوليّة فقط؛ بل جمعوا بجانبها الزهدَ والعبادة، والصّيامَ والقيام، والفروسيةَ والجهاد، والسّعيَ في حوائج النّاس وإنفاقَ المال، وغيرها، وهذه هي مؤهّلات العظمة ! هذه هي مؤهلات القَبول عند الله، ولو أردنا أن نذكر أخبار العُبَّاد وعبادتهم لاستغرق ذلك المجلدات .

خامسها : أنّ شرف الانتساب إلى النبي ﷺ تابعٌ لشرفِ الإيمان، فمن لم يوفّق للإيمان من أهل البيت لم ينفعْه شرفُه ولا نسبه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، فالعظمة لا تُدرك بالنسب وحده، بل لا بد للنّسب من عملٍ صالح ! .. فأبو لهبٍ -مثلاً- لا ينفعه شرَفُ النَّسَب، ولا يُغني عنه شيئًا ! بل

يجب علينا أن نُبغضه لكفره ولإيذائه للنبي ﷺ، لذا .. من شرّفه الله بهذا النسب فلا يتّكل عليه، وليحمد الله على هذا الشرف، وليسارع في الخيرات، ومن لم يشرّفه الله بهذا النسب فليسأل الله أن يوفقه لحبّ أهل البيت كلّهم، وأن يوفقه للعمل الصالح، فالعمل الصالح هو الميزان الرّباني، وليحبهم ويحترمهم، فالمرء مع من أحبّ.

سادسها : إنّ العقيدة الصحيحة في أهل بيت رسول الله ﷺ، أنّ نتولّى ونحبّ كلَّ مسلمٍ ومسلمةٍ من نَسْل بني هاشمٍ وبني المطلِّب، وكذلك زوجات النَّبِيِّ ﷺ جميعاً، وعلينا أن ننزلهم منازلَهم التي يَستحقُّونَها بالعدلِ والإنصافِ، لا بالهوى والتعسُّف، ولا الغلوّ والتفريط، ونعرف الفضلَ لمن جَمع اللهُ له بين شرِف الإيمانِ، وشرَف النَّسَب.

فاللهم يا رحمن يا رحيم، ارزقنا التخلق بأخلاق السابقين المؤمنين، وأفرح قلوبنا بالشهادة في سبيلك، تحت راية الإسلام وشريعته، صادقين مخلصين، فيا مسلمون! أين منا صوامُ النهار، وقوام الليل؟ أين أمثال عليٍّ وفاطمة، وحفصةَ وعائشة، وزيدٍ وزين العابدين، والباقرِ والصّادق، والطيّارِ والكاظم .. ذهب الأبطال وبقي كل بطَّال.. ذهب السادة، وبقي قرناء الوِسادة.

نَزلوا بمكَّةَ في قبائِل هاشمٍ ❊ وَنزلْتُ بالبيداءِ أَبعَدَ مَنْزِلِ

لقد مضى هؤلاء العظماء رضي الله عنهم وذهب من نصر الدين، وذبّ عن حياض المسلمين، مات شيوخ الإسلام وأعلام أهل البيت الكرام .. مات من خدم هذا الدين، وبقينا نحن .. والسؤال هو: ماذا قدّمنا نحن لله ولدينه أولاً ؟ ولأنفسنا وللمسلمين ثانياً؟ هل اقتدينا بهم وسرنا ذلك المسير الذي سار فيه أصحاب رسول الله ﷺ من

المحبة والصدق، والتفاني لأجل هذا الدين؟ قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ [محمد: ٢٩]، وخلاصة الأمر، وغاية المرام: أنّ أمر هذا الدين لا يصلح إلا بما صلح به أمرُ أولِه : من الصدق في القول والعمل، والمتابعة الصحيحة للنبي ﷺ، والتجرّد عن الهوى، والسيرِ على خُطا الأماجد .

إنهم قومٌ شهدوا التنزيل، وعرفوا التأويل، وأقبلوا وقت الإدبار، وعرفوا أوقات الأسحار.. هم قومٌ خلصت منهم النيات، وصلحت منهم الأعمال، ومات فيهم حبُّ الهوى، وصار مراد الله عندهم هو الشغلُ الشاغل، ومتابعة المعصوم ﷺ هو الشأن الأهم .. هم قوم وقفوا مع الدليل، وساروا على الجادة، وأخذوا بالحجة.. هجروا التنطع، وتركوا التعمق، وطرحوا التكلف.. فرُّوا من القيل والقال؛ لأن لديهم مهمةَ إصلاح الأمة .. هربوا من اللهو واللعب؛ لأنهم حملوا على أعناقهم أمانة إنقاذ العالم! .. عبدوا الله حق عبادته فذلّت لهم الجبابرة، قيل للحسن بن علي رضي الله عنهما : إنّ أبا ذر يقول: الفقرُ أحبُّ إليّ من الغنى، والمرضُ أحبُّ إليّ من الصحة، فقال الحسن: «رحم الله أبا ذر! أما أنا فأقول: من اتكل على حُسن اختيار الله :لم يتمنَّ شيئاً» [1].

وفي الختام .. أتمنى أن أكون قد وُفّقت في تقديمِ مادةٍ علميّةٍ نافعة للسّادة القرّاء، حول أئمة أهل البيت وعظمائهم، وأن تكونوا -أيّها الإخوة والأخوات- قد انتفعتم بما قرأتم، وأنّي أضفتُ إليكم جديداً .. رحم الله ساداتِ أهل البيت الكرام، ورضي عنهم، ورضي الله عن أمهات المؤمنين، وأصحاب خاتم المرسلين ﷺ .. اللهم صلِّ على محمد

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣/ ٢٥٣) وانظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦٢) .

وآل بيته وأزواجه وذرّيته، كما صليتَ على آل إبراهيم، وبارك على محمد وآل بيته وأزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ... اللهم إنا نشهدك أننا نحب نبينا محمداً ﷺ وأهلَ بيته، وأصحابَه الكرام، اللهم فاجمعنا بهم في دار كرامتك يا أرحم الراحمين..

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، اللهم نوِّر على أهل القبور من المسلمين قبورهم، واغفر للأحياء، ويسّر لهم أمورهم، اللهم تب على التائبين، واغفر ذنوب المذنبين، واشف مرضانا ومرض المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين .

تم بحمد الله

** ** **



- أبو الحسن علي الحسني النّدْوي : "المرتضى .. سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب"، دار القلم ، دمشق-سوريا ، ط١ ، ١٤٠٩ هـ .

- أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصّنعاني: "مصنف عبد الرزاق"، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي – بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

- أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيّ البغدادي : "الشريعة"، تحقيق الوليد بن محمد بن نبيه سيف النصر ، مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤١٧هـ .

- أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري :"تاريخ المدينة المنورة" ،تحقيق فهيم محمد شلتوت ، الناشر دار الفكر ، ١٤١٠ هـ .

- أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري :"السيرة النبوية" ،تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده ، بميدان الأزهر بمصر ١٣٨٣ هـ .

- أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني: "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء"، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ.

- أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي: "سنن البيهقي الكبرى"، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

- أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني: "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، مؤسسة قرطبة – القاهرة.

- أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي: "النسائي" مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، تحقيق:عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس: "مجموع الفتاوى"، عدد الأجزاء : ٣٥.

- أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي: "تاريخ بغداد"، دار الكتب العلمية – بيروت.
- أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي: " الإصابة في تمييز الصحابة"، تحقيق : علي محمد البجاوي، دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ.
- أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي: "تهذيب التهذيب"، دار الفكر – بيروت.
- أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، تحقيق : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ١٣٧٩هـ.
- أحمد خليل جمعة : "نساء أهل البيت" ، اليمامة للطباعة والنشر – دمشق ، ط٣، ١٤٢٦ هـ .
- إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء: "البداية والنهاية"، مكتبة المعارف – بيروت.
- إسماعيل بن عمر بن كثير القرشيّ أبو الفداء: "النهاية في الفتن والملاحم" .
- إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء: "السيرة النبويّة"، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٦ م .
- خليل بن أيبك بن عبد الله الأديب صلاح الدين الصفدي : "الوافي بالوفيات" ، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٠ هـ .
- خير الدين الزركلي : " الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين" ، دار العلم للملايين ،ط٥ ، ١٩٨٠م .
- سليمان بن أحمد الطبراني أبو القاسم: "الدعاء"، دار الكتب العلمية، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.
- سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي: "سنن أبي داود"، دار الفكر، محمد محيي الدين عبد الحميد.

- شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان :" وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، لبنان .

- شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي :" تاريخ الإسلام" ، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى ، دار الكتاب العربي ، لبنان- بيروت ، ط١ ، ١٤٠٧ هـ .

- شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي :"سير أعلام النبلاء" ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - شارع سوريا ، ط ١٤١٣ هـ .

- عبد الحفيظ فرغلي .. وآخرون : " سيرة آل بيت النبي ﷺ " ، المكتبة القيّمة ، القاهرة .

- عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي : "آداب الشافعي ومناقبه"، مكتبة الخانجي ، تحقيق : عبد الغني عبد الخالق ، القاهرة ، ط٣ ، ١٤٢١هـ .

- عبد الله بن عدي بن عبدالله بن محمد أبو أحمد الجرجاني: "الكامل في ضعفاء الرجال"، تحقيق : يحيى مختار غزاوي، دار الفكر – بيروت، ط٣ ، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.

- عز الدين أبى الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير :"أسد الغابة في معرفة الصحابة" ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان .

- علي الطنطاوي : " سيد رجال التاريخ : محمد ﷺ " ، جمع وترتيب مجاهد مأمون ديرانية ، دار المنارة ، جدة – السعودية ، ط١ ، ١٤٢٣ هـ .

- علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر :"تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها" ، تحقيق علي شيري ، دار الفكر للطباعة النشر ، ط١ ، ١٤١٧ هـ .

- مجدي فتحي السيّد : " سيرة آل بيت النبي الأطهار " ، المكتبة التوقيفيّة ، القاهرة .

- محمّد الغزالي : "فقه السيرة" ، تخريج الأحاديث محمد ناصر الدّين الألباني ، دار القلم ، دمشق- سوريا ، ط٧ ، ١٤١٨هـ .

- محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله: "زاد المعاد في هدي خير العباد"، تحقيق : شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، بيروت – الكويت، ط ١٤، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م.

- محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله : " تذكرة الحفاظ ".

- محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي: الجامع الصحيح المختصر"، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

- محمد بن جرير الطبري أبو جعفر: "تاريخ الأمم والملوك"، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

- محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان"، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤١٤ – ١٩٩٣م.

- محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري: "الطبقات الكبرى"، الناشر : دار صادر – بيروت.

- محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري: "المستدرك على الصحيحين"، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

- محمد بن عبدالله بن صالح الهبدان : "التهذيب الموضوعي لحلية الأولياء"، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

- محمد بن عيسى الترمذي السلمي: " سنن الترمذي"، دار إحياء التراث العربي بيروت، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

- محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني: "سنن ابن ماجه"، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

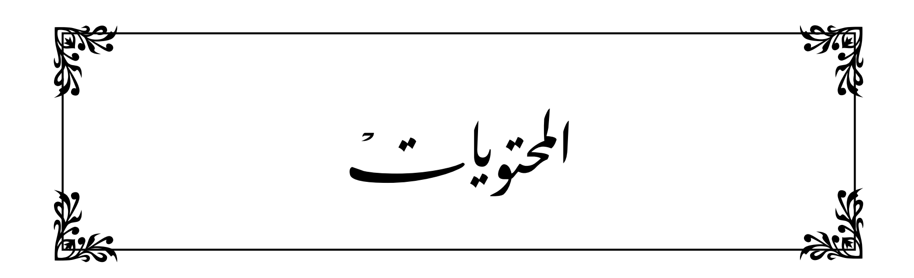
- محمد ناصر الدين الألباني: " السلسلة الضعيفة"، مكتبة المعارف – الرياض.

- محمد ناصر الدين الألباني: "السلسلة الصحيحة"، مكتبة المعارف – الرياض.
- محمد ناصر الدين الألباني: "جلباب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة"، المكتبة الإسلامية – عمان – الأردن، ط١، ١٤١٣هـ.
- محمد ناصر الدين الألباني: "صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته"، المكتب الإسلامي.
- محمد ناصر الدين الألباني: " صحيح الترغيب"، مكتبة المعارف، الرياض، ط٥.
- محمد ناصر الدين الألباني: "صحيح وضعيف"السنن الأربعة : أبي داود – الترمذي – النسائي – ابن ماجه ، مكتبة المعارف – الرياض.
- مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري: "صحيح مسلم"، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي: "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد"، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.
- يوسف بن حسن بن عبد الهادي المبرد (المتوفى : ٩٠٩هـ) ، محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، تحقيق : عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، السعودية ، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠ م .
- يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي: "تهذيب الكمال"، تحقيق : د. بشار عواد معروف
ط١ ١٤٠٤ هـ– ١٩٨٤م، ط١، ١٤٠٧هـ .

المصادر الشيعيّة :

- الصحيفة السّجادية ، من أدعية علي بن الحسين السجّاد ، مؤسسة الإمام المهدي – قم ، إيران ، ط١ ، ١٤١١ هـ .
- أبو الفرج الأصبهاني : "مقاتل الطالبيين" ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت .

- جمال الدين أحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عنبة :"عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب" ، منشورات المطبعة الحيدرية – النجف ، إيران .
- السيد الخوئي : "معجم رجال الحديث" ، ط. ٥ ، ١٤١٣ – ١٩٩٢ م .
- علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي :"كشف الغمة في معرفة الأئمة" ، دار الأضواء ، بيروت – لبنان .
- محمد باقر المجلسي : "بحار الأنوار " ، مؤسسة الوفاء ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٣ هـ .
- محمد بن الحسن الحر العاملي : " وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة " ، تحقيق عبد الرحيم الرباني الشيرازي ، دار احياء التراث العربي، بيروت– لبنان .
- محمد بن علي بن إبراهيم الأحسائي المعروف بابن أبى جمهور :"عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية" ، تحقيق آقا مجتبى العراقي ، مطبعة سيد الشهداء ، قم – إيران ، ١٤٠٥ هـ .
- محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني :" الكافي" ، تحقيق : علي أكبر الغفاري ، دار الكتب الاسلامية ، طهران – إيران .



المحتويات